

صَفْتَةُ بِلَالٍ الْيَمَنِيِّ
وَمَرْكَةُ رِجْلِ الْحِجَّازِ
الْمُسَمَّاةُ
نَاسِخُ الْمُسْتَبَصِرِ

لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ

رَاجِعِ وَرَافِعِ حُرَاشِمِ
مُتَمَلِّقِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

الْقَائِمِ

مَكْتَبَةُ الْفَنَاءِ الدِّمَشْقِيَّةِ

١٩٦٩ تَابِعُ لِمَنْشُورِ الْفَنَاءِ

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ٩٦٩٩٩٩٩٩



مركز بحوث مكتبة واداء سعودي

تاريخ المستبعد

لدى المجاور



مرکز تحقیقات کلیه پژوهش‌های اسلامی

صفحة بلاد اليمن
ومكة وبعض الحجاز
المسماة

تأريخ المستبصر



راجع ووضح مؤامره

ممدوح حسن محمد

١٩٩٦

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد القاهرة

ت : ٩٢٢٦٢٠ — ٩٢٦٢٧٧



مرکز تحقیقات کلیه علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة للناشر

الحمد لله رب العالمين، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، شهادة تلقى بها ربنا يوم العرض عليه...

وبعد ...

فيسر «مكتبة الثقافة الدينية» أن تقدم للمكتبة الإسلامية هذا السفر الجليل من كتوز ثرائنا الإسلامي، وهو كتاب: «تاريخ المستبصر» لمؤلفه: «ابن المجاور»، وهو كتاب في تاريخ مكة والحجاز وبلاد اليمن، لم تعرف وفاة مؤلفه.

ولنا هنا وقفة، حيث اختلفت المراجع في نسبة ابن المجاور، ولم تتفق له على اسم واحد، فغالبية المراجع تذكره على أنه: «أبو الفتح، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني» وهكذا أورد الزركلي في «الأعلام» وأيضاً ورد بنفس الصورة في «موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين» وهكذا ورد على غلاقة الكتاب - ط - ليدن سنة ١٩٥١ - ١٩٥٤ وهي نسبة خاطئة.

فقد أورد المؤلف في ص: ٢٨١ من هذه الطبعة الجديدة، التي بين أيدينا

ما نصه:

«وكتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري ...».

وهكذا نجد أن المؤلف قد ذكر اسم والده بالكامل، إلا أنه لم يذكر اسمه هو أو كنيته.

وقد ذكرت صاحبة «الموسوعة الذهبية للمعلوم الإسلامية» تحت عنوان: «تاريخ المستبصر» ما يلي:

لمحمد بن مسعود بن ... الذي كان حيا سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م.

مخطوط رقم ٤٦٣ مكتبة المتحف العراقي.

وهو كتاب في تاريخ مكة والحجاز وبلاد اليمن، لم تعرف وفاة مؤلفه، وقد ذكر المؤلف اسمه في الورقة ١٥٨ من هذه النسخة وهو: ...

وبلاحظ أن المؤلف هنا اعتبرت أن النسخة الواردة في المخطوط في الورقة ١٥٨ أو في ص ٢٨١ من الطبعة التي بين أيدينا هي للمؤلف نفسه، بينما نجد عبارة المؤلف صريحة في قوله: «وكتب والدي ...».

من هنا كان حرصنا على عرض كل هذه الاختلافات ووضعها بين يدي القراء الأعزاء والباحثين المتخصصين سائلين الله تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل ...

إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير

الناشر

القسم الأول



مركز بحوث وتطوير العلوم



مرکز تحقیقات تکلیف‌پژیر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين ووسط الأرض وجعل فيها آيات للموقنين وأودع في اختلاف الألسن والألوان باختلاف الأقاليم والبلدان بصائر المستبصرين وشاهد عموم رحمته وسبوغ نعمته للعالمين، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى من خلقه في السموات والأرضين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين، وبعد.

فإن من التاريخ ولا سيما ما يتعلق بالمعمورة الأرض وعروض بلادها وأطرافها وأوضاع مبانها ومسافات مغانيها وتصوير أقطارها وتبيين أحوال أمصارها من أبداع الفنون وأغربها وأبعدها غوراً وأعجبها، تجدد لك أوراقه البالية المدائن الدارسة برصاصها وقصورها ويحيى موات فضولها وأبرابها القرون الطامسة في طي حروفها وسطورها.

هذا ولا مربة لذوى العقول والأديان في أن مكة - زادها الله شرقاً - أم القرى وسرة الأرض المعمورة، وأحب بلاد الله إلى الله ورسوله في السنن المشهورة^(١)، ثم

(١) ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال عند خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة: «والله =

إن أئمن ما حولها من البلدان وأبركها ممكة اليمن المخصوص بالبركات الثلاث النبوية في جواهر السنن منبع الحكمة ومعدن العقيدة والإيمان من سالف الزمن، فحسنت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان البقاع والبلاد والمدن والجبال والبحار وشرح المنارل والمغاني ومقادير المسافات في المقاور والمقار ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأي العين وتوقف بها على أرجائها فيعنيك ذلك عن الأهن في البين، ولا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها من الأحبار وشعر نظم في سلكها قديماً من الأشعار

وهذا أو أن الشروع في مقصود الكتاب، وتسهيل الحجاب، وفتح الباب، والله ميسر الأسباب، إنه كريم وهاب.



= إنك لأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلى، ولولا أن قومك أحرجوني منك ما أخرجته

ذكر أسماء مكة وصفاتها

سماها الله تعالى بأربعة أسماء. مكة وابلد والقرية وأم القرى.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِيْطْنِ مَكَّةَ﴾^(١) فإذا الكلام على هذا الاسم

قال الزجاج مكة لا تنصرف لأنها مؤنثة، وهي معرفة، ويصلح أن يكون اشتقاقها بكة لأن الميم تدل من الباء، كما يقال - صرة لارب ولارم، ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم مككت العظم إذا مصصته مصا شديداً حتى لا يبقى فيه شيء، شهت بذلك لشدة اردحام الناس فيها.

وقال ابن فارس. مككت العظم إذا أخرجه من مكانه، والحك الاسقصاء، وفي الحديث: «لا تمككوا على غرماكم».

وفي تسمية مكة بهذا الاسم أربعة أقوال

أحدها: أنها مسافة يأتيها الناس من كل فج عميق، فكأنها هي التي تحديهم إليها، من قول العرب امتك الفصيل ما في ضرع أمه

الثاني: من قولهم: مككت الرجل إذا أردت تحوُّفه، فكأنها تمكك من ظلم فيها، أي تهلكه، كما قال.

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذججا وعكا

(١) الآية، ٢٤ من سورة الفتح

والثالث: أنها سميت بذلك لجهد أهلها.

والرابع: لقلة الماء بها.

وقد اتفق العلماء أن مكة اسم لجميع البلدة، واحتلفوا في بكة على أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة

والثالث أنها اسم للمسجد والبيت، ومكة اسم للحرم، كما قاله الهروي.

والرابع: أن بكة هي مكة قاله الصحاح واحتج لتصحيحه ابن قتيبة وقال بأن
الاء تدل من المعجم ويقال صرمة لازم ولازم

وأما اشتقاق بكة فمن البك، يقال: بك الناس بعضهم بعضاً أى دفعه

وفي تسميتها بكة ثلاثة أقوال^(١):

أحدها: لاردحام الناس بها، قاله ابن عباس

والثاني: تبك أعناق الجبارة، أى بدتها، فما قصدها حبار إلا أهلكه الله، قاله

ابن الزبير.

وأما تسميتها بالبلد فقد قال الله عز وجل ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾^(٢) يعنى مكة

والبلد فى اللغة صدر القرى.

(١) المذكور هنا قولان فقط.

(٢) الآية الأولى من سورة البلد.

وأما تسميتها بالقرية فقال الله عز وجل ﴿ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مَطْمَئِنَةً ﴾ أي ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى انتقال عنها لحوف أو ضيق ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان إذا أصاب نصيباً وسعة ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ﴾ أي كدبت محمداً ﷺ ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لَبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ (١) وأصل الرزق بالعم وأكثر اشتقاقه منه وذلك أن الله تعالى عذب كفار مكة بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة وكانوا يخافون من رسول الله ﷺ ومن سراياه.

والقرية اسم لما يجمع فيها جماعة كثيرة من الناس، وهذا اسم مأخوذ من الجمع يقال: فريت الماء في الحوض إذا جمعه فيه، ويسمى ذلك الحوض مقراً
وأما تسميتها بأمة القرى فقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَتَلْمِزَنَّ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٢) يعني مكة.

وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الأرض دحيت من تحتها، قاله ابن عباس، وقال ابن قتيبة: لأنها أقدمها.

والثاني: لأنها قبله يزورها الناس.

والثالث: لأنها أعظم القرى شأنًا.

والرابع: لأن فيها بيت الله عز وجل.

(١) الآية - ١١٢ من سورة النحل.

(٢) الآية: ٩٢ من سورة الأنعام.

قال ابن المجاور^(١) : ومما قرأت في كتاب الفاكهي قال : قال لي رجل من أهل مكة قال أعطاه كتاباً بعضُ أشياحه فإذا فيه أسماء مكة وإذا فيه مكتوب : مكة وبرة وبساسة وأم القرى والحرم والمسجد الحرام والبلد الأمين .

وقالوا : ومن أسمائها صلاح ، وقال القائل في ذلك : ... صلاح وقال كانت تسمى في الجاهلية الناشئة لأنها تنش من فيها ، أي تخرجه منها .

قال ابن المجاور : وحدثني هدي بالهد أنها تسمى عند الهنود مكى مسير . وقال بعض الفضلاء : اسمها كوسا ، واحتج بقول الشاعر :

سالت عمراً عن فتى اسمه يحيى وثانٍ اسمه عيسى
فقال : يحيى أبصرته جالساً بالفجّ يحلق رأسه موسى
وأبصرتُ عيسى داخلًا لربه هي التي قد سميت كوسا

ويسمونها التجار عروق الذهب ، ويسمونها البعوضة مربة الأيتام

وقد ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن مكة من الإقليم الثاني تنسب إلى المريخ ، وبها إبراهيم الحليل عليه السلام ، وهواها صحيح وجوها طيب وليلها أطيب من نهارها لأنها تنزل في لياليها الرحمة على من بها ، وماؤها من الآبار وأطيبها ماء الشبيكة والوردية والواسعة ، وهي بشر وراء جبل أبي قبيس ، فيها يربح الفقير ، وجميع ذلك بنته أم العزيز زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المصور .

(١) هو مؤلف الكتاب ، سبق التعريف به في المقدمة ، وسيكرر كثيراً في الكتاب .

وأهلها عرب وأشرف من سل الحسن بن علي بن أبي طالب، وما بقي من أهلها قرشيين علي مذهب الإمام زيد بن عيسى بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم رجال سمر، لأن جلة ما كبحهم الحواري السود من الحبش واليوبه، طوال الجشت صحيحين اللعة قلبين المال كثيرين العشائر والقبائل ذوو قناعة، وقد قال النبي ﷺ «القناعة عسى» وقال ﷺ «القناعة كثر لا ينغده».

وكان أحدهم يبقى على قرص وقليل سمى ثلاثة أيام بلياليها، وفي ذلك أشد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول:

أمتٌ مطامعي وأرحمت نفسي	فإن النفس ما طمعت تهونُ
وأحييت القنوع وكان مبيتًا	وفي إقباله عرضي مصونُ
إذا طمّع أحلّ بقلب عبدي	عكسه مدلةٌ وعلاه هونُ

وملسمهم الصافي اليمسابوري الرفيع وينحزم بهصفه الثاني ويرمى بما فصل منها. وليس سائهم القنوع (وسمائي^(١) ذكر القنوع في أعمال صعاء) والبراقع، وما كولهم اللحم والسمس والخير، وأساميهم سالم ومسلم وغانم وعنام وفراح وفارج وقاسم وهباب ودهاب ووثاب ومطاعم ومطاعس ومفرح وفارج وقاسم وقائم وضاحك وضحكان وسلال وفلال وسيار وهيار وراشد ورشاد ورشد وشاكر ومشكر وفاضل وفضائل وطالب وظالب وواصل وحاصل وراجي ومرتجي وراجح وناحج وفائق ومالك ومهيوب وهباب ووهاس ورعاش وحواس وكناس وقانم ومقدم ومشمر وهاني

(١) في الأصل: «وقد تقدم» والصواب ما أثبتناه، وانظر ص: ٢١٤ وما بعدها

ومنها وزاكي وطائب وظافر وثاجي ومسجي وحابر ولاحق وسيار وصابر وجابر وعارس.

ذكر زواج أهل مكة

في العاشر من ذي الحجة يحطب ريد بت عمرو وفي العاشر من المحرم يدخل كل واحد منهم على عرسه بالبطرة والتطهير، قلنا: ولم ذاك؟ قالوا: لأن كلا منا يعيش مع الحاج في كل من من العوس من حرام وحلال، فإذا رحل الحاج دار الحطب والكاح والأفراح والأعراس بين الناس

فإذا تزوج رجل من أهل مكة وقطع الشهر وأراد الدخول على المرأة بحص الرجال أنديهم وأرجلهم تزا، وكذلك جميع أهل اليمن وحصر موت، ويحصر كل أصدقاته من الأهل والأقارب وبيده قرطاس مشرور مكتوب عليه اسم الآتي مع ورد المبلغ وعدده يقدمه قدام العروس كل على قدر حاله وسعة ماله، وكذلك تفعل النساء، ويخرج العريس إلى الحرم ويطوب مبعا ويصلي في مقام إبراهيم ركعتين ويقبل الحجر الأسود، ويحرق بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام، ففي اليوم السابع يحرق بصم الطرح الذي طرح له ويدهر رأس مال في يده، وعد ذلك يفتح له دكا ما يعيش به، ويكون ذلك الطرح ديناً عليه

وكل من تزوج من القوم الذين حصروا العرس يرجع يرد إليهم الذي أخذ إلى كل واحد من القوم مثل الذي جاء به إليه أو أريد منه، وكذلك يفعلون في سائر أقاليم اليمن.

وكانت أهل مكة في سالف الدهر يشتررون العبيد ويقطعون عليهم قطعة تعطى لسيده كل يوم يومه، وكذلك النساء تقطع المرأة قطعة على جواربها في تحصيل الذهب فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل المرح للرجل والحرح في هرج ومرج، وإلى الآن هذا موجود في عدد من العرب وأهلها، وليس هذا العن عندهم عار بل تفتخر النساء بذلك، وكذلك كان في أيام صحابة كل جارية لا تبذل فرحها يُكرَّم عليها إلى أن نزلت هذه الآية. ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(١) فهي من ذلك المهد وهم على ذلك المهد باقون

وإذا خرج السيد والعبد والجارية إلى أشغالهم حليت المرأة في الدار وحدها حتى إنها ترك على أربع إذ ليس لها شغل تشتغل به فيرجع بروجها على وركها عادة وألفوه إلها.

ويقال: إذا تحصم رجل وامرأته وأعطى المرأة منه عاية العبط نقول المرأة لزوجها: لا شك أنك على أسي أكسره، والمصى أنك تريد أن أقعد على عجري، فيقول لها زوجها: بالله عليك لا تفعل ذلك

فصل: دخل سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان على بنت عمه، ويقال: بنت خاله وهي باركة على أربع، وهي نظم لها حب عقد لؤلؤ فقال لها سيف الدولة: بكم هكذا؟ قالت له: بالموصل، قال لها: اشتريت، فقالت له: وأنا بعثك،

(١) الآية ٣٣ من سورة النور، وانظر في ذلك باب «الإكراه على البغاء» في كتاب «سورة النور ومشكلاتها الاجتماعية» إعداد/ ممدوح حسن محمد، ص. ١٢٥ وما بعدها، من إصدارات دار الأمين بالقاهرة.

وقضى منها شغلته... فلما أصبح من العد جاء الحادم يتقاضى ثمن ما اشتراه فقال
سيف الدولة للوزير: اكتب لها منشوراً بتسليم الموصل، فما أعجب الوزير هذا القول
وأمسك عن الكتب، فقال له سيف الدولة: اكتب لها، فوالله لقد أخذت منها فرداً
يسوى جملاً أحمر، أو يقال: جمل عراقي، كما قال:

نعم القول لَوَّان القول مقبولٌ	هل الهوى وتمادى القال والقيـلُ
ليس السلام بشافي القلب من دغـٍ	ما لم يكن فيه تخميش وتقـبـيلُ
وليس يرضى محب عن أحـبـته	حتى يفوز بما صم السراويلُ

ولأجل ذلك تكبر أعماز نساء الحمار لأهم يربونه قصداً.

ويطلع بها من جميع الحصر مثل البطيخ والخيار والفشاء والبادمجان والكراث
ويأكلونه بالتمر والفجل وما أنبه ذلك وبها الرطب الطيب من البرني والمكتوم.

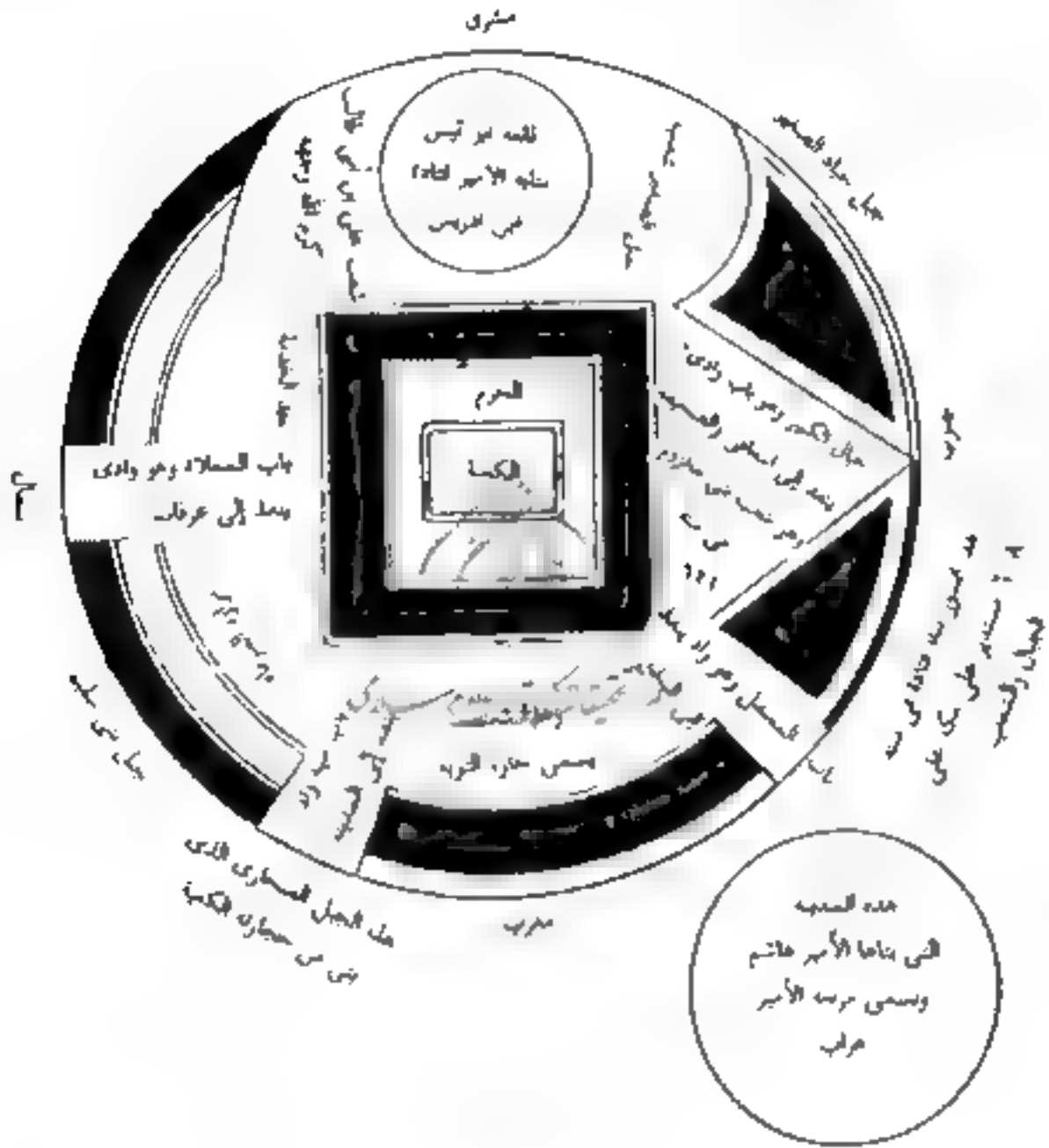
ويقال: إنه كان في قديم الأيام يجتمع بها من جميع الأزهار والعواكه والشمار
والرياحين، ومن جملة ذلك أنه كان يزرع في زهران الرعمران، وكان يرفع إلى
بغداد كل عام بعد الحرج والمؤمن ثمانون ألف دينار، وقيل: ثمانية عشر ألف دينار،
وهو الأصح، وجميع ذلك كان من الررع والضرع ودحل الأشجار وجنى الشمار
وسقى الأنهار ومراعى الإبل ودحل الحويل

فلما دار الدهر نقص جميع ما ذكرناه لاختلاف البيات مع قلة الأمانات، وكل
من بها يستعمل الطيب من الرجل والمرأة، وفي يد كل واحد من القوم سيف ولم
يرموا العدة من أيديهم إلا في شهر الله الأصم رجب، عظم الله حرمة.

وبناء البلد بالحجر والجص وباء الطبقة الثانية بالشكل، وهذا في زمان معاوية بن أبي سفيان، وصارت بعده في أيام أبي عبد الله محمد المهدي بالله أمير المؤمنين لما بنى الحرم الشريف كل دار تشابه حصصاً من الحصون لأجل إحكامها، وبني الأمير هاشم مدينة ظاهر مكة ما بين درب الشبة والمسفل تسمى مربعة الأمير، فكان يسكن بها جنده وحده وحشمه وبقي البلد عامراً، وحررت في دولة الأمير عيسى ابن فليته وبقيت خراباً إلى دولة الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم وجند فيها آثاراً ومواضع نسي وأراد أن يسكن فيه العرباء وقريش ويسكن هو وجميع أهل الشرف مكة فمات على عفة ومطل جميع العمل من طول الأمل

وأدار الأمير قتادة بن إدريس على مكة سوراً من الحجر والطين، وذلك على دعوس الجبال وبطون الأودية، وركب عليه أربعة أبواب باب درب المعلى يمد إلى عرفات، وباب درب الشبة ينفذ إلى مدينة الرسول ﷺ ويسمى باب حده، وباب العمرة، وباب المسفلة يمد إلى اليمن، وباب الصغير يمد إلى الصفا المصافي والصحيحة وهو وادٍ ليس عليه طريق - على هذا الوصف والتريب - والله تعالى أعلم بالصواب.

وصورة مكة شرفها الله تعالى على هذا الموضع والترتيب.



ذكر ولاية مكة من آل الحسن بن علي بن أبي طالب

كسرم الله وجهه

الأمير منصور بن مكر بن عيس بن مكر بن قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله ديباجة بن هاشم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والأمير حسن بن فتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم ابن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن موسى الجون، وهما يرجع السببين [كذا] إلى فرد نسب.

فهؤلاء الذين نزلوا مكة من أيام لقولة الإمام أحمد الله الحليفة أبي جعفر بن هارون الرشيد إلى سنة تسع عشرة وستمئة.

وفي هذا التاريخ ملكها السلطان الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان بن محمد.

ذكر المعاملات

وتقد البلد ذهب مصرى وبها يصرب على عيار المصرى يسوى الدينار أربعة وعشرين علويا، ويحسب كل علوى أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس، فلما رجعت الدولة لآل أيوب ضربوا الدراهم الكبار، ويقال: أول من ضرب هذا الدرهم الكبير بها المعز إسماعيل بن طغتكين فى اليمن، وأول من ضرب الدراهم الكبار بمكة الملك المسمود يوسف بن محمد على قوانين اليمن، يسوى الدينار المصرى أربعة دنابير ونصف ملكى يصح ثمانية عشر درهماً يحسب كل أربعة [دراهم] دنابير دينار مكى وكل درهم ثلاث حوز كل حوزة ثمانية فلوس وكل فلس أربع دراهم

قال ابن الجوزى: وكل ما كان يصنع فى أول العهد يعطى رجع ذلك الشيء بدرهم كبير.

والرطل مائة وثلاثون درهماً وهو ست أواق يحسب كل أوقية أحد وعشرون درهماً وثلاث وبه يباع جميع الحوائج والمطر، ومن اليمن ثلاثمائة وعشرين درهماً، وبه يباع الثياب والسكر والعسل وجميع الحوائج الحلوة، ومن اللحم أربعمائة درهم، وبه يباع اللحم والشحم والهريرة والمجبة ولألية، ومن السمن ثمانمائة درهم، وبه يباع السمن والزيت والخل والشبرج، ولدراع البلد فى أيام الموسم وأيام الصدقة وإذا كان بعد الموسم بمدة شهر كامل ريد فى الدراع، وهى ستة اثنيتين وعشرين وستمائة زيد فى الدراع ورجع الدراع على دراع مصر، وكانت صنجة مكة فى بغداد تصح المائة خمسة وتسعين ديناراً.

فلما تولى ملك الحجاز طغتكين الكاملى بقصر المائة الديار فصار الآن تصح
 للمائة المكية ببغداد أربعة وتسعين ديناراً، وجميع ما يباع بمكة مقايضة كح بكج،
 وياع للحطة ومائر الحبوب بالصاع وبحسب الصاع أربعة أمداد وكل مد أربعة أرباع
 رطل، وياع الأدم باليعة كل يعة مائة من بصح الحمل يبعثن ويصف، وبحسب
 العوار ثلاثة أصناف: عوار الدى يكون فى أوسط الطاق حدش بسكين فى رقبة الطاق،
 والثانى الشعرانى، وهو الذى يكون فى الشعر، والمقمع يكون قد تقمع الكيمحت
 من على المجلد، وكذلك اليبس من الدهن والحفيف والأسود، والأديم الجيد وهو
 الثقيل النقى الطاهر عابى الوجه مشك بعصه بعض مبراً من العيوب التى ذكرناها.
 قال ابن الصجور: هذا فى البس وبواحيها يكون يسوى كل مائة من بحوارزم
 على الصفة التى ذكرنا سبعين ديناراً

ويدع الأدم فى جميع إقليم اليمن والحجاز وبواحيها ويسمونه طاقات بالعدد،
 وكذلك الحشة وأعمالها، ويسميه العجم أديم يحوش وفى كشك من أعمال الهند
 كذلك، وما تدبع الأدم إلا بالقرط، ويدع فى مكة جلود الحمال والبقر والعزلان،
 وكان مسافرو خراسان يشترون جلود العال الفحولة من رستاق الموصل وسواد إربل
 وتدبع فى مكة، وقد نطل جميع ذلك من سنة عشر وستمئة لظهور الكافر بحراسان
 والرى.

والأديم الخفيف يصلح للمراق والشام لأنهم ينشرون الطاق حتى يجعلوه على
 الكيمخت، وما يربدون فى حوارزم وخراسان إلا الأديم الثقيل لأنهم يبطون به
 الخف، ويقال فى الأثمان: يسوى الحوارزمى ألفنا أربعة دوانيق ركية وحمة عشره
 دنانير وكذلك الروم

ويقال: إن الصديق بمنزلة الرأس والعدو بمنزلة الرجل، ولأجل ذلك لبست أهل هذه النواحي أرجلهم أجود ما يكون من الملابس.

حدثني محمد بن رزق الله قال لي: هل ترون في خراسان كوكب سهيل؟ قلت: لا والله، قال: لهذا لم يصح لهم دباغة الأدم، قلت: وكيف ذاك؟ قال: كل إقليم يطلع عليه وفيه سهيل يصح فيه دباغة الأدم لأنه يحمره وبصيره إلى ما ترى من الليونة والنعومة

من مكة إلى المدينة

على طريق بني عصب وهم السروء من مكة إلى بطن مو أربعة فراسخ وهو واد طيب، وبني فيه بعض أمراء مكة من الشرق قصراً، وهو الآن خراب، وإلى الهدى أربع فراسخ، وإلى بررة أربع فراسخ، وإلى شامة أربع فراسخ، وإلى المدينة قدر أربع فراسخ، وإلى حجر قدر سبع فراسخ، أرض عرة، وهي أرض بني سليم التي فتحها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

ذكر فتح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هذه الجبال

حدثني عيسى بن أبي البركات بن مظفر البعلادي بمكة قال: إني قرأت في بعض الكتب أنه كان لبني سليم في الجاهلية نحل عظيم فكان إذا جاءهم عدو دخنوا في الأكوارات - يعني النحل - فكان يطير ويعلو الجو فيبان لناظره شبه غمامة

من كثرة، فإذا تعلّى انحدر ونزل على حيل العدو ونكد عليهم فعند ذلك تنهزم حيل العدو من بين أيديهم، وكان بنو سليم قد قهروا جميع أعدائهم بهذا الفن وبقوا على حالهم إلى أن أظهر الله عز وجل الإسلام وخرج النبي ﷺ ومن معه من الصحابة إلى هذه الأعمال، ففعلت بنو سليم ما تقدم ذكره، فلما صعد النحل البحر وانحدر على عساكر الإسلام نادى النبي ﷺ فقال: أين يمسوب الدين؟ فلم يجبه أحد، فقال: أين أمير النحل؟ فلم يجبه أحد، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فلما سمع علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ذلك من لعن النبي ﷺ جذب دا الفقار^(١) وحمل على النحل، فأدبرت النحل على أثرها راجعين على بني سليم ولدعتهم، فهربت بنو سليم بين أيدي النحل إلى رعوس الجبال وبطون الأودية وفتح الله حبال بني سليم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فلما استتم المتح واستقام النصر قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: يا رسول الله شبهت علي بن أبي طالب باليمسوب وهو النحلة؟ فقال النبي ﷺ: «المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيباً ولا يخرج منها إلا طيب» فمن ذلك الحين و[ذلك] الواقعة لُقّب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيمسوب الدين أمير النحل.

وإلى الآن يُجلب من هذه الجبال نحل، أي عسل يشتري منه الحاج والحجاز وبعض أهل اليمن.

(١) اسم سيف رسول الله ﷺ.

ذكر وادي انظر

قال ابن المجاور: رأيت في المنام ليلة السبت سادس شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة كأن إنساناً يقول لي: إن في أعمال المدينة يشرب وادٍ مسروق وجبال وشعاب لم يفهم أحد كيف دحوله، قلت له: ما يسمى؟ قال: وادي انظر، قلت: وما المعنى فيه؟ قال: إنه سأل إنسانً شيخاً من أهل هذا الوادي فقال له: من أين الشيخ؟ فقال: من وادي انظر، قلت: وما المعنى من هذا الاسم؟ قال: لأنه وادٍ للإسلام به عز، قلت: ومن أين سكانه؟ قال: هم قوم من أولاد حام بن نوح، عليه السلام، وهم مع ذلك قوم لا عرب ولا عجم ولا هند ولا حبش ولا ترك ولا نبط بل لهم لغة مهم وفيهم، قلت: فكيف يصح ذلك؟ قال: فرسخين أو مسيرة يومين، ولا يزال الأمير قاسم بن المهنا بن جمار الحسيني يبرع في إبله ونعمه فيه، وأرضه ذات مزارع وعيون وأمن وسكون، وقد حلت من الناس، فسألت عن زمان فقلت: ما السبب في خلوها؟ قال: إن الله عز وجل قلب عاليها سافلها.

قال ابن المجاور: وفي هذه الأيام قتل الأمير قاسم بن المهنا بن جمار ابن عمه شيخة وتولى بعد قتله الأمير هاشم بن قاسم على ملك مكة، ومع ذلك يمكن أن يكون هذا الوادي في هذه الأودية والجبال والشعاب مسروق لم يعلمه أحد من الأعراب سوى سكانه، والعلم عند الله.

والى الحضراء من يشرب أربع فراسخ وبه أعين وبحيل ويسكن أهلها في أخدار الشعر إلى الآن وإلى عين البى ^{عنه} أربع فراسخ وهي عين جارية وعليها بحيل وهي

أواخر الجبال والأودية وأول الفلاة والرمال، وإلى عمق أربع فراسخ وبه أعين ونخيل، وأحرق نخلها الأمير عز الدين أبو عزيز قتادة بن إدريس سنة خمس عشرة وستمئة.

وإلى مجد أربع فراسخ وتسمى ميرك وهي أرض قفر وبها بركة عظيمة خلقها الرحمن، ويقال: اغتسل بها ومن مائها السبي ﷺ فلا يزال بها الماء طول الدهر من بركات النبي ﷺ.

وتمر على ثلاثة جبال تسمى البرابن فإذا كنت طالباً المدينة فاترك جبلين منها على يسارك، وإن كنت طالباً مكة فاتركهما عن يمينك وامش بالقرب من الجبال لكي لا نصل، لأنه وادٍ فيه رمل أبيض يشابه دقيق المسويق، ولا شك أنه لا ممر إليه إلا في هذا المكان.

وإلى بئر على بن أبي طالب رضي الله عنه أربع فراسخ، وهي بئر عظيمة الساء يروى الحاج منها ومن حولها من الأعراب ما عندهم من المواشي وعبرهم.

وإلى قباء أربع فراسخ، وكانت مدينة قبل المدينة، وقيل: بنيت في زمن النبي ﷺ وفي مسجداهما قبلتان: إحداهما إلى المشرق والثانية إلى الكعبة، لما أمر الله سبحانه النبي ﷺ أن يوجه وجهه نحو الكعبة [حيث] قال: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾^(١) ثم إلى المدينة فرسخ بين نحل باسقات شامحات.

(١) الآية: ١٤٤ من سورة البقرة.

ومن مكة إلى الطائف

من مكة إلى منى فرسخ، وإلى المشعر الحرام فرسخ، وإلى جبل عرفات فرسخ، مبتدى وادى نعمان، وفيه أراك ونخل.

ألا هل لأيام المعصب لوبة	وهل لى بهاتيك القسياب حلول
وهل لليالى الخيف بالعيف مرجع	وهل لمبيت بالجمار سبيل
وهل لى بأعلام المعرف وقفة	وبالمرح من وادى الأراك مقليل

وإلى بركة ثلاثة فراسخ، وبه قبر الأمير شكر بن أبي الفتح الذى استفتح جدة، وإلى الممررة أربع فراسخ، والأصح ستة فراسخ، وإلى الحجر فرسخين [كذا] ويكون جوازك على جبل عال يسمى عفر.

قال ابن الجاور: ولا شك أنه يسمى غزوان، وبه قال الشاعر:

إذا خفت يوماً من أمير عفوته فلى بالوى من رأس غزوان منزل

بناء الطائف

قرأت فى كتاب العاكهى قال: حدثنى الحسين قال: حدثنى على بن الصباح قال: حدثنى ابن الكلبي، عن إباد بن زرار، ويقال: عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان بالنخع وثقيف رجلان من إباد بن زرار يقال لأحدهما: ثقيف، وهو قسي بن منه ابن بنت أخصى بن دهمى بن إباد بن زرار، والآخر: النخع بن

عمرو بن طهمان بن عبد مناة بن يقدم بن أخصى بن دُعْمَى بن إِيَاد بن نَزْلٍ، فخرجوا ومعهما عِيَمَات لهما فيها عِزْلُونَ وهما يشربان من لبها، فعرض لهما مصدق ملك من ملوك اليمن فأراد أن يأخذ من غنمهما الصدقة، فقالا: نخذ منه أيتهن شئت، فقال: آخذ صاحبة اللبن، فقالوا: إنما معيشتنا ومعيشة هذا الجدى من لبنها، فأبى إلا أحدهما فقتله أحدهما، فقال له صاحبه: لا يجمعى وإياك بلد ولا تحوينا أرض، فإما أن تصعد وأنحدر، وإما أن تحدر وأصعد، فقال الجمع: أنا أصعد.

فأتى النجع بيشة فترلها، ومضى ثقيف إلى وادى القرى فكان يأوى إلى عجور يهودية يكس عدها بالليل ويعمل بالهار، فعند ذلك انحدرته ولذا واتحدتها أما، فلما حصرها الموت قالت: يا سى، إذا أنا من عند هذه الدنانير وهذه القصصان من الكرم فإذا برلت بلدا فاعمر هذه القصصان فإنك لا تعلم عنها ررقا.

فعمل ثقيف ذلك ثم أقبل حتى نزل موضعا قريبا من الطائف، فإذا هو بجارية حشية على ظهر ترعى مائة شاة لمولاها، فأمر طمعا فيها وقال: أقتلها وأخذ الغنم، فألقى في نفسها ما أراد بها، فقال له: يا هذا، كأنك طمعت نفسك أن تقتلنى وتأخذ عنى؟ قال: نعم، قالت له: لقد عدلت^(١) ولو قتلتنى وأحدثت العنم ما نجوت، فأنا جارية عامر بن الطرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مصر، وهو سيد أهل الوادى وأنا أهلك عريبا خائفا، قال: نعم، قالت: أفلا أدلك على خير مما أردت؟ قال: بلى.

(١) أى: ابتعدت عن الصواب

قالت: إن مولاي إذا طلعت الشمس يأتي إلى هذه الصخرة فيضع ثيابه وقوسه وجفيره عندها ويحدر في هذا الوادي يقصّي حاجته ويتوضأ من العين التي في الوادي ثم يرجع ويأخذ ما ترك ويصرف إلى رحله ويأمر منادياً ينادي: ألا من أراد العيش والتجمع فليأت دار عامر بن الطرب، فيقبل جميع من أراد ذلك، فاكمن له تحت الصخرة وخذ ثوبه وقوسه وجفيره فإذا رأيته قال: من أنت؟ فقل: غريب فأنزلي، وخائف فأجزي، وعزب فزوجي، إن كنت برا شريفاً.

فقال: أنا أفعل جميع ما ذكرت، قال فخرج عامر بن الطرب كعادته فاستحى له ثقيف، فلما دخل الوادي فعل ثقيف ما أمرته به الحاربة، فقال عامر بن الطرب: انطلق، فانطلق معه فأنحدر إلى قومه، وبأدى مادي فأنزلت الناس يهرعون إليه، فأكلوا وتحمّموا، فقال لهم عامر ألسن سبكم؟ قالوا: بلى! قال وقد أحرقت من أجرت وأمت من أمت وروجم من روجت؟ قالوا: بلى! فقال عامر هذا فسي بن مه، فوجه في الحال استه، فولدت ثقيف عوف ودارس وسلامه، ثم تزوج بأختها بعدها فولدت له قاسم، وأقام بالطائف وغرس تلك القصص من الكروم فنتت وأطعمت، وبني المكان فسمي الطائف لأنه طاف البلاد وسكن بها.

وقيل: ما سمي ثقيفاً [إلا] لأن أباه ما ثقف حتى ثقف عامراً حين أمه وزوجه، وثقف الكرم حين غرسه فسمي ثقيفاً.

حدثنا محمد بن أبي عمرو قال: حدثنا شعان بن جريح عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١) قيل:

(١) الآية: ٢١ من سورة الزخرف

القريتان مكة والطائف، وأما الرجل فقيل: هو عتبة بن ربيعة، وكان ربحانة قريش يومئذ، وقالوا: بل هو مسعود بن معتب.

ذكر حصن الهجوم

حدثني أبو علي أحمد بن علي بن آدم البيرني قال: كان حصن الهجوم جبلا مدورا في وسط قاع صنفصف فجاء الأباط، وهم من سبل اليونانيين النصارى، ويقال: الروم، وقد مقي من تذاكيرهم على القنات ومجارى الأعين وحجر الطواحين التي يطحن عليها القرط لأجل دباعة الأدم.

قال الراوى: ودر كل حجر منها ثمانية أدرع في الارتفاع إلى سبعة أدرع، وليس هذا من عمل العرب لأنه لا يتيسر لهم فيه عمل ولا يستدير لهم في أيديهم ولا يتصور في خواطرهم بل هذا من عمل الجارية وحكمة الأوائل.

وما ذكرت تلك الأحكام إلا لما ذكره من بناء الحصن وذلك أن الأنباط جاءوا وبوا حول الجبل الحجر المنقوش المربع طول كل حجر منه سبعة أدرع في عرص ثلاثة أدرع وما زال القوم في بنائه إلى أن حادى السناء ذروة الجبل، فلما استتم البناء به على حسب المراء بما أراد الفكر بوا بعده الأسوار والأبراج، وهو على وضع ما تقدم ذكره، وركب عليه باب واحد وحفر في داخل القلعة بئر عظيم عميق فظهر في البئر مع تمام الحصن الوافر ماء يحاكي الشهد في حلوته والماورد في رائحته وعين الحياة في صفائه.

فلما دار الدهر بالسنين والشهور ارتدم ما بين الأمة من التقارب والاتصال وتقاربت بهم الآجال وتباعدت عنهم الأحوال إلى أن أظهر الله عز وجل الإسلام ففتحها النبي ﷺ بالسيف، وبقي الحصن على حاله إلى أن وصل ملك الحجاز إلى الأمير عز الدين أبي عزيز قتادة بن إدريس فأمر بهدم الحصن فهُدِمَ خوف أن لا يعصيه فيه أحد من الأعراب، وبقي الحصن خراباً إلى الآن، ويسمى عند أهله حصن العراب.

ذكر الوهط

حدثنا محمد بن عبد الرحمن المعزومي قال: حدثنا شعيب عن عمرو بن دينار قال: كتب عمرو بن العاص في وصيته وذلك في الوهط وجعلها صدقة لا تُباع ولا توهب ولا تورث. وهي للأكبر من أولادى والمتبع فيها عهدى وأمرى، فإن لم يتم بعهدى ولا أمرى فليس له ولاء، بمعنى بذلك الوهط، حتى يرثه الله تعالى قائماً على أصوله.

حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: عرش عمرو بن العاص في الوهط مائة ألف عود كل عود بدرهم. والوهط قرية من أعمال الطائف بينهما ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف ومكة من ذلك الوهط.

حدثنا محمد بن موسى القطان قال: حدثنا محمد بن الحجاج الثقفي قال:

حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن عطاء عن ابن عباس قال: كان الطائف من أرض فلسطين، فلما قال إبراهيم [كما حكى القرآن الكريم]: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ يَتِّكَ الْمَحْرَمِ﴾^(١) قال: فرفع الله تعالى له موضعها إلى الطائف في موضعها.

قال حدثني محمد بن فارس القرشي قال لي: ما بقي في الوهط من الشجر سوى شجرة توت وهي إلى الآن وقف عليهم

ذكر سليمان بن عبد الملك

ابن مروان وخروجه إلى الطائف

حدثني محمد بن صالح اللخمي قال: حدثنا محمد بن إبراهيم قال: كنا مع عبد العزيز بن أبي رواد في المسجد الحرام فأصابنا خطر شديد وريح شديدة فقال عبد العزيز خرج سليمان بن عبد الملك إلى الطائف فأصابهم نحو من هذا ببعض الطريق فهالهم ذلك وحاقوا فأرسل إلى عمر بن عبد العزيز، وكانوا إذا حاقوا شيئاً أرسلوا إلى عمر، فقال له سليمان بن عبد الملك: ألا ترى ما نحن فيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمته، فكيف بصوت عذابه!

وخرج سليمان إلى الطائف، قال: فلما قدم إليها لقيه أبو رهير، أحد بني ثقيف، فقال: يا أمير المؤمنين اجعل مرلك عدي، فقال: إني أخاف من الصداع،

(١) الآية: ٢٧ من سورة إبراهيم.

فقال: كلا، إن الله قد رزقني حبراً كثيراً، قال: فترى ورمى بنفسه على البطحاء فقيّل له: الوطاء، فقال: لا، البطحاء أحب إليّ، فلزمه بطنه فأثني بحمص رمانات فأكلهن، وأتوه بخميس أحر فأكلهن، ثم قال: أعدكم غيرها؟ قالوا: نعم، فجعلوا يأتون بحمصة خمسة حتى أكل سبعين رمانة، ثم أتى بخروف وست دجاجات فأكلهن، وأتوه نصيباً من الزيت يكون فيه قدر مكوك على نطع فأكله جميعاً ثم نام، وأتبه فدعا بالغداء فأكل مع أصحابه.

فلما فرغ دعا بالصاديل فكان فيها قلة من كثرة الناس فلم يكن عندهم من المناديل ما يمسحهم، فقال: كيف الحيلة يا أبا زهير؟ فقال أبو زهير: أنا أحتال، فأمر بالصرح والحزامي وما أشبههما من الشجر فأثني له بما يمسح به سليمان يده، ثم شمه فقال: يا أبا زهير دعا وهذا الشجر وحلّكم هذه المناديل فأعطها العامة، ثم قال سليمان: يا أبا زهير هذا الشجر الذي يستعدكم أشعر الكافور هو؟ قال لا، فأخبره بخبره فأعجب سليمان، وقد قال امرؤ القيس الكندي:

كان المدام وصبوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يحلّ به برد أتينا بها إذا طرب الطائر المستحضر

فلما فرغ قال أبو زهير: افتحوا الأبواب، ففتحت ودخل سليمان مع الناس فأصابوا بستاناً ذات أكمام وأمام من الحير والفواكه فأصابوا الفاكهة، فأقام سليمان يومه ومن الغد ثم قال لعمر: ألا ترى أنا قد أضربنا بهذا الرجل؟ فرحل ونظر إلى الوادي وحضرته مع طيب رائحته فقال: لله در قيس، أي واد نزل! ونظر إلى عناقيد عنب يظنها الحار فقال له عمر: يا أمير المؤمنين، هذه عناقيد العنب، فأقام سبعا ثم رجع إلى مكة.

ووصف بعضهم النارج قائلاً يقول:

وروضه يتسركني زهرها

أنعت منه حسن نارجها

وصحت في الناس - ألا من يرى

وقال في السوسن:

سقياً لأرض إذا ما نبت ينهي

كان سوسنها في كل ساقية

وقال في المنثور:

ومثور حططت إليه رحلى

كشبهه دراحم من كل فن

وقال في الياسمين:

وياسمين آتاك في طبقته

قد نفض العاشقون ما صنع الـ

وقال في الليوفر:

ولا زوردية تاهت بزرقنها

كانها فوق طاقات لها صفت

وقال في الرجز:

وأحداق مسيدة عوانى

على قضب الزبرجد شاخصات

بأحداق من الكافور صيغت

بالحسن والنضرة مسهوتا

ولم يكن من قبل منعوتا

زبرجداً يحمل ياقوتا

قبل الهجوع بها صوت النواقيس

على الميادين أذباب الطواويس

وقد طلعت لنا شمس النهار

بخالطه كبار مع صفار

قد أسكن الناس (..) من عبه

بين بالكوانهم على ورقه

بين الرياض على زرق الياقوت

دبائل النار في أطراف كبريت

مرقن السحر من حدق الغواني

حوين صفات نور الأقحوان

مكحلة الجفون برعفران

صفة الطائف

الطائف سامية باردة الماء صحيحة الهوى كثيرة العواكف، زراعتهم الحنطة اللقمية التي تشابه اللؤلؤ، وأهلها من ثقيف وقريش على رى أهل مكة فى الأكل واللبس، وأهلها يرثون التنت عد الموت ولم تورث بنت أحدهم الدراهم، وكذلك بنو هذيل ومضر وبجيلة وجميع أهل السراة وجميع العرب الذين هم سكان بأرض الحجاز وما حول مكة

وللقوم عصبية عظيمة، إذا مات بها أحد لم يحمل جازته إلا الشبان ومع ذلك يقولون: سلم سلمك الله، هذا ما وعد الله بهم القاضى، وهم يتداولون النعش إلى الجبابة، وهم الذين يحفرون القبر

حدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنا عمر بن أبى بكر الرملى قال أخبرنى بعض أهل العلم من قريش قال: ما استنّ للمواقع وأحرياء إلا من بعد موت حرب بن أمية فتاحت نوائحه وأحرياء، فجعل المواقف للناس كلهم يقرن. وأحرياء من ذلك العهد.

وبه قبر عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

وجميع عملهم دباغ الأدم ويدع بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها وهو الذى يصلح لخوارزم، وكل نبق يعمر فى هذه البلاد يطلع مكتسبى [كذا] وبه يطحن السلى وهو سوق السبق من سوق العراق ليس له شوك وكذلك شجرة فى زيد مما يلى القرب.

من الطائف إلى جبل بدر

من الطائف إلى المعدي ستة فراسخ وبه تحت قدر السرم التي يحجر حجرها على سائر الأحجار.

حدثني شيخ قلوري بهذا قال إن الحجر الأملس لا يعمل فيه الحديد إلا الفولاذ.

وإلى حنت عتر خمس فراسخ وهو عتر بن ربيعة العيسى، وهي أرض ذات شعاب ومكسرات وبها بئر عذب فرات، وإلى حذاك ستة فراسخ، وإلى بحري خمس فراسخ، وبه تررع الحطة في العام مرتين، بعد كل ستة أشهر مرة، وهذا خلاف كل العالم في الررع.

وإلى الدرب فرسخين [كذا] وإلى أرض ليلى العامرية وقيس بن الملوح، ويقال: إن ليلى العامرية وقيس بن الملوح كانوا في هذه الأرض وماثوا بها، وفي قبيلتها يقول الشاعر:

ألا ليت أمي بالمنا عامرية إذا صابها ضيم دعت بالعامر

وإلى بوا فرسخ، أول معاملة بحلة، وهم الذين يسمون السرو.

ذكر السرو

فأما السرو فإنهم قبائل وفحود من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشايخ منهم وفيهم، وهم بطون متفرقون، فإذا خرج أحدهم إلى سفر أتت المرأة إلى عند المخلف، أي عشيق تلك المرأة، يحاصصها إلى أن يرجع زوجها، فإذا قرب المسافر من منزله نادى بأعلى صوته: أيها المخلف اللعوج، قد حان وقت الحروج، ويدخل المسكن عملة فإن وجده في المسكن قتله، وإن كان قد خرج فقد عفا الله عما سلف.

وسألت رجلاً منهم في مكة فقلت له: أيها الرجل والربيل ماذا يصنع المخلف؟ فردّ أسوأ الجواب فقال: يسحق الحجير ويمحق المرأة.

وغاية حج القوم عمرة أول رحب وقد صحن لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تلك العمرة بحججه كامله مقبوله^(١) فإذا دخلوا مكة ملأوها خزا من الحطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدحر واللوز والزبيب وما يشابه ذلك، ولذلك يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمانا نكسب منهم القوت.

يقال: إن معاملته يوازي مائتي قرية أو أكثر، ومن جملة القرى الحائنين المسلم

(١) لم نجد ما يؤكد صحة ذلك فيما بين أيدينا من مراجع، والثابت في ذلك في عمرة رمضان لقوله ﷺ: ... ومن أدى فيه ما قلته كان كمن أدى فريضة فيما سواه وذلك من ناحية الأجر والثواب فقط، لأن عمرة رمضان لا تسقط فريضة الحج عن صاحبها أصلاً، والله أعلم.

وعقدة والفرع وحدا والراهن وسعموم وبريب، وبها وقعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الأفعى فقتله.

وبه جبل إبراهيم الحليل، عليه السلام، وسهور والفروات والشعبيين واللقاع وحرف والرجعين وهي قرى جماعة، وبهذه الأعمال كانت وقعة بنى تميم وبكر ابن وائل وهي حرب مها هلك لقيط بن رزارة أخو حاجب بن زرة وحسن. وإلى الفرداء ستة فراسخ، وإلى الملحاء ستة فراسخ، وهو جبل عظيم والله أعلم.

ذكر جبل الملحاء

حدثني أبو علي أحمد بن محمد بن آدم اليربوعي قال. لما ملك تبع حريره اليمس وأرض حصر موت وبلاد الأحصاف والحجاز وأراد أن يخرج إلى ناحية العراق فجاأ إلى هذا الجبل وأراد أن يحفر فيه سرباً عظيماً فحفر تحت الأرض مسيرة ثلاثة فراسخ أو أكثر من ذلك مستغلاً متحذراً، فلما حفر هذا القدر أمر أن يحفر في أواخر السرب بلداً عظيماً، والأصح سوقاً عظيماً، بدكاكين متقابلة مصطفة على حيط واحد ما مقداره ألف دكان وتقر من وراء الدكاكين الدور والأماكن.

فلما تم عمله ملأ كل دكان من الدكاكين صنفاً من الأمتعة والأطعمة ومن الحوائج والعقاقير وما يحتاج إليه من ثقل وخفيف وحيرة له، وحفر في وسط السوق بئراً واسعاً عميقاً^(١) في الطول والعرض، وجمع جميع الأموال التي كانت معه

(١) هكذا في الأصول، وقد ورد لفظ البئر في القرآن الكريم بصيغة التأنيث في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مَعَطَّةٍ﴾ [الحج - ٤٥] والله تعالى أعلم.

وكنزها في البئر وجعل الذهب يمان لأنه قد نصب على خرزة البئر عوداً معرضاً وفيه طلسم إذا أنزل إنسان رجله على العود المعارض دار العود، وفي العود سيف مصروع قاطع يضرب الإنسان نصفين يرميه في الشر.

قال ابن المجاور: وما أظن السيف أصله إلا من الصاعقة التي ضربها يافث بن نوح، عليه السلام.

ذكر سيوف الصواعق

حدثني عيسى بن أبي البركات بن مظفر العلادي قال: أما سيوف الصواعق فتلاثة، وقبل: سبعة، وقال آخرون: بل أربعة عشر سبعة، صُرت في أيام يافث بن نوح، عليه السلام، وذلك أنه لما مات نوح، عليه السلام، وقع الحلف بين أولاده في طلب الرئاسة فتمرقوا، فطلبت يافث المغرب وبقي بها مدينة جاللقاه، وطلب أخوه حام المشرق وبقي بها مدينة جابرسا، وأما ما كان من أمر يافث فإنه جمع الأموال أموال الربع المسكون وعباها حريم وعمل عليها طلسماً وركب السيوف على الطلسمات، وبقيت الكنوز على حالها إلى أيام دى القربين، فحينئذ أبطل الخضر عمل الطلسمات وأخذ ذو القربين تلك الكنوز.

قال ابن المجاور: وإحدى تلك السيوف في جبل الملحاء في البئر التي فيها الكنز الذي أودعه تبع.

ويقال: إنه يسبك من الصاعقة وزن حة حردل على الفولاذ ويضرب منه سيف

لم يحمل لعمد بل يوضع في جراب حزم، وقيل: إذا وقعت الصاعقة لم تسكن إلا إذا أفلت عليها الخل وإنها إذا وصلت الماء وقفت وإذا لم يفلت الخل عليه فإنه يخرق تخوم الأرض، والأصل فيه أنه عمود من حديد جهنم، نعوذ بالله منها

فصل: قال الله عز وجل ﴿لَا تَبْنِي فِيهَا أَحْقَابًا﴾^(١) قال بعضهم: الحقب أربعة آلاف سنة، والسنة أربعة عشر ألف شهر، والشهر أربعة آلاف يوم، واليوم أربعة آلاف ساعة، والساعة مقدار سبعين ألف سنة من سنى الدنيا.

قال ابن سلام: مساكن أهلها، سأل الله أن يعطينا من شرها، ويؤخذ قياس نازها وحديدتها من قياس أيامها وساعاتها.

ويقال: إن السيوف المذكورة أربعة أصناف:

الصنعاني: يضرب في صعاء، فنقدم قصير لأنه سيف الرجال، يقطع الناس سوى الرطب، وعلامته أن يكون في وسطه مرارعة. ويقال: مرارب واحد، وكثير ما توجد هذه السيوف في حبال اليمن عند العرب

والكرماني: قديم ضرب في أيام دولة ملوك العجم بكرمان، وهو قصيب ماد، ما بين القصير والطويل، وأصل هذه السيوف من الفولاذ، وبلد هراة محصور به.

وقيل: بل كان عندهم معدن يستخرج منه الحديد، وعاية ما توجد هذه السيوف عند الأكراد الشاروية والبلوج والكوشان والأوغان والسرهدية من أعمال غزنة

والإفرنجي: سيف طويل ماد بالمرّة وما يطولونه إلا لأجل الفرسان، وأصله من

(١) الآية: ٢٣ من سورة النبا

تكاسير نعال الخيل ويسقى من ندوة ررع بلادهم، ليس بالمرّة ويقطع في اللين دون اليابس ولربما قطع اللحم في البدن وسلم العظم، وعاية ما تجلب هذه السيوف المعروفة عندهم في علب الحشب، وعلامته أن يكون به كف إنسان فهو الجيد، ويقال: إن الذي نقش على سيوفه ذلك ضرب أربعمئة سيف لم يضرب مثلها في الريح المسكون.

فلما رأى ملك الروم هذه الصعة الشريفة أمر بقطع يده اليمنى، فلما فعل به ذلك ارتحل من المدينة التي كان يسكنها وزل بمدينة أخرى فصرّب يده اليسرى أربعمئة سيف آخر ونقش عليها الكموف، فما جرب سيف من تلك السيوف إلا نراه وهو حديد أبيض وفي وسطه مرازب.

والهندي: أصناف شتى، فمن حملتها الكحري، يصرّب في السد وأصله من حديد وهو لاد هراء وعلامته أحمر اللون كأنه السلق، وشيء منه أحمر يشبه لون النار يرفع الدرهم ويمرّ مرسخ الجمل، وصف تأتي من الروهيبا يصرّب في بعض الأقاليم يتلوى وهو قصيب ماد فيه جوهر شبه العبار وهو ما بين ذلك قواماً، والصف الثالث فيه أهلة يصرّب في خور موهل ويقال بحار يديها سيوف طوال عراض بالمرّة ذات جوهر عالٍ لا غليظ ولا دقيق إلا وسط وهو يقطع في اللين لا عير، ومنه فلالك الشاهي يصرّب في الكور، ويقال في مرهب سيوف طوال عراض بالمرّة، الواحد خفيف مرهف وعلامته أن يكون جوهره أربع أصابع وهو غليظ حشن كخشونة حضرة الكراث أول ما يست قد اشتبك بعصه في بعض شبه نعاين ملتفين، وأربع أصابع منه شبه جمع الذر^(١) على الشيء حلوه، ويان الجوهر في

(١) صغار المل.

أرض السيف شبه فضة سُكَّتْ مع الحديد، يان جوهره أبيض صافٍ والأرض منه زرقاء سماوى.

ويقال: إنه أُهْدِيَ إلى الملك قطب الدين أليك الأبل من هذه السيوف سبعين بندا إلى سبعين سلسلة.

ويرى فيها مائية وبداوة شبه ماء الرلال، إذا رفعت انحدر وإذا حططته صعد، يابس يقطع فيما يرطب، وبه يضرب أعناق الجواميس قدام البيوت في يوم عيد لهم، وحاصيته إذا معص فؤاد إنسان يعسل سبعا من هذه السيوف ويشرب ماءه يزول عنه ما يشتكى من المعص.

وأما السيوف في العالم فكثيرة الأصناف ونصرب في كل بلد وإقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارفعوا دون غيرهم وعرفوا بأنهم جسيم ورفعتنا بعضهم فوق بعض درجات^(١).

ولنرجع إلى الحديث الأول

فصار أهل هذا الرمان يدخلون كيب عرل الوير ويصطحبون معهم سراجا ومقدحة وحطافا وفتل وير يشد حيط الوير في رأس باب الغار، وكلما مشى أحدهم نشر العرل والحطاف، فإذا وصلوا إلى الدكاكين رأوا فيها من جميع الأمتعة والأقمشة وقد تهرت من طول المدى والحديد قد علاه الصدأ، والصفير قد ترنجر، فيأخذ جميع ما يرى له فيه رمتق، ويجد بعض القرم ذهباً وقصة ودراهم.

(١) هكذا في الأصل الخطاب للماتل.

وإذا رجع القوم لا يرالون يكبون عزل الوبر وهم راجعون إلى قم السرب، فذلك العمل دأب القوم.

ويقال: إن بها ثلاث طرق إحداها تعد إلى سوق عكاظ، والثانية إلى جبل الملحاء، والثالثة تنفذ إلى بركة فيد، وهي أقربهم مسافة.

حدثني أبو علي بن آدم البيرني قال: كثير من الرعاة ممن يحمل الدثب على غنمه فيقوم الراعي بطارد الدثب يريد يقتله فيقع على المطلب، وهو طريق تمتد إلى وسط البئر التي تقدم ذكرها، وطريق وسطى وهي التي بجبل الملحاء، والبعيدة التي تلي سوق عكاظ، والمكان إلى الآن ماقٍ بزله من أراد على ما تقدم ذكره.

وإلى أبدة فرسخ وهي قرية حصينة في وادٍ ثم، وإلى العقيق ستة فراسخ، وهو بلد يدينغ فيه الأدم ومنه يحلب القرص إلى مكة سويها الأمير أبو الحسن بن المعلم يقول:

قل يا رفيق .. المستها م . متى يفيق المستها
هذي المنارل والعقيق حق فأين ليلي والخيسام؟

وقال أيضا:

قف بالخيام المشرفات على الحما وامزج دموعك في مغانيها دما
وإذا مررت على العذيب فقل له هل ضربة تروى العدى من الظما
إني ندمت على الذين ترحلوا يوم الغوير وحق لي أن أندما
فوددت لو سمحوا على بعودة يرا بها الطرف القريح من العما
يا عين لا يذهب بناظرك العما فلبمما دنت الديار ورمما
إن بات جسمي في سهام فإد لي قلبا ينمما بالعقيق متيما

والى تبالة ثمان فراسخ، والى الجبل ثمان فراسخ، وهو جبل بنى بلر وجميع من بها يهود، والحصن حصن مكين فى طرف جبل عال، والله أعلم.

ذكر نهر السبت

قالت أهل الذمة: إنه فى أرض التيه، وحدثنى يهودى صانع بعدن قال: إن نهر السبت فى أرض يقال لها: صيون والأصح أنه فى الحجاز ظهر، وهو نهر رمل سيال يجرى من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت لم يقدر الإنسان يعبره من شدة جريانه فى ذلك اليوم ويسكن باقى الأسوع، ووراء هذا النهر من اليهود مائة ألف ألف رجل وامرأة وهم رائدون على العد حارجون عن الحد، والقوم عرب يعتقدون القاف الألف فى لغتهم، وفى جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام، ويقال: إنما حصلوا هؤلاء اليهود فى هذه الأرض والأعمال إلا من غزوة بختنصر البابلى لليهود بأرض الشام وديار مصر والأصح لإظهار الله عز وجل محمداً ﷺ فخرجوا هاربين من خيبر ووادى القرى وسكنوا هذه الأراضى، والى الآن إذا تاه بعض الحجاج بطريق مكة ووصل إلى القوم معصهم يقتله وآخرون يقبلونه ويردونه على أحسن حال.

فصل: مما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الراى فى كتاب معرفة الأديان. مسألة شرعية، قال:

إن لليهود يوماً إذا عمل فيه إنسان شعلا حل دمه، فإن لم يعمل فيه الشغل حل دمه، قلنا: وما ذاك؟ قال: إذا ولد لليهودى طفل ففى سابع يوم الطفل يطهر - أى

يُحْتَن - فإذا اتفق صاحب الطفل يوم السبت وخُتِرَ الطفل حل دمه لكسر سنته، وإن لم يُحْتَن حل سفك دم والده لمخافة والده الشرع، وذلك شرعهم لأنه قال برك الأوامر.

فصل: قال بعض الصاري: إن الإسلام عجب! قلت: وما رأيت من العجب؟ قال: إن تنصر الإنسان حل قتله بمعنى لامتاعه^(١) في دخول الدين الحنيفي وإن أسلم قطع - أي حتن - فجريان الدم في الحالتين حاصل، وكذلك اليهودي قتله في الحالتين حاصل على الحر الأول، وفيه أعدم.

ذكر شهور اليهود

قمرية وأوسط المسير تشرى ومرحشون وكيليو وطست وشفت وادار ويسر واير وميون وتمر وأوب وإيل^(٢)، ويعمل على هذه الشهور جميع يهود الربع المسكون.

ما الفصح؟ في أعياد اليهود حرج فيه بنو إسرائيل من مصر هاربين من بعد

(١) الصواب أن يقال: لارتدادهم عن الدين الحنيفي، لأن المرتد هو الذي يحل دمه، وقد كان مسلماً، فكيف يستحق عن دخول شيء كان فيه أصلاً.

أما الصاري واليهود الباقون على ديانتهم فهم أهل كتاب، ولهم أحكامهم الخاصة بهم، وليس منها سفك دمهم لامتاعهم عن الدخول في الإسلام، والله تعالى أعلم.

(٢) أسماء الشهور ما قرية من أسماء الشهور المعروفة لنا الآن، مثل شباط لغبرير، وبسان لأيريل، وتمور لولية، وآب لأغسطس، وأيلول لستمبر، وهكذا...

أن تخلصوا من العبودية وقربوا القرايس كما مثل لهم، وهى سبعة أيام تسمى الفطير لا يجوز لهم أكل اللحم ولا إمساكه فى الرحل، وفى اليوم الآخر منها غرق فرعون فى بحر سوف، وهو القلم ويعرف هذا اليوم بالكبس^(١).

ما العنصرة؟ هو السادس من سيون يسمى عشر مشتق من الاجتماع وهو حج من الحجاج لإدراك العلال.

ما الكفور؟ هو اليوم العاشر من نثرى وهذا ربما يسمى العاشوراء، وأما الكفور فهو من تكفير الذنوب، وهذا اليوم فقط هو الذى فرض على اليهود صومه والقتل على من لا يصومه، ومدة الصوم خمس وعشرون ساعة يتدى بها قتل غروب الشمس فى اليوم السابع ويختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر، ولا يجوز أن يقع الكفور فى يوم الأحد ولا فى يوم الثلاثاء ثم فى يوم الجمعة.

ما المظلة؟ هى بلعتهم مصلى وهى سبعة أيام، أولها الخامس عشر من نثرى، وكلها أعياد يحلسون فيها تحت الظلال من الأغصان والحلاف والعنب والرنتون، وقد أمروا أن يسكنوا فيها تذكارا لإظلال الله إياهم فى أرض التيه بالعمام.

ما العربا؟ تفسيره ما الحلاف؟ وهو آخر عيد المصلى أعى بذلك الحادى والعشرين من نثرى، وهو أيضا حج لهم

ما التبريك؟ هو عيد مشتق من البركة، وهو بعد عرابا بيومين.

ما الحنكة؟ هو عيد مشتق الاسم من التنظيف، وهو ثمانية أيام، أولها الخامس والعشرين من كسليو، يسرجون فيها على أبواب دورهم فى الليلة الأولى سراجا

(١) ويعرف الآن بالبحر الأحمر، والقلم هو الاسم القديم لمدينة السويس الحالية

واحداً، وفي الثانية اثنين، إلى أن تتم الثمانية الأيام ثمانية سرج، وذلك تذكار لهم من أصغر ثمانية إخوة قتل بعض ملوك اليونان، فإنه كان قد تغلب عليهم، كان يفتزع من عذاريتهم ويطوف بيت المقدس على بغلة.

ما البورى؟ هو اسم مشتق من الاقتراع والقبال، وهو الرابع والعشرين من آذار يثله نيسن، ويعرف أيضا بعيد المجلة، أى معلا، وسبه أن هيمون وزير احتشويرش أى أبرويز بن أنوشروان كان يكادهم أيام كانوا يبابل فدير عليهم واستأذن فى صلبهم فانقلب الأمر عليه فى هذا اليوم فصلب، ولهذا يعملون تماثيل مصلوبة ويحرقونها ويفرحون بذلك، وللإهود فى شهره صيام ونواقل وأسبابها أمور حدثت فحرمت وأوجبت الامتناع عن الطعام.

وكذلك إذا حاصت المرأة لخدمهم يسكنونها وحدها وتمزل لها آنية تأكل فيها وتشرب منها ولا يقربها أحد حتى تخرج من تطمئنها، أى حبضها، فإذا خرجت منه غدت إلى الحمام فغسلت وامتشطت وتجيء بعد ذلك إلى بيت بئر تسمى طومى.

قال ابن المجاور: ولهم ببغداد بئر تسمى بئر طومى فى محلة حراية بين حرزة، وهو بئر مدرج، وقد عرض فى وسط البئر عود على خررة البئر، وقد ضرب فى الخشبة سلسلة طويلة إلى أن يصل إلى آخر السلسلة ثم إلى قرار الماء، فتخلع المرأة ما عليها من الأثواب وتلزم السلسلة، ولا تزال تسقط فى الماء، أى تغوص، وتسبح إلى أن تقول لها امرأة من أعلى البئر. بظمت، أى تطهرت، فإذا سمعت المرأة ذلك علمت أنها ظهرت من نجس الحيض، فحيث نلس جميع ثيابها وجميع اليهوديات يلقينها حين تطهر المرأة.

ويقال في الأمثال: شاور المسلمين، وسم عند النصاري، وتعش عند اليهود،
ويقال: إن للمسلم فرجه، ولنصراني ماله، وللمجوسي رأسته، ولليهودي بطنه.

من الطائف إلى صعدة

حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال إن من الطائف إلى المعدن
أربع فراسخ، وإلى الران ثمان فراسخ، وإلى محري ثمان فراسخ، وإلى اللروب أربع
فراسخ، وإلى يافع ثمان فراسخ، وإلى عدا ثمان فراسخ، وإلى ران كيه أربع فراسخ،
وهو جبل ذو طول وعرض وعليه مجار الحلق، وإلى صمى أربع فراسخ، وهو سوق
يقوم يوم الجمعة، وإلى خفس أربع فراسخ، وإلى مدر أربع فراسخ، وإلى بلاد سي قرن
أربع فراسخ، وإلى بلاد بني عبد الله عشرون فرسخاً، وإلى ذبيان سبع فراسخ.

صفة هذه الأعمال

وحدثني الراوي قال: جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في
الكبر والصغر كل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فحوذ العرب وبطن من
بطون البدو في قرية، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم، وقد
بنى في كل قرية قصر من حجر وجص وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن
في القصر يحزن في المحزن جميع ما يكون له من حوزة وملكه وما يؤخذ منه إلا
قوت يوم ويوم، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترايبعة.

ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والمس، ذو عقل ومطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالعه أحد فيما يشيره عليهم ويحكمه فيهم.

وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ولا يؤدون خراجاً ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، فلهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتغلب بعضهم على مال بعض ويصرب قرابة زيد على أموال عمرو وهم طول الدهر على هذا الفن، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والحيرات وأكلهم السمس والعسل، وهم في دعة الله وأمانته، وهم فنوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب.

وَأَمَّا دَهَبَان

فهى أم القرى بلاد عز، ويقال: إن در أعمالها أربعون فرسخاً، وهى نجد اليمن، والأصح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقى تهامة، وهى قليلة الجبال مستوية البقاع.

وتجند اليمن غير نجد الحجار، غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن.

والى بلاد قحطان أربع فراسخ، والى راحة بنى شريف فرسخان وإد فيه وضعت مدينة البصرة ويسمى درب العقيق، والى صعدة عشرون فرسخاً وهى مدينة ذات عمارة وأرض نزه ودرب أمن.

قال ابن المعجور: وفي هذا الطريق من الأمم والبلاد والمدن والقرى ما لا يعد ولا يحصى ولا تحويه أقلام الدواوين، أى فى صعدة الحذب وشرب أهل البلاد من أنهر سائجة، وبعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على الفؤاد ذات هضم ولذة.

من الطائف إلى مكة

راجعاً من الطائف إلى حذب الرنج فرسحان، وهو كهف جبل، وإلى الطود الأعظم ثلاث فراسخ جبل طويل وهو الذى يسمى الحجاز

ذكر الحجاز

قال الأصمعي: سميت بذلك الحجار لأنها احتجرت بالحجار الحمس، منها حرة بى سليم وحرة واقم، ويقال: احتجز الرجل يزار أى شده على وسطه، ومه قيل: حبيزة السراويل، وقول العامة حزة خطأ.

وقال الخليل: لأنه فصل ما بين الغور والشأم وبين البادية.

وقال الجوهري: إنها حجرت بين نجد والعور.

وقال أهل اليمن: مكة يمانية، والدليل على برهانه قول السبي [وقد] وقف على المتكأ وقال: «هذا شأم وهذا يمس»

وقال أهل الطائف: مكة تهامية لأن ما بين نجد وتهامة جبل يسمى الطود الأعظم، فكل ما غرب منه فهو تهامة، وما شرق منه فهو نجد.

وقال أهل العراق: مكة أرض الحجارة.

قال ابن المجاور: إن الطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجار بعينه لأنه حجز ما بين نجد وتهامة، ويقال: إنه جبل متصل إلى اليمن، وديار العرب هي الحجاز التي تشمل على مكة والمدينة واليمامة ومحاليفها ونجد الحجار المتصل بالبحرين، وليس في سائر الأقاليم أطيب منه لا أصح من جوده وهواه، كما قال:

اسکندریہ - قناری لوقرفیہا قناری

لكن ليلى بنجد وبالبحازنه ناري

وبادية الشام واليمن المشيخلة على بهامة ويحد اليمن وعمان ومهرة
وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن ومائر مخاليف اليمن.

فما كان من حد السرين فهي تنهى إلى ناحية يللملم حتى تنتهى إلى ظهر
الطائف ممتدا إلى بحر اليمن إلى بحر فارس شرقاً من اليمن فيكون ذلك نحو من
ثلثي بلاد العرب، وما كان من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين راجعاً إلى
حد الشرق على هجر إلى جبل طيى ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من
الحجاز ومدين.

وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على يادية البصرة حتى يمتد
على البحرين إلى البحر فمن نجد.

وما كان من عبادان إلى الأنبار وبواحيها لجد والحجار على طي وأسد وتميم
وسائر قبائل مضر بادية العراق.

وما كان من حد الأنبار إلى بالس وبواحيها لبادية الشام على أرض تسمى برة
حسان إلى قرب وادي القرى والحجر من بادية الجزيرة.

وما كان من بالس إلى أيلة موجهها للحجار على بحر فارس إلى ناحية مدين
معارضاً لأرض تبوك حتى يتصل بديار طي من بادية الشام.

وعلى أن من العلماء من يقسم هذه الديار ورعم أن المدينة من نجد لقربها
منها وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها

من مكة إلى جدة

من مكة إلى عين أبي سلمان فرسخ، وهي غيب تجارية وقد غرس عليها نخل
وشجر السدر، وإلى مقتلة الكلاب فرسخ، وكان السبب فيه أن لرجل من الأعراب
كلباً فحمل الكلب على رجل من أهل الحلة فنبه وعوره فقتل المنيوب الكلب،
فجمع صاحب الكلب بنى عمه وجمع لمنيوب أهله وقامت الحرب بين الفريقين،
وما زالوا على قتالهم إلى أن قتل الجميع فعرف المكان بمقتلة الكلاب.

والى الركابية فرسخ، وهي بشر حول جبلين على يسار الدرب تسمى رشان،
وفيه بعض الأعراب يقول:

أيا جبلي رشان يا الله خيرا متى جاركم يسر الحجاز معرضا

والى حدة فرسخ، وكانت أرضاً مودعة لبني البدرية فباعوها فاشتراها منهم سليمان بن علي بن عبد الله بن موسى واستخرج العين، وقيل: كانت العين على حالها فبقيت في أيدي القوم مدة زمان يستعملونها في إدراك العلال، فاشتراها منهم الشريف الحسين بن ثابت السديدي وعمرس في جميع البلاد نخلا مقدار عشرين ألف نخلة والقوم ملاكها إلى مئة اثنين وعشرين ومئة.

وفي هذا التاريخ ملك الأمير طسعا الملك الكامل ولاية الحجاز وملك نخل الأشراف مستهلكا لها وأحد هذا النخل في جملة ما أخذ، والنخل رجع الآن سلطاني.

ويقال: إنما عرف حدة بهذا الاسم لأنه أسر حدود وادي نخلة والأصح أنه من وادي الصفراء إلى القرين فرسخ، بناية الأمير هاشم، وكان يوقف في الموضع ربة خيل يجيرون القوافل في الطرق وكان لهم على كل جمل ديار علوية، وهو حصص صغير مربع مبنى على أكمة بالحجر والحصى، وقد هي على دوره ثلاثة عشر برجاً صغاراً تحتها بئر طيبة الماء عذبة، وإذا قل الماء في حدة فمنها يستقى الماء أهل حدة.

ويقال: إنما سمي القرين قريناً إلا لأنه أقرن بصف الطريق ما بين مكة وجدة، ويقال: أقرن بيناه العذل والأمن.

والى كتانة فرسخ، يقال: إن الله عز وجل أهلك الحشنة الواردين بالقييل من صنعاء بهذا المكان.

وإلى الشديين ميل وهو بين جبال عوالٍ آخر الوطاة وأول الأودية وقد كان قصراً
بنى بالجص والحجر والآن خراب.

وإلى وادي السدرة فرسخ وهي شجرة ستر صغيرة على أيمن المحجة ومنها
رجع النبي ﷺ، وكل من يجوز الوادي يأخذ من أوراقها لأجل البركة ولم تهرح
السدرة على حالها لم ينقص منها شيء إلى الآن.

وإلى العار نصف فرسخ، وإلى العج الأحصر نصف فرسخ، وإلى الفرع نصف
فرسخ، وإلى مشوب نصف فرسخ، وإلى أبو^(١) الرحم ميل وهو جبل صغير على أيسر
الدرب، وإلى النهود ميل وهم اثنا عشر حلاً متفرقين شبه النهود، وإلى المننة نصف
فرسخ، وتسمى الحديدية، ويقال: إن النبي ﷺ وصل إلى هذا فصار كلما سار تبعد
عليه الطريق فرجع منها وقال: ما أبعثك إلا قريباً الله، والموضع سبخة طويلة في
أرض وطيئة مثل الكف، وإلى جدة نصف فرسخ.

بناء جدة

حدثني موسى بن مسعود الساج الشيرازي قال: لما أسلم سلمان الفارسي،
رضي الله عنه، تسامعت أهلوه بالخبر فقصده وأسلموا على يد رسول الله ﷺ
وسكنوا جدة لأنهم كانوا تجاراً.

وقال بعضهم: بل هي بلاء خسرو بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام.

(١) اسم مقصود لذاته، كما نقول: قرأت من سورة المؤمنون

ومما ذكره أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عباس في كتاب الفاكهي قال: أول من اتخذ جدة ساحلاً عثمان بن عفان وكان قبل ذلك بموضع يسمى الشعبية.

قال ابن المجاور: والشعبية هو خور عظيم ومرسى قديم مقابل وادي المحرم، لا شك أنه كان قبل جدة لأن ما في تلك النواحي مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبة.

قالت العجم: فلما خرجت سيرا ف انتقلت أهل سيرا إلى سائر سواحل البحر [كما تقدم ذكره] فوصل قوم منهم وفيهم اثنا: أحدهما يسمى سيار والثاني مياس فسكنوا جدة وأداروا على البلد سوراً من الحجر الصم بالحصن، فلما ابتدأوا في المقام بها بنوا هذا السور وجعلوا عرص الحائط عشرة أشراف بقي السور على حاله حتى تمكنوا من المقام فسوا على وجه السور سوراً ثانياً من الحجر الكاشور منقوش، أي منحوت مربع، بالحصن وجعلوا عرض الحائط خمسة أشراف فصار عرض الحائطين الملتزمين بعضهما إلى بعض خمسة عشر شراً.

وركب عليه أربعة أبواب. باب الرومة وباب المدينة، وكان عليه حجر حفر فيه طلسم إذا سرق في البلد سارق وجد بالعلامة اسم السارق مكتوباً في الحجر، وباب مكة، وباب الفرضة مما يلي البحر، وحفر حوله حندق عظيم في الوسع والعمق، فكان يدور ماء البحر حول البلد ويرجع ما فضل منه إلى البحر، والبلد يصير شبه جزيرة^(١) في وسط لجم البحر.

(١) الصواب أن يقال: جزيرة، لأنها المكان الذي تحيطه المياه من جميع النواحي، كما هو الحال هنا، أما شبه الجزيرة فيحيط بها الماء من ثلاث نواح فقط.

فلما حصن الفرس البلد غاية التحصين حاف القوم من صبيعة الحاء فنوا ثمانية وستين صهريجاً داخل البلد وبنوا ظاهر البلد مثلها، والأصح أنه بُني بياطن البلد خمسمائة صهريج ويظاهر البلد مثلها، والله أعلم بصورتها على هذا الوضع والترتيب:



ذكر بعض الصهاريج

أبو الطين عامر والمرياسي والحفيرة والسحيلات وصهريج أبي بكر والحجري
والصرحي وصهريج السدرة والحوار والفرحي وصهريج يحيى الشريف والودية والصادر
وصهريج البيضة والبركة وصهريج أم ضرار وصهريج بركات وصهريج سليمان العطار
والطولاني والعرضاني، فكان إذا وقع الميث امتلأت منه الصهاريج التي بظاهر البلد
كانت العبد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقله في الصهاريج التي عدهم في
الدير، وكذلك صهريج الأحمسي وصهريج مسعد الأسوس وصهريج الجامع
وصهريج ردية وصهريج محمد بن القاسم، وكان يقي الماء عدهم من العام إلى
العام وهم في أكل وشرب وغسل ولعزل وجد وأرج ومرج

ذكر خراب جدة

أنفذ صاحب مكة إلى شيخ التجار بجدة وطلب منه حملاً حديدًا، فقال الشيخ
للعلام وهو واقف عنده: أعطه حملاً حديدًا، فجاء العلامة فأعطى الرسول حملاً
حديدًا، فلما فتح الحمل الحديد قدام الأمير بمكة وجده قضبان ذهب، فرد الرسول
راجعًا وقال: قل للشيخ يتفضل ويسم ويعد إلى يحمل ثان من حديد هذا العين.

فلما علم التاجر بقصة الحال نادى الغلام وقال له: ما أعطيت الرجل ؟ قال:
حمل حديد أصفر من طول الحما وقد علاه الصدى من طول المدى، فتتحقق

الشيخ عند ذلك أن الحمل كان قصبان ذهب وعرف أنه قد طمّع فيهم، فقصده الشيخ إلى شيخ كبير كان عندهم في السن فشاورة في أمره وما يصنع، فقال له الشيخ: الذي عندي أنكم قوم موسرون فخذوا جميع ما تحتاجون إليه ويركب كل مركبه ويطلق في هذا البحر الواسع، وأي موضع أعجب الرجل منكم نزله وسكنه بعد أن تحلوا البلد كجوف حمار أو كرأس ليس فيه حمار، فعند ذلك عبوا أمتعتهم في المراكب ورفع كل قلعه ودخلوا البحر وذلك في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة.

ويقال في رواية أخرى: إن العرب جاءوا وحاصروا القوم فلما قل عليهم الماء ركبوا مراكبهم وحلوا في البحر فسكر قوم منهم السرين والراحة وعشر والجرعة والدرعة ودهلك ويلول وجدة من جزيرة فرضان والمحاء وعلافة والأهواب والشمدة وجزيرة دهان وكسران وندر موسى وباب موسى

فلما حلت الأرض من الأصحاب ملكها الأعراب في دولة الأمير داود بن هاشم قال ابن المجاور: رأيت في المنام كأن قاتلا يقول لي: ما استفتح جدّة من العرس إلا مضى بن هاشم، والأصبح شكر بن أبي الفتوح، ومن عهدهم حرّبت واندرست وبقيت الآثار خاوية على عروشها كما قال الشاعر:

لا بلغ الله نفسي فيك منيتها	إن كان بعدك بعد الدار غيبي
جعلت دمي على ذكراك محتسبا	والدمع عتوان ما يخفى من الحزن
واقسمت مقلتي ما لا تظن به	فالدكر يجرى ويجري الدمع في سني
وقال لي قد بانوا فسقلت له	قد فرّق الله بين الجفن والوسن

ولأبي بكر أحمد العدى:

يا راقدا الليل بالإسكندرية لى
ألاحظ النجم تذكارا لرؤيته
وأنظر البدر مرقاحا لرؤيته
وقال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لن هفت ورقاء فى روثى الضحى
بكيت كما يبكى الوليد ولم يكن
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
بكل تدابينا فلم يشف ما به
وقال آخر:

ليالينا بلدى الأتلات عسودى
فإن حديثكم فى القلب أحلى
تشرق فى ربا الأتلات عودى
وأطيب نعمة من صوت عود

ذكر فضيلة جدة

مما ذكره أبو عبد الله بن محمد بن إسحاق بن عباس فى كتاب الفاكهى
قال: حدثنا محمد بن على الصائغ، قال: حدثنا حليل بن رجاء قال: حدثنا مسلم
ابن يونس، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن ضوء بن فخر قال:

كنت جالسا مع عباد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت له: الحمد لله الذى

جعلنا في أفصل المجالس وأشرفها، فقال: أنت في جدة الصلاة فيها بتسعة عشر ألف صلاة والدرهم فيها بمائة ألف وأعمالها بقدر ذلك يغفر الله للناظر فيها مد بصره.

قال ابن المجاور: وما أظن هذه البركة إلا من جهة أم الشر حوى صلوات الله عليها لأنها مدفونة بظاهر جدة.

وكان الفرس قد بنوا عليها ضربها بالآجر والجص محكمًا بقى إلى سنة إحدى وعشرين ومستمائة فهدم هذا التاريخ تهدم وارتسم بعصها على بعض ولم يمد بناءه، ورأيت عامرًا قائمًا، وقد رأيت خرابًا وقد ارتسم بعصه على بعض، وهو موضع مبارك مستجاب فيه الدعوة.

ذكر أخذ الجزية من المغاربة

حدثني إسماعيل بن عبد السود بن البيع البعادي قال: إن الأمير علي بن فليته ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم كان يأخذ من المغاربة جزية في جدة إذا قدموا للحج، كان يأخذ من كل رأس سعة يوسقية وزن كل يوسقى ثلاثة عشر قيراطًا وحية بورن مكة، وكان القواد يوزنون المغاربة أيضًا على كل رأس يوسقى في دية الكلب.

والموجب لذلك أنه جاء في جدة كلب فأخذ رغيف خبز فالتامت المغاربة فقتلوه فقامت القواد ليقتلوا المغاربة، فلما رأت المغاربة عين الهلاك أقروا على

أنفسهم أن يزن كل واحد منهم يوسفى في دية الكلب، فتقرر ذلك عليهم فكانوا يزنون للأمير سبعة يوسفية ويوسفى للقواد وصار المبلغ ثمانية يوسفية على كل رأس.

ومن لم يزن كانوا يأخذونه ويدلونه في صهرج من صهاريج جدة، والأصح في صهرج مسجد الأبنوس، ويقال: إنهم كانوا يصيرونهم إلى جزيرة صندلة، وقيل: إلى جزيرة أبي سعيد ويعلقون أقدامهم بحقوه وقد عُرض بها أحشاب لهذا الفن فإذا حج الناس وقضوا ماسكهم وأفاض كل راجعاً إلى مقصده فحيث يخرجون المغاربة من الصهاريج والجور وقسطوهم على المراكب الراجعة إلى مصر والراجعة إلى عيذاب والقلزم.

فصل: مثل قائد من القواد لم تأخذون منهم هذا اليوسفى وهم أشد الناس بحلا وأرق الناس في الحلق قال: لقول الشاعر:

وخذ القليل من البخيل وذمه إن القليل من البخيل كثير

قال الحسن بن محمد بن الحوت: ليس هو كذلك وإنما كان يزن أحدهم سبعة يوسفية ونصف كل يوسفى ستة وعشرون قيراطاً وحبنتين بوزن مكة، وفي دية الكلب نصف يوسفى فصار المبلغ ثمانية يعقوبية، أسس ذلك في دولة الأمير عيسى ابن فليته وبقي يحيى على حاله إلى أواخر دولة الأمير مكث، فلما كثرت الأقاربيل ووصل هذا الخبر إلى مسامع العالم أنفذ صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب إلى الأمير مكث بأربعة آلاف أردب حطة، والأصح ستة آلاف أردب، إلى جدة وإلى مكة وقال له: خذ هذا القدر واركع عن المعاربة الجزيرة مع دية الكلب، فأزال الأمير

مكرر ذلك كله في سنة ست وثمانين وستمائة، وبقي الأمر على حاله في أيام الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم وأراد أن يرد الشيء إلى أصله، يعني أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت وارتفع عنهم.

حدثني أبو الربيع سليمان بن الربيع الطرابلسي قال: وكان ملوك الفاطميين يوزنون المغاربة جزية على كل رأس دينارين وقبراطين.

فصل: قال ابن المجاور: رأيت في المنام ليلة الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة كأنني حدثني الأمير ناصر الدين فاروق والي عدن، وفي هذا التاريخ تولى إمرة الحاج إضافة إلى ولايته الأولى، وكان الحاج قد رجع من مكة إلى اليمن، وكأنه يقول: كل من حج ورجع إلى الهند يورثه عبد الغفور بن أحمد ابن محمد بن محمد الصناديقي المصري جزية عن كل رأس اثنين وتسعين قلى، ولو أن الحاج عقال لما سافروا إلى الهند إلا في مركبي حتى كنت أعطوهم مقرعتي فيأمن القوم من شر عبد الغفور في أخذ الجزية منهم، وينو مهدي ولاية زيد ما كانوا يستحلون أخذ المكوسات من أحد ما حلا الحاج، وإنهم كانوا يأخذون منهم مقام الدرهم ثلاثة دراهم.

ذكر الجار

وهو مرسى قريب من جدة ترسى فيه المراكب الواردة من الديار المصرية وهو بحر أسود جيفه وموج هائل تبطل فيه حيلة السابح.

فصل: سمعت من أفاضل جماعة بمكة وغيرها أنه وقع من يد بعض السراملة

قدم بهذا المكان فشد في وسطه جراب وبل ليأخذ الفاس فلما غور في النزول سمع هاتفاً يقول له: إلى أين أنت مارل يا عبد الله؟ فقال: نزلت لأخذ ما انفلت من يدي، فرد عليه الهاتف: انفلت من مركب بهذا المكان أتجر فهو في النزول إلى قيام الساعة، والله أعلم وأحكم.

ذكر جزر مطارد الخيل

يقال إنه في قديم العهد لم يكن هذا بحراً وإنما كان عرصية إلا أنه لا فرق بين بر العرب وبر السودان، فلأجل ذلك أن السودان كانت تملك إقليم اليمن جميعاً دائماً في زمن الجاهلية والإسلام، ولما كثر الماء في البحر وظهرت صحوبته من قريب صاروا يعدونه في المراكب، فلما غرق البحر هذه الأراضي وكل موضع كان عالياً رجع جزيرة في البحر يقال لها جزر المطارد، أي مطارد الخيل، ويقال إن العرب في قديم الزمان كانوا يطاردون الحيل في قعر هذا البحر لما كان ناشعاً، ويقال: مرابط الحيل بهذه الأمكة والعلف والشجر موجود.

صفة جدة

هي مدينة صغيرة على ساحل البحر وهي فرضة مكة، وليس يمكن بها السكون لازدحام الحلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتأم إليها من جميع أطراف بلاد العالم والربع المسكون والبحر المعمور من ديار مصر والمغرب والهند واليمن، وإذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق ما بين مكة وجده،

وأهلها من نسل العجم وبنائهم من الحجر الكشور وخصوص وكلها خانات، والخان المعروف بها خان النصر، وهما خانات متقابلان بمحارن كمار، ويقال: إنه بنى بظاهرها الأمير شمس الدين طنبا خان كبير عظيم سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وكل من بنى بها بيت خصوص يرن للسلطان في كل بيت في المئة ثلاثة دراهم ملكية، وأما الدور التي هي بالحجر والجص فليس عليها شيء لأنها ملك لأصحابها وفي تصرف أربابها.

ويقال: إنما سميت جدة جدة لأنها دفن بها أم البشر حوى، عليها السلام، فهي جدة جميع العالم، فلما بنى هذا البلد عرف باسم جدة، أي حوى زوج أبي البشر عليه السلام.

ويقال: إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار والأنهار من أقطارها وأرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب.

ومن مكة إلى المحالب

من مكة إلى القرين فرسخ، بناء الأمير هاشم، وإلى البيضاء فرسخين [كذا] وإلى أيدام ثلاثة فراسخ، بشر حفرة أمير المؤمنين علي بن طالب وجدده القائد الحسين بن سلامة.

وإلى وادي المحرم ثلاثة فراسخ ومنه يحرم حاج اليمس، وإلى فرع خمس فراسخ، أرض بني شعبة، ليس يلبس نساؤهم إلا الأدم، وذلك أن المرأة تأخذ طاقين من الأدم تخيط بعضه إلى بعض وتقرر فيه قوارة وتكتسيه، فإذا مشت بان جميع

بذنها من فوق ومن تحت، وإذا رأى عريب المرأة على ذلك الرى يقول لها: استترى فيقول له زوجها: اكسها، وإن كانت امرأة عريانة وهي لابسة فيقول له زوجها: اكسها، فإن كساها وإلا قتله لأنهم يقولون: من ستر غير.

ولم يكن في جميع العالم أصل من هؤلاء القوم ولا أسرف ولا أكرم ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج لأنهم يسمون الحاج جفة الله، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون: إذا حضر جفة الله لخلقه أكل منه الصادر والوارد.

وإذا قلت لأحدهم: قطع الله رزقك من الحرام! يقول: لا، بل قطع الله رزقك من الحلال، ما ترى عندما من الحير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ولا أحد ولا عطاء، وجميع ما تعملونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من المصائب والمصائب فسلط الله عليكم حتى تستقصي للحاج منكم الحق وتلت الباطل، ولذلك تقول العجم في أشعارها:

أزسيم قوافل انه بل آيدنه رباطى زيراكه همه نوشه حجاج ربايد

وإلى السرين ثلاث فراسخ، بناية الفرس على ساحل البحر، وإلى وادى الأثلاث ثلاث فراسخ، وإلى حصارة خمس فراسخ، وإلى حلى سبع فراسخ، بلد فيه جامع ومنارة، وأول من أضر بها غازى بن متكلان من بنى حارث الكردي في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أبوب، وبقي الحكام على حال إلى أن أعاد بناءه موسى ابن على بن عطية، وهو إلى الآن مالكةا، وجميع هذه الأعمال لبني كنانة، وإنما اشتق اسم حلى من الحلى الذى جمعه السامري من بنى إسرائيل في أيام هارون بن

عمران عليهما السلام وجعل منه صورة عجل، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ﴾^(١).

وفي مشارق هذه الأعمال قوم يقال لهم البهيمية وهم يرجعون في الأصل إلى آل عامر، ويرجع آل عامر إلى سبحان، فإذا نزل بهم ضيف يقول له: بم تعشى؟ يقول: بكذا، وبم تغدّى؟ وما يقدم له إلا ما طلب واشتهى عليهم، فإذا تعشى يقول الرجل لزوجته: روحى أكرمي الضيف! فتجىء المرأة فتنام في حضن الضيف إلى الصباح، بلا خوف ولا حذر، ويقوم الصبح كلُّ يغدو إلى شعله

فإذا حطب زيد بنت عمر وأنعم له عمرو بإيجاب القول دخل زيد إلى بنت عمرو واستفصها وبات معها طول ليلته، فإذا أصبح خرج وترك عليه في بيت بنت عمرو فبعلم عمرو أنه رضى بها، فحينئذ يعقد له عقد الكاح، وإن لس حذاءه وغدا علم عمرو أن ريذا لم يرض بستره، وهكذا في أجاريد هؤلاء القوم

ومصاغهم الصُّفْر والحديد والرصاص، ولياسهم الجلود المدبوغة، وجواهرهم الودّع، ومهرهم قطع الطريق ومنع السبل.

والى الدهساء حصص فراسخ، ونمر وادى عمق وهو محل ويعرف بشرم الجارية، خور من البحر، يُخاص فيه مخاصة، وما عُرف بها إلا أنه حاضته الحجاج، فلما توسطوه زلق جمل وعليه جارية فوقعت الجارية في البحر فأخذها المد وراحت فعرف الشرم، أى الخور، بالجارية.

(١) الآية: ٨٨ من سورة طه.

والى ذهبان أربع فراسخ، وسكانه عرب مجمعة من بنى أسد وبنى ربيع وبنى عاصم وبنى رفدة، إذا نزل بهم نزل يقولون له: بؤس وساحق وعرض وعائق، معنى صاحبة البيت، ولا تدخل معها، أى لا تطأها، فإذا أدخلت معها أدخلنا معك هذا الحنجر.

ويسمى وادى الدوم، وما سعى بذلك إلا لكثرة نخل الدوم بها، وهو شجر المقل، وفى وادى الدوم يقول الشاعر:

وأخسر عهدى منك يوم لقيتنى بأسفل وادى الدوم والثوب يفسل

ويرى جبل كدمل مما يلى البحر.

ذكر جبل كدمل

وهو نصف الطريق ما بين الحجاز واليمن وأول بطن عشر، ويقال: خبت عشر ويقال: كامل وامراته وحمارة، وهم ثلاثة أجيال. جبل كدمل فى البحر وفى لحفه جبل صغير يسمى الحمار، ويقابله فى البر جبل يسمى الكلستان، والكلستان هى التى تسمى المرأة، فيقال: كدمل وزوجه وحمارة، ولا شك أن هؤلاء كانوا جنًا أو بنى آدم مسخوًا جبالًا وأحجارًا، وجبل كدمل هو فى الأصل معدن الحديد.

قال ابن المجاور: وكم سألت على أن أقع لهم على علم تحقيق قلم يحصل ذلك.

والى يعض أربع فراسخ، وهو واد، والى الراحة أربع فراسخ، وتسمى محل

أبى تراب، وتسمى راحة المؤيد، وهو المؤيد أحمد بن غانم بن قاسم بن غانم، وهي قديمة ببتها الأشراف.

فصل: قال ابن المجاور رأيت في المسام ليلة الخميس عرة رمضان سنة عشرين وستمائة كأبى أقرأ كتابة على حجر منقوش، وكان الحجر بنى في جملة أحجار محراب الجامع وإذا فيه مكتوب: إن الراحة والحوى بناء العجم.

حدثني عبد الله بن محمد الراجي بزبيد سنة تسع عشرة وستمائة أنه وجد على باب الراحة مكتوب: ﴿رب لا تفرني فرداً وانت خير الوارثين﴾^(١) فخرج من المدينة هذه عشية يوم الجمعة ألف جرير يتبعها ألف بعير عليها ألف عذراء وأصبح صباح يوم السبت لا يدرى أسماء رفعتهم أم أرض بلعتهم ولا علم لهم حر، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

ووجدنا أيضاً مطراً مكتوباً: بذلنا حمل در بحمل هر وما مسا صر، والله المستعان.

ووجد مكتوب أيضاً في مدينة أبى سبار من أعمال حران: طلبنا البر بالدرب فما وجدناه.

وفي المدينة ثلاثمائة وستون بشراً على كل بشر صحرة عليها مكتوب: لا إله إلا الله موسى كلیم الله، مع التالى لها: كلهن يشن ونحفر بيدك تشرب الماء.

والى هجر أربع فراسخ، ومن ها إلى حران يعرف بالدرب، ومن هذه الحدود

(١) الآية: ٨٩ من سورة الأنبياء.

إلى زيد يسمون أهلها الشمة لأن هذه الأعمال تسمى في زيد الشام وتسمى الساعد، وليل هذه الأعمال طيب ونهارها كرب فيقال: حرّض ليلها طابة ونهارها مصلاية، والله أعلم.

صفة زواج أهل هذه الأعمال

من يوم تدرك البنت إلى يوم تعرض لم يحكوها من النتف بل تطول الشعرة مع طول الأيام، وتربها إلى أن تضفرها دبوقه، ويقال: إنه يدهن ويسرح ويغسل بالدر والطين، أي الشعرة، فإذا كان ليلة عرسها صفرت شعرتها دبوقتين، وقشد كل دبوقه منهما في إحدى فخذيهما وتجلّى على روجهما فإذا حلا بها وقعد معها مقعد الرجل من المرأة فحشد يمسك الرجل تلك الدبوقتين ولا يرال يمدحها إلى أن يقلعهما من الأصل، فإذا قلعهما استفضتها بعد ذلك، فإذا أصبحت من المد تزورها قراتها ومع كل واحدة منهن صحن زيد فيقولون لها: كيف حالك مع الربة؟ فتقول: بخير كبيع الدبة، وتداوى الموضع بالربد ليرد عنها الألم، لأنه يقلع الشعر مع الجلد، وهذا زى القوم.

والى الهدية ثمان فراسخ، ومنها يجلب الرججيل الطرى، وإلى المحالب فرسخان، وهى أرض عترة العيسى وقومه ولها واد يسمى مور.

ذكر هبة الإمام أبي موسى

الأمين بالله هذه الأعمال

حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى المهيمن قال: لما كثرت الأشراف بأرض الحجاز خرج منهم قوم إلى العراق في خلافة الإمام أبي موسى محمد الأمين بالله أمير المؤمنين ابن هارون الرشيد واستوهبوا منه أرضاً يقيمون فيها ويأكلونها، فأقطعهم من مكة إلى الهلبة طولاً ومن صعدة إلى ساحل البحر عرضاً، فبقيت هذه الأعمال في أيدي القوم وهم في عيش هنيئاً بأنفسهم ورقهم رغداً من كل جهة، وبقي يحيى بأساميتهم إلى سنة خمس عشرة ومئاة، فصعدت القوم ودخلت عليهم يد العرف فخرجوا من البلاد وخرجت البلاد من أيديهم وصارت في حوز العز وفي قصبتهم، وأحد من يولي بها من القوم الشريف المؤيد بن أحمد بن قاسم بن عاصم، وانقرضوا ولم يبق لهم في البلاد حر، كما قيل:

عنا العقيق وأقوى منه معهده وحال ما فيه عما كنت أعهده
لما الوقوف بربع لا محاسنه تجلى ولا يومه يرجى ولا غده

من المحالب إلى صعدة

من المحالب إلى حرمة ثلاث فراسخ، وإلى المدارة ثلاث فراسخ، وهو وادي الصما وبه الوحش الكثير، وإلى شمر فرسخان، وإلى قلحاح فرسخ، وإلى الأفور

ثلاث فراسخ، وإلى الظهيرة فرسحان، ويعرف بوادي اليماني، وما سمي هذا الموضع بالظهيرة إلا أنه ظهر في قم وادين في وادي سور، وله من وادي حوث، ووادي حرف أوله وله من الجبال الشرقية، فإذا سال الوادي وصل جريانهما إلى الظهر في ساعة واحدة بحبس كل صاحبه، فكل من قوى على الآخر سده ورد جريانه ويبقى الآخر في السيل إلى أن تزول حذته، فحيث يقوى العاجر على القوى لقطع حذته ويغرب، ولا يزالان على حالهما إلى أن يفرغ الواديان من جرى السيول، وهذا دائم إذا صادف حد الوادين في ساعة واحدة.

وإلى شطب خمس فراسخ، بهاء آل برمك، وقيل: أواخر البرامكة الذين كانوا سكنوا هذه المدينة، ويقال: إن نسلهم باقون ولكن ضعفت بهم الحال وقل فيهم المال.

وإلى حوث عشرة فراسخ، سرير ملك الشرف من آل الحسن بن علي بن أبي طالب، وإلى صعدة أربعة عشر فرسخاً، وهو سرير ملك عبد الله بن حمزة الحسيني.

من المحالب إلى زيد

من المحالب إلى المهجم ثلاثة فراسخ، ويقال: إنما سميت المهجم بالمهجم لأن الأشراف كانت تهجم عليهم كل حين فكان القوم إذا رجعوا إلى أوطانهم سألوهم: أين سريتم؟ يقولون: المهجم، واسمها سررد، وعليها سور، وقد خرب وانلثر، ويشرف عليها جبل يحاكي عناق الأفق يسمى ملحان تغطي دروته الغيم،

وقد بنى على أعلى ذروته مسجد يسمى الشاهر لأنه اشتهر برفعه على ما حوله من الأعمال، ويقال: إنه مسكن الخضر، عليه السلام، وهو جبل عالٍ عاصي على الملوك باليمن.

وبها من الحصون ما شاء الله شبه قطع الشطرنج بيان لناظره علوها من أبعد مكان، يعنى من تهامة، وأهله قوم من لئ حمير ومنهم الذى يقول:

متذكر قومي نجدتى ومكارمى	وما فعلت قومي بقريس أفاعلا
بنيت لهم مجدا من النجم والعلى	وصاروا حيار الناس ثم الأقاولا
فجئنا أرباب الملوك وخبرها	فهم من قديم الدهر كانوا الأفاضلا



وفى هذا الجبل تبت الشمة.

والى الكدراء حمير فراسخ بناها الحنظل دقيانوس على جاحف الوادى ما بين أراك وشجر.

وحدثنى عمر بن على بن مصبح قال: حدثنى يوسف بن الهمداني قال: أتى قفزت حصاني جاحف الوادى فقفر قعره وكان عرضه يومئذ فى ذلك العهد ثلاثة أذرع وعمقه مثل عرضه فى أواحر دولة الحبشة وأوائل دولة همدى، والآن صار واديا عظيما يكون عرضه أكثر من ثلاثة آلاف ذراع لأن السيل أكله، ولم يكن فى قديم الأيام واديا بل كان للوادى وسط المدينة وكان على البلد سور وحندق وأبواب.

قال: وأهلها يشربون الماء من جاحف الوادى وللأستعمال يستقون من آبار عددهم، لأن مياه آبارهم مالحة، ولم ينشأ دورهم إلا من آجر يخرجونه من الأرض من الردوم، وطول كل آجرة نصف ذراع فى عرض مثلها من بناء الأوائل

وحدثني عمر بن علي بن مصبح قال: جاء بعض الأيام سبل عظيم في بعض الشين وجاء السيل مع جريانه برجل ميت قد مصته الأرض وقد صار شبه القد طوله سبعة أذرع، وقيل: خمسة أذرع مقلنا بسيف، فقصوا الأثر فوجدوا أنه كان دُفن قائماً في أيام دقيانوس الحلك.

واستدل على ذلك أنه ما كان القوم يدفعون موتاهم إلا قياماً، ويقال: كذلك دُفن إبراهيم الحليل، عليه السلام، ودُفن عبد المؤمن بن علي الكوفي ومحمد بن الحسين بن تومرت البربري في حصن العار، ويسمى حصن المهديّة، وإنما يفعلون ذلك ليكون الملك قائماً فيهم إلى يوم الدين، وهذا هو الجنون بعينه.

ومما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار ريد أن القائد الحسين بن سلام احتط مدينة الكدراء على وادي سهام واحتط مدينة المعقر على وادي ذوال، ويقال: معاملة الكدراء من الدومتين إلى قرب المرحف طول إلى المسجد الذي بهاء ابن وهب قريباً من القحمة، وهي الجبل إلى البحر طول، ودخلها كل يوم ألف دينار، وتسمى سهام كما قال

أرى الشام يدنو كل يوم وليلة
ففروجي وقلبي في دمشق ومهجتي
وبعد مني سرّدد وسهام
وجسمي مني قد حواه سهام
وقال آخر:

ما لي وصحبة سكان العقيق وهم
يا حبذا جاحف الوادي إذا لعبت
إن عاهدوا غدروا أو ذكروا جحدوا
فيه الغصون وغنى طيره الفرد

فصل: تولى أعمال الكدراء القائد بلال في دولة الأمير فائق بن محمد ونشأ في عهده القائد فرج بن إسحاق فكان يأكل ويشرب إلى أن عبر أكله الحد فضجر منه خاله بلال، فلما رأى ذلك حرج فرج بن إسحاق ومعه عبد أسود وكانوا يقطعون الطرق ما بين حرص والمحالب منه عامين ونصف، يباهم في حالهم عاملون إذ قال العبد الأسود لفرج: يا مولاي، أخاف إذا وصلت مع بلال تساني، فأنشد فرج قول الشاعر:

إن الكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الحسن

فما زال^(١) العبد يردد البيت إلى أن حفظه، فمات القائد بلال وطلب فرج بن إسحاق، فلما حضر ولده أعمال الكدراء فرجع في الأمر والسهي والأخذ والعطاء، فلما طال البعد على العبد طلب سيده ودخل الكدراء فكتب البيت المقدم ذكره في رقعة وعرضها على فرج بن إسحاق فلما وقعت على الرقعة طلب العبد وأدخله وأحسن إليه غاية الإحسان وولاه موقعه بحيث بقي عمره، وفيه يقول:

طلباء في الفلا منحوا هم منحوا وما منحوا
وصادوا ثم ما صيلوا هم أخذوا وما صفحوا
هم قتلوا فتى وجدا وقالوا: إنهم مزحوا

(١) في الأصل: فعلا زال، والصواب هو المثلث، لأن الفعل زال إذا نفي به «ما» أعاد الاستمرار، كما هو هنا، وإذا نفي به «لا» أعاد الدعاء، نقول لا رلت بهير، أي: أرجو أن تكون بهير، وقد قال ذو الرمة:

ألا يا أسلمي يا دارمي على البلا ولا رال منهلا بجرعائك القطر

ألا يدرون من جرحوا	ألا شئت رمائهم
على دمه قد اصطلحوا	قتيلا من مهامهم
فمغبق ومصطبـح	سقى الصهباء معتزجا
ن والركب الذي انتزحوا	ألا يا أيها الركـبا
وضاق الأمر فانفسحوا	بكم قد ضاقت الدنيا
وقائد جيشها امتدحوا	إلى الكدراء فارتحلوا
ففى فرج لكم فرح ^(١)	عليكم بابـسن إسحاق

وفتح باب العطا على نفسه لكل قاصد وراقد ولكل دان وناء فلامه الناس على ما يفعل فى إتلاف الأموال والمحصل، فلم أن يكتب على باب داره:

من عز بز ولم تؤمن بوائقه
لا بارك الله فى مال أخلفه
ومن تضعضع مأكول ومذموم
للوارثين وعرضى فيه مشتوم

والى القحمة فرسخ ونصف وتسمى ذوال، وذوال كل ما هو بين البحر والجبل من مقابلة، ويوجد بها الموز الطيب والرمان المليح، ويقال: إنه يجلب من جبال اللوى وأنه فيها غير معلوك، ويقال: إن المفاليس والقحمة على طالع، وذلك أنه إذا ظهر فى غرب البلاد فساد وبدا منهم خلاف بهب الأشعوب المفاليس ونهب المعازبة القحمة فى لمح الطرف، لأن هذه القبائل مقاومة لهاتين المدينتين وهم عصاة طغاة.

(١) فى الأصل: وفرج، بالجيم، وما أقتناه لتوحيد حرف الروى.

وقد بنى جمال الدين على بن الحسن بن وهب مقابل القحمة على جبل حصن الأضوح في غرة شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان قديماً خربه ملك من ملوك العرب، وجدد ابن وهب بناءه وأحكمه عاية الإحكام.

ومن القحمة إلى محل إبراهيم ثلاث فراسخ، وإلى سفاكا ثلاث فراسخ، وهو حصن بنى على أعلى قلة جبل عاص على ملوك اليمن، ومنه يجلب الحمر، وهو التمر الهندي إلى كل بلد.

وفي هذه البلاد عقد لم تُسلك لكثرة شجرها ووعرها، ويُقطع من هذه العقد خشب يسمى الرقع يعمل منه النشاب ويُسلف منه على التجارين من الديوان كل ألف فردة بلجنايين ملكية، ويكون بهذه العقد البارنج والأترج والليمون والحمز ضائع لا مالك له، وهذه الأشجار بين أنهار وعمون، ويوجد في مياهها الحيات العظام.

وإلى زهران ربع فرسخ، حصن بهاء العرب في وطاة مثل الكف فاستفتحه الملك المسعود يوسف بن محمد سنة عشرين وستمائة.

ذكر الأودية التي يُقطع منها الخشب

لأجل العمارات

من معاملة ذؤال وادي نبع وادي ريمان وادي عرم وادي جابية والمدارة، وفي وادي زبيد سحمل والفائشي، وعاية شجره الإسحل والسيسان، ويطحوات، واليمن وادي نخلة بخلاف وادي مكة وواسط، وفي أودية الشام وادي رماح وادي

الكدراء ووادي سررد ووادي مور، وجميع هذه الأودية يقطع منها الحشب لأجل العمارة، وإلى فحال أربع فراسخ، وبعد سبعة تلؤل رمل وسبعة أودية.

وأما فحال ففيه نحو ثمانمائة قرية ما يزرع أهلها إلا على المطر الدخن والذرة، وزرع الشيخ محمد بن معبد بها الحنطة والشعير وطلع سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وزرع أولاد أخيه العجل ومعبد الأرز، فلما زرع بها وحصد قلعه القوم من الأصول سنة أربع وعشرين وستمائة، وإلى وادي رمع نصف فرسخ، وهو وادٍ عظيم.

وقد ذكر في الكتب - لا يزال السيل يأكل في الوادي إلى أن يصل الأكل إلى الحيف جبل يزرع فإذا وصله طهر على القوم كثر ذهباً يستضي منه جميع أهل اليمن.

وإلى قونص نصف فرسخ، ويسمى وادي العرق، وبه قتل الملك المسعود إسماعيل بن طعكتين بن أيوب، وإلى زيد أربع فراسخ، والله أعلم بالصواب

ذكر زيد وما كانت في قديم الزمان

قيل: إن جميع أرض زيد كانت حمى مهلهل وكليب، وذلك من حد الحيف إلى أنف قونص وفيه قصره وبركته وإصطبله الذي كان يربط فيه خيله، وذلك على ذروة جبل عال مشرف على تهامة، فكان يقعد في القصر وينظر الأرض تحته شبه زمردة خضراء مع جرى السواقي والأنهر، لأنه كان يقال: بها ستمائة ألف عين، وقيل: ستون ألف عين، وقيل: ستة آلاف عين، والأصح ستمائة عين،

ويقال: ستون عيناً سائحة على وجه الأرض كلها عذب فرات، فمن نداوة الأرض رجعت الأرض محضرة دائماً ذات رياض وأشجار ووحش، فبقى الحمى على حاله إلى أن وقعت الحرب بين القوم أربعين حرباً، والقصة مشهورة ولا حاجة إلى ذكرها، فجاء ملك بعد القوم ردم الأعين وسد أعينها، ولا شك أنه معن بن زائدة الشيباني.

والدليل على صحة مقالتنا أن الحجرين الطاحونين الملقين على باب غلافقة من زيد كانت تدور على تلك المياه والأعين، وكان بها وخم من كثرة نداوة الأرض والمياه، وكل أرض تكون على هذه الصفة تكون وخمة من كل بد.

حدثني جعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الحزرجي الجرجاني قال: قدمت اليمن في دولة سيف الإسلام طفتكين بن أبوب وكنا نستقي الماء من الآبار بأيدينا وشرب، فغار الماء في زماننا هذا ستة حمس وعشرين وستمائة إلى أن بلغ عمق البئر حمس عشرة قامة فرأى الوحش واعتدل الماء والهوى، والآبار التي في سكة المدينة طولها ست عشرة قامة وما حول البلد اثنتا عشرة قامة تزيد لا تنقص.

وأما حدود حمى كليب ومهلل فكان من الحصف إلى أنف قونص إلى رأس رمع، وجميع جوار زيد وأوديتها إلى حد التويتين وقوارير طولاً في عرض مثله، فلما سد الأعين وقل الماء طلع في الحبث شجر الأراك والطرفاء إلى أن رجعت عقدة عظيمة.

بناء زيد

حدثني عبد الرحمن بن أحمد بن الراحي قال: كان في أرض زيد عقدة طرفاء وأراك وكان حول العقدة قصور وقرى جماعة إحداها المتامة والغير من عربى البلد مدينتان عظيمتان، ومن جملة عظمهما أنه كان يخرج منهما في كل ليلة جمعة وحميس خمسمائة رقيب لزيارة الصالحين، وجنجر شرقى البلد بناء دقيانوس، وواسط ما بين الغرب واليمس فكان يخرج من هذه البلد كل يوم ستائة فارس يتلاقون في أرض زيد التى هي الآن عامرة فبقوا على حالهم زماناً طويلاً إلى أن مل بعضهم بعضاً.

وخرج مشايخ القوم إلى العراق في دولة الإمام أمير المؤمنين الأمين ابن هارون الرشيد وعرفوه بحالهم وخبرهم وقالوا له: نحن قوم من الأعاسر وجميعنا بنو عم ويجرى يسا قتال، فقال الأمين: من مكم الكبير؟ فأشاروا إلى رجل، قال: ومن من بعده؟ فأشاروا إلى آخر، وما زال يسألهم ويحبرونه حتى عد القوم خمسة جماعة، فولى الشيخ الكبير عليهم، وقال للحاضرين: إذا مات هذا فيتولى من بعده الثانى، وإذا تولى الثانى ثم مات فليتول الثالث، وإذا مات الثالث فليتول الرابع، فإذا مات الرابع فليتول الخامس، وعقد للشيخ على أصحابه رضى عمه.

وخرج القوم من مدينة السلام بغداد راجعين فمات الشيخ الذى عقد له الأمين البيعة، وتولى بعده الثانى فمات، ثم تولى الثالث فمات، فتولى الرابع، فلما قرب من البلد مات الرابع فأبى الخامس أن يتولى فعزل نفسه، خوفاً من الموت، فولاه رجلًا

من بني عمه، فلما دخل البلاد حبسها وأنفذ بحال من حراج البلد إلى مدينة السلام، فلما كان ما كان من قصة الأمين وقتله وتولى المأمون الخلافة عصى الرجل المتولي في اليمن وتغلب على البلاد وقطعها وصار يرفع الدخيل إلى خزائنه.

فلما كان سنة تسع وتسعين ومائة أتى إلى المأمون بقوم فيهم رجل من ولد عبيد الله بن زياد فانتسب أحدهم فقال اسمه محمد بن قلان بن عبيد الله بن زياد .. إلى عبد الله بن زياد، وانتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن هذا الرجل الورير حلف بن أبي الطاهر ورير جيش بن نجاح، فقال المأمون لهذا الأموي: إن الإمام أبا جعفر المصور عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس ضرب عنق سليمان بن هشام وولديه في يوم واحد، فقال الأموي: أنا من ولده الأصغر سليمان وما قوم بالصخرة.

وانتسب رجل إلى تغلب واسمه محمد بن هارون، يحكي المأمون وقال: أتى لي بمحمد بن هارون؟ يعني وافق اسمه اسم أخيه محمد الأمين ابن هارون الرشيد، فقال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، وأما التغلبي فيعفى عنه رعاية لاسمه واسم أبيه.

قال ابن زياد: وما أكذب الناس يا أمير المؤمنين، يزعمون أنك حلم كثير العفو متورع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا بدنب فلم نترع يدك من الطاعة ولم نفارق في بيعتك رأى الجماعة، وإن كنت تقتلنا يا أمير المؤمنين بجبايات بني أمية فيكم فإله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١) فامتحن المأمون

(١) الآية: ١٥ من سورة الإسراء.

كلامه فعفى عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبي العباس الفضل بن سهل، ذي الرئاستين، ويقال إلى أخيه الحسن بن سهل.

فلما بويع لإبراهيم ابن المهدي ببغداد في المحرم سنة الثنتين ومائتين وافق ذلك ورود عامل اليمن بخروج الأشاعر عن الطاعة، فأثنى الحسن بن سهل على محمد بن زياد وعلى المرواني وعلى الثعلبي عد المأمون وإنهم من أعيان الرجال وأفراد الكفاة، وأشار بتسييرهم إلى اليمن، يعني أن ابن زياد يكون أميراً، وابن هشام وزيراً، والثعلبي حاكماً مفتياً، فمن ولد الثعلبي محمد بن هارون قضاة زيد وهم بنو أبي عقامة، ولم يرل الحكم فيهم يتوارث حتى أراهم على بن المهدي حين أزال دولة الحبشة، فخرج الجيش الذي جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدي، وجمع ابن زياد ومن معه سنة ثلاث ومائتين وسار إلى اليمن وفتح نهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واحتل رييد في شعبان سنة أربع ومائتين، وفي هذا التاريخ مات الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي بمصر.

وخرج من اليمن جعفر، مولى ابن زياد، بمال وهدايا سنة خمس وسافر إلى العراق فصادف المأمون بها فعاد جعفر هذا في سنة ست إلى رييد ومعه ألف فارس من مسودة خراسان وسبعمئة فارس فعظم أمر ابن زياد وملك إقليم اليمن بأسره الجبال والنهائم، وتقلد جعفر هذا أمر الجبال واحتل بها مدينة المديةجرة وهي ذات أنهار، والبلاد التي كانت لجعفر تسمى إلى الآن محلاف جعفر، وكان جعفر هذا أحد الكفاة الدهاة، وبه تمت دولة ابن زياد، وهذا الذي اشترط على العرب بتهامة أن لا يركبوا الخيل.

وملك ابن زياد حضرموت وديار كندة والشحر والمرباط وأبين ولحج وعدن والتهائم إلى حلى، وملك من الحبال الجند وأعماله ومحلاف جعفر ومحلاف المعافر وصنعاء وصعدة ونجران وبيحان.

وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس وحمل الأموال والهدايا السنية هو وأولاده من بعده، وهم إبراهيم بن محمد هذا الذي هو الملك وأقام في الملك بعده زياد ابن إبراهيم فلم تطل مدته، ثم ملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم وطالت مدته، فلما أسن وبلغ الثمانين في الملك نشب عليه من دولته بعضها، فممن أظهر له بعض ما يكره ملك صنعاء، وهو من أولاد التابعة من حمير، واسمه يوسف بن أسعد بن جعفر، ولكنه كان يخطب لأبي الجيش ولأبويه، وكانت تُرفع أموال إلى أسعد بن جعفر لا تزيد على أربعمائة ألف دينار في السنة يصرف بعضها في المروءة ولقاصديه.

وأما صاحب بيحان ونجران وحرش فهم أيضاً بأن يخرج من طاعة ابن زياد، وهم صاحب صعدة فتار بها الشريف الحسن المعروف بالرسى.

ويقال في رواية أخرى: إن أمير المؤمنين محمد الأمين ولي محمد بن زياد بن محمود بن منصور اليمن فجاء محمد بن زياد إلى أرض الحصب فوجد قوما يقتتلون في كل يوم إلى ضحوة نهار ويفترقون، فدخل بينهم وأصلح بينهم، وبنى قصراً على باب غلافقة، وآثاره إلى الآن باقية، سكن فيه واشترى ألف عبد، ويقال: بل جاء بمساكر عظيمة من العراق وقال لهم: إذا دخل القوم للضيافة فالسيف عليهم، ونادى في مشايخ البلاد وكبار القبائل من الأشاعر وقدم لهم طعاماً قد أحضر، فلما اشتغلوا

بالأكل والتناول ليست العبيد وأركبوا السيف من حضر فلم ينج منهم أحد، وركب السيف على من كان حولهم من العربان من أهل القرى والعمارات، وما زال على حاله إلى أن رجعت الخلق نستحير به، فكل من كان في طاعته كان يُترك على رأسه أثر وهو قلنسوة من حوص المحل على هذا الوضع.



ويعطيه روح بقر ومهار
على هذا الوضع



م تقيتكم بسم الله الرحمن الرحيم



بعض لحوت الأرض فحوت الحلق وعمر المكان وبقي الأثر والمهار ستة إلى الآن.

حدثني أحمد بن سعيد بن عمرو بن عويل قال: حدثني شيخ كبير قد ناطح عمره المائة قال: حدثني أبي عن حدي قال: إني كنت أرى البقر عند مسجد الأشاعر وبها حنث عقدة شجر وغدير ماء

ويقال: لما نعدى ابن زياد مكة صار كل مرل ينزله يأخذ تراب أرضه يشمه ويبني في ذلك المنزل قرية، وما زال على حاله إلى أن قدم أرض الحصب فأخذ من

أرضه كف تراب فشحه وقال لأهل الدولة: أقيموا بنا هاهنا! قالوا: ولم؟ قال: لأن هذه الأرض أرض نزه ريدة هذه البلاد، قالوا: وبم صبح عندك ذلك؟ قال: لأنها طيبة بين واديين، يعني وادى زيد ووادى رمع، فلما سكن المكان بناء مدينة سماها زيد، واشتق زيدا لأنها من الريدة على ما جرى في اليوم الأول.

فصل: قال عبد السي بن علي المهدى للحاصرين: إني أتعجب من أهل هذين الواديين. قالوا: وما رأيت من عجائبه؟ قال: رأيت كل خلق الله من الرجال يميل طبعهم إلى الفحولة والدكورة إلا من سكن بين هذين الواديين فإن طبعهم مائلة إلى الحش وحصال النساء، قالوا: وبم تحقق عندك ذلك؟ قال: كل من الحلق يميل إلى ما يصلح به دينه ودينه إلا أهل ريد فإنهم مائلون إلى الأكل والشراب والملابس النظاف والمركوب الوطىء وشتم الطيب ويميل طبعهم إلى النساء أكثر من ميل طبعهم إلى الرجال، فقال بعض من أحضر المجلس: ما وصفت بين واديين إلا كرجل يسكن بين امرأتين يميل إلى من مالت نفسه وسكت جوارحه إليها.

قال ابن المجاور: ومعظم رجالهم يتحدثون ويتعاجون ويتمطعون ويتقصفون تقصيف النساء في الحديث والحركة.

حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الجماعي الواسطي قال: ملك اليمن ملك من التبابعة يسمى الزيا فسأل رجل آخر فقال: ما فعل الله بزبا؟ فقال: زيد، أى هلك، فسمى البلد زب زيد.

وقال آخرون: إنما سميت ريد زيدا لأن لها واديا يسمى زيدا فسميت البلد باسم الوادى.

وقال آخر: بل كانت الإبل ترعى فى العقدة وفى جمع الإبل ناقة تسمى زيد
عضت الناقة فى العقدة فعرف الموضع باسم الناقة. وأما العقدة فصحيحة بقى إلى
الآن شجر الأراك كثيراً مما يلى الدروب وخصوصاً موضع يسمى حافة مسجد الهند
وغيرها من المواضع.

وقال آخرون: بل كانت امرأة تسكن رأس وادى زيد تسمى زيدة.

وقال ابن المجاور: ما أظنها إلا ريبة بن جعفر بن أبى جعفر المنصور، فإن
محمد المنصور بن رباد بنى لها داراً ما بين وادى ريب ورمع وهى التى سميت فى
بناء المكان فى دولة أمير المؤمنين الأمير.

ذكر تمام قصة آل زياد

لما مات الحسين بن سلامة انتقل الأمر إلى طفل من آل رباد واسمه عبد الله
وكفلته عمته وعنده أستاذ الدار واسمه مرجان، وهو من عبيد الحسين بن سلامة،
فاستقرت الوزارة لمرجان، وكان له عبدان فحلان من الحبشة رباهما فى الصغر
وولاهما فى الكبر، أحدهما يسمى نفيس، وهو الذى تولى التدبير فى الحصرة،
والثانى يسمى نجاح وهو جد ملوك ريب الدين أبادهم على بن المهدي سنة أربع
 وخمسين وخمسمائة.

ونجاح هذا هو أبو الملك سعيد الأحول قاتل على بن محمد الصليحي القائم
فى اليمن بالدعوة المستنصرية، وهو أيضاً أبو المكرم العاضل أبى الطامى جياش،

ولم يزل الملك في عقب جيش المذكور إلى التّأريح المذكور، فكان نجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم ومور والواديين، هذه الأعمال الشّامية والأعمال الشماليّة عن زييد، ثم وقع التّنافس بين نفيس ونجاح عبدي مرجان علي ورارة الحضرة، وكان نفيس ظلوماً غشوماً، ونجاح عادلاً رعوفاً، إلا أن مولاها مرجان يميل مع نفيس غلي نجاح، ونمّ إلى نفيس أن إبراهيم بن زياد مولا وعمته كاتباً نجاحاً وإنها تميل إليه، فشكى فعلها إلى مولاها مرجان فقبض مرجان عليها وعلى ابن أخيها إبراهيم بن زياد، وهو آخر بني زياد، ودفعهما إلى نفيس فبشى عليهما جداراً وهما قائمان يتاملانه الله عز وجل حتى ختم عليهما، ورالت دولة بني زياد وانتقلت إلى عبيد عبيدهم، فتكون دولة بني زياد في اليمس مائتين وثلاث سنين لأنهم اختلطوا مدينة ريبد ستة أربع ومائتين وزالت عنهم سنة سبع وأربعمئة

فصل: وكان بنو زياد لما اتصل بهم احتلال دولة العباسية من قتل المنوكل وخلع المستعين تعلبوا على ارتفاع اليمس وركبوا بالمظلة وساسوا قلوب الرعية بقاء الخطبة لبني العباس، فلما قتل إبراهيم بن زياد وقبض على عمته تملك نفيس وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه واسم الحسين بن سلامة، فلما انتهى إلى نجاح ما فعله نفيس في مواله ركب وقصد نفيساً إلى زييد فجرى بينهما عدة وقائع منها يوم رمع ويوم فشال على نجاح، ومنها يوم العقدة، ويوم العرق، وفيه قتل نفيس على باب سهام، وقتل بين الفريقين خمسة آلاف رجل.

وفتح نجاح زييد في سنة اثنتي عشرة وأربعمئة، وقال نجاح لمرجان: ما فعل مولاك بموالي؟ قال: هم في ذلك الجدار، فأخرجهما نجاح وصلى عليهما وبني

عليهما مشهداً وأدخل مرجانا في موضعهما فبنى عليه وعلى جثة نفيس حائطاً،
وركب نجاح بالمظلة وضرب السكة باسمه وكاتب أهل العراق وبذل الطاعة،
فتعت نجاح بالمؤيد نصير الدين وفوض إليه تقليد القضاء والظر في الجزيرة اليمنية،
ولم يزل نجاح مالكا للتهائم وقاهراً لأهل الجبال، وكوتب وخوطب بالملك
وبمولانا.

ومن أولاده سميد وجياش ومعارك والدخيرة ومصور، فتعلت ولاية الحسين بن
سلامة على الحصون، فتغلب على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت هو ومن
ابن رائدة، وقيل: من غير ولد من بن رائدة الشيباني، وتغلب على السمدان وعلى
حصن السواء والدملوة وصبر وحب والمتعكر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر قوم
من حمير يقال لهم. هو الكريدلي، وتغلب على حصن حب وحصن عزان ومن
عز وحصن الشعيرين وحصن أبو القيل والسحول وحصن حدد والشوافي السلطان
أبو عبد الله الحسين التبعي، وتغلب على حصن أشيخ، وهو مقر الداعي سبأ بن
أحمد الصليحي، وعلى حصن مقرى، وحصون صاب ومخاليقها قوم من البكيل،
وهم من همدان، وتغلب على صنعاء ومخاليقها قوم من همدان، وتغلب على
حصن مسار وجبل تيس قوم من حرار، ومنه نار الصليحي دهرة المستنصرية.

وبعهدهم تولى الحسين بن سلامة ومات في سنة اثنتين وأربعمائة، وتولى بعده
الأمير علي بن محمد الصليحي وقتل في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاث
وسبعين وأربعمائة، وتولى بعده الملك السيد الأعظم عظيم العرب المكرم أحمد
ابن محمد بن علي الصليحي، ومات في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأسند

الدعوة إلى سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، وتولى بعده سعيد الأحول، وقتل تحت حصن الشعرير سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وفي هذه السنة خرج أخوه جياش بن نجاح وخلف بن أبي الطاهر الأموي الوزير مسافراً إلى الهند، وأول من أدار سور زيد الحسين بن سلامة وبهذه الحشة.

وتولى بعد ذهابهم الشيخ علي بن المهدي القرشي، وقعد على سرير الملك يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وخمسين وخمسائة، وأقام بها على ابن المهدي بقية رجب وشعبان ورمضان، ومات في شوال من السنة، فكان مدة ملكه شهرين وواحد وعشرين يوماً، وادعى الخلافة وفيه يقول:

سير الأنام قديمها وحديثها فخر القلوب وروضة المتنزه
أشهى من الماء الزلال على الظما وألم من عصر الشباب الأمر
فاليوم يحتج الحليفة بعده بالعامين الهادين ودهره
شبهه سبطه اللذين إليهم شرف الإمامة والخلافة انتهى

ويعنى بهما معاداً وعد النسي فإيهما توليا على يزيد وبعض الجبال مدة ست عشرة سنة، وأداروا على زيد سوراً ثالثاً، وبعدهم ملك الغز البلاد، فأول من ملكها شمس الدين والدولة توران شاه بن أيوب عامين، وبعده سيف الدولة مبارك بن كامل بن مقلد بن منقذ، وبعده أخوه خطاب عامين، وبعده سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، أدار على البلد سوراً وركب على السور أربعة أبواب:

باب غلافة ينفذ إلى غلافة، وباب سهام ينفذ إلى سهام، وباب الشبارق ينفذ إلى حصن قوارير، وباب القرنب ينفذ إلى الجبل، بالطين واللس في عرض عشرة أذرع.

قال ابن المجاور: عددت أبراج زبيد فوجدتها مائة برج وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج ثمانون ذراعاً، ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً، إلا برجاً فإنه مائة ذراع، يصح دور البلاد عشرة آلاف ذراع وتسعمائة ذراع، وأقام متمكناً ست عشرة سنة.

وحدثني بعضهم في مسجد المدرة يوم الخميس الخامس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة قال إن سيف الإسلام أراد أن يدير حول البلد سوراً ثانياً ذا طول وسعة، وأمر الجند أن يسكنوا ما بين السورين بدوابهم وأموالهم، فلما بنى السور وفرغ منه مات ولم يمكنه مراده، وتولى بعده الملك المحرز إسماعيل بن طمكتكين ست سنين، وبعدة الأكراد سنة، وبعدةهم أتابك سنقر عشر سنين، وبعدة الملك الناصر أيوب بن طمكتكين عامين، وبعدة الحوائين ثلاثة شهور، وبعدة غازي بن جبريل ثلاثة أيام، ويقال: سبعة أيام، وبعدة شاه بن عمر بن شاهنشاه بن شاذي، ويقال: سبعة شهور وبعدة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر ابن أيوب.

ذكر الجنابذ وقتل الصليحي

هي ثلاث قباب مبنيات بالأجر المحكوك والجص، قريب بعضها من بعض، يكون ما بين كل واحد إلى الآخر مقدار أربعة أذرع، بناء الأمير علي بن محمد الصليحي، وأراد أن يبنى من زبيد إلى مكة في كل مرحلة من المراحل مسجداً

وربما يطأ يذكرك به بعد موته، وما زال يبنى إلى أن وصل المهجم ونزل بظاهاها بضبعة يقال لها: بئر أم الدهيم، وبئر خيمة أم معبد

قال سعيد الأحول بن بجاح: لما دحسنا إلى المخيم لم يشعر بنا إلا عبد الله بن محمد فركب وقال: يا مولاي اركب فهنا والله الأحول بن بجاح والعدد الذي جاء به كتاب أسعد بن شهاب النارحة من ربيد، فقال الصليحي لأخيه عبد الله: إني لا أموت إلا ببئر أم الدهيم وخيمة أم معبد، طابا أنها أم معبد التي نزل بها النبي ﷺ حين هاجر ومعه أبو بكر، فقال رجل لعلي: قاتل عن نفسك، فهذه والله بئر أم الدهيم بن عيس، وهذا المسجد هو خيمة أم معبد بنت الحارث العسبي

قال جيش: فأما الصليحي فأدركه رفق اليأس من الحياة فأراق الماء في سراويله ولم يرم من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه، وكنت أول من طعته، وشركي فيه عبد الملك بن بجاح بطعته، وأنا حررت رأسه بيدي وبصيته في عود المظلة، وفيه العثماني بقول:

ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها

ودخل سعيد إلى زييد يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، وقتل سعيد الأحول في وقعة حصص الشعربين سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، فلما زالت دولة بني الصليحي والحبشة وملك مملكتهم علي بن المهدي وتولى بعده أبو مهدي عبد الله ومعاذ وعبد النبي فيسوا لعلي ضريحاً فكانوا يقولون لعساكرهم المهاجرين والأنصار: طوفوا حول تربة الشيخ علي بن المهدي كما تطوفون بروضة النبي ﷺ.

وقالت العامة: جبل قوارير عرفات، والجبابرة الكعبة، والبشر بشر زمزم، وهذه التربة روضة محمد ﷺ.

ويقال: إن سيف الدولة أخذ من الجبابرة مالا عظيماً، والآن يسكن فيه قوم من الفقراء من ذرية الشيخ محمد بن أبي بكر بن أبي الساطل الصريفي.

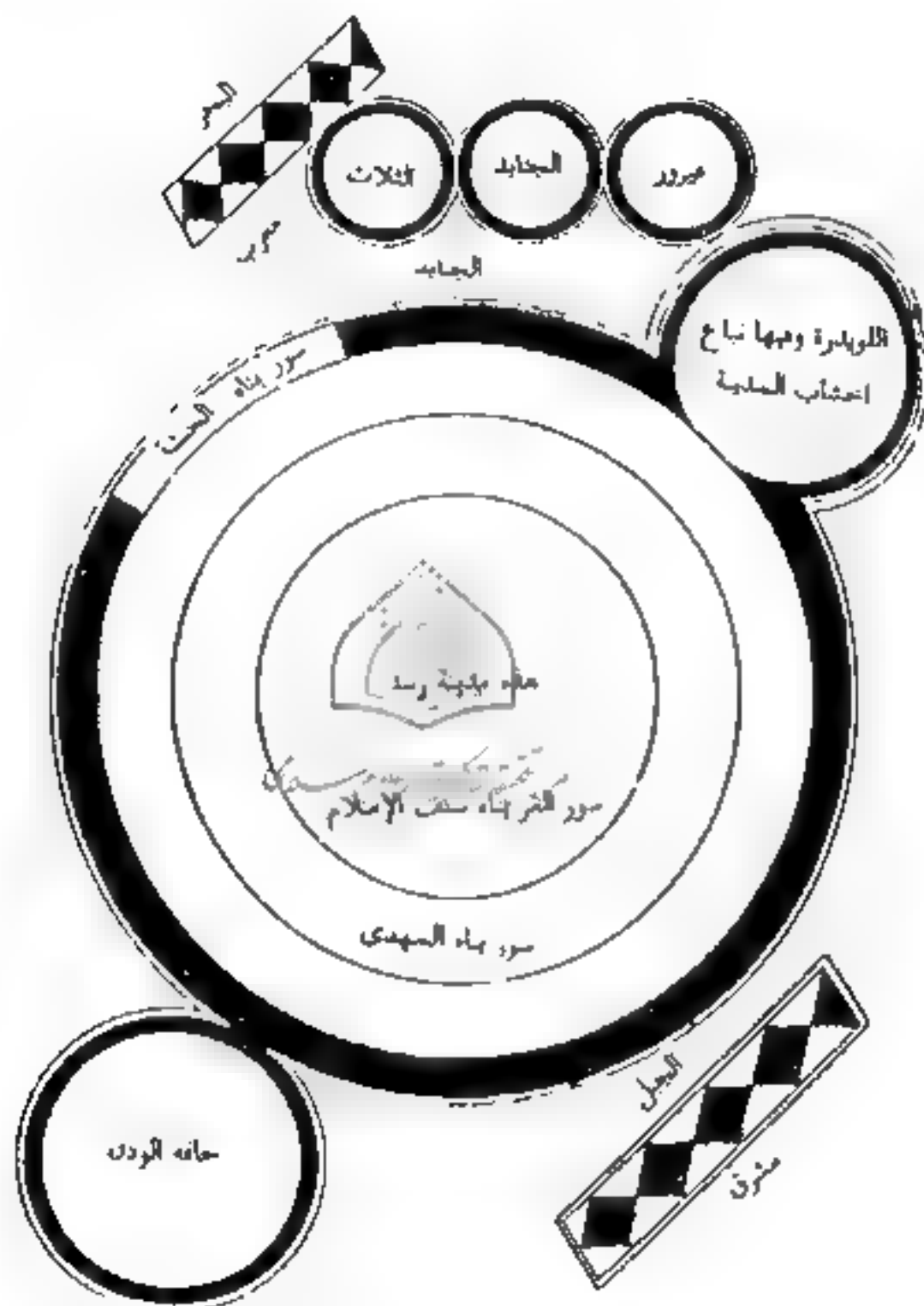
وقد أدار حول الجبابرة بدر الدين محمود بن جمار الفلاح الموصلي حائطاً مربعاً، وقد بنى جمال الدين أبو الحسين علي بن محمد بن وهيب درجاً يصعد بها إلى فوق القباب بحماره، فكان أهل ريد يقولون إذا رأوه على ذلك: محمد قد كب البراق وصعد إلى أعلى عيسى، وكان آخرون يقولون: ركب عيسى حماره.

ويقال: لما بُنيت بُنية مساجد، وقيل: تربة بعض أهلها، وكتب داخل القباب بالذهب واللازورد ونقش في الجدران نقشاً يسمى ببقاء العالم على هذا الوضع.

قال ابن المجاور: وصلت إلى المسجد في أواخر ذي الحجة سنة ست وعشرين وستمائة، وشاهدت مقتل^(١) الصليحي، وكان قد بُني على أكمة كان بالقرب منها مسجد يسمى مسجد عرفات، ولم يبق من المسجد إلا رسوم وأطلال، وجميع تلك الأراضي التي هي حول المسجد ملك القاضي إبراهيم بن صالح الحاكم بالمهجم.

(١) اسم مكان من الفعل: قتل، أي المكان الذي قُتل فيه الصليحي.

وهذه صفة ملحية زبيد، والله سبحانه أعلم وأحكم.



صفة دار شخار بن جعفر

لما أقام ابن زياد في ربيع بني شخار بن جعفر دار الملك في زياد ذات طول وعرض بالآجر والجص بناءً وثيقاً على مفاطع الطريق وكل من تولى هربيد سكنها، وكان له باب عال بالمرّة يظفرون منه من في الطريق على فرسخين، وحفر حوله حندق عظيم عريض، وبقي الباب على حاله إلى أن هدمه المسعود يوسف بن أبي بكر سنة ثمانى عشرة وستمائة، ويقال: إنما سعى في هدمه الأمير أبيك العريوى، فلما هدمه أحد آجره وبني به دوراً، وكل ما به من آجره انقطع ذلك البناء من الأساس، وقد بقي إلى الآن آثار ذلك الباب والدرجة شبه الجبل العالى، والله أعلم.

ذكر انقطاع العرب من تهامة

لما كثر نزول العرب بها قام القائد ربحان الكهلاني، مولى سعيد بن نجاح كبس للعرب ليلاً وهم مرتبون على باب ربيع وكانوا في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف رجل، وحمل عليهم فلم ينج منهم إلا اليسير، وهلك الباقون، فسلم العرب تهامة بعدها، والله سبحانه أعلم وأحكم.

ذكر النخل

أول من غرس النخل الأمير علي بن محمد الصليحي، ويقال: الحبشة في أول دولة علي بن المهدي، لما حضروا الحبشة وصلت عبر من أرض الحجاز حملهم التمر فكانوا يأكلون التمر ويرمون السوى، فمن نساوة الأرض طلع النخل، فلما رأته أهل البلاد ذلك وعرفوا غرسه غرسوه وكثر النخل، وهو عشر قطع: الأبيض والكديحا والمجرشية والمحلة والأثيل والمجارع وكروة والمحجر والقهيرا والمفارس وحجنة، وكل واحدة من هذه القطع يكون عرضها وطولها ربع فرسخ، وأما الرطب الذي بها فتلاثة أصناف: حماري وصعاري وخصاري، كلها ذات ألوان مختلفة، فإذا حمل النخل يتقل كل واحد من الناس على قلعه، ويحىء إليه الناس من باب حرص إلى آخر أعمال أبيس وينزل أهل الجبال إلى بهامة، وكم من امرأة تطلق من جهة النخل وكم تنكح امرأة من جهة النخل قال الشاعر

هذا الشقح واللقح والطلع منه قد افتتح
يا غازلات اغزلوا فالنخل قد صار بلح

وقال آخر:

من عرف النخل والقباله أمسى وفي قلبه ذباله
وعاش فيه معاش سوء وناله الذين لا محالة

ويقومون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة ويكون غالب أكلهم الحموضات

والمملوحات، وهم فى لعب وصحك وشرب، ويعمل من التمر والبر والرطب نبيذ يسمى الفضيخ يصح عمله فى يوم وليلة ويشرب النساء مع الرجال، ويقولون: إنه ينفع، لكن مضرته أكثر من نفعه^(١) وأول من عمله فى هذه البلاد رجل من أهل الشام، وبحصل منه كل عام تسعين ألف دينار غير الذى يصل إلى الخزانة وعمال السلطان ونواب الديوان وغير السحيل السلطانية والأوقاف وغير الذى لأرباب الجهات وأصحاب الدولة، يصح من جميع ما ذكرناه مائة وثلاثون ألف دينار، وكان ضحانه فى دولة الحبشة وأيام بنى المهدي كل عام سبعون ألف دينار، وما يأخذه بقد، بل تمرًا، ويخرج حوالات والصرف ثلاثة حوز درهم، وكل أربعة دراهم دينار، وكل أربعة دنانير ونصف بلدينار أحمر.

وما رجع حراج السحل كذا إلا أن سيق الإسلام أوصى طامتكين بن أيوب بالعدل على أهل الحرث والظلم على أهل السحل، فهو الذى ابتدئ بهم من عهده، فقل له فى ذلك فعال: إن الفلاح يحرث ويسقى وينذر ويحصد ويعزق ويدري فى الهوى ويجد مشقة فالواجب أن يرفق بهم (أما) أصحاب النخل فإنهم يجنون الثمرة من العام إلى العام بلا عناء ولا تعب كما قال الله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتِ لَهَا طَلْعٍ نَضِيدٍ﴾^(٢) وكل نخل يهرب منه صاحبه يأخذه السلطان على كيسه بالحراج الذى عليه له، وكل نخل يأخذه السلطان يسمى الصوافى، أى يصفى لبيت المال.

(١) تراجع هذا الموضوع بتوسع فى كتاب: «الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها» لابن قتيبة، تحقيق/ ممدوح حسن محمد، من إصدارات مكتبة الثقافة الدينية.

(٢) الآية ١٠ من سورة ق

قال ابن المجاور: وبلغ مال النخل سنة أربع وعشرين وستمائة مائة وعشرة آلاف دينار نقداً غير ما حمل إلى الخزانة، وفي هذا العام قال أهل زيد: ما شاء النخل ولا شاء زيد، يعلق بالحليمة ويصرب بالجريد.

وما استخلص هذا المال إلا الأمير الولي الصارم مابس الكاملى، كان من وزن قبالة وزن مثله مصاعف، فإذا فرغ النخل حرج الصغار مع الكبار والأخيار مع المعجار بالطبل والرمر بعدما يكبون جملاً عدة تامة من الأجراس والقلاقل ويشد في رقبته المقانع والحلى، ويركب كل أربعة من الناس على جمل، وناس منهم على الشقادات، يمشون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر، والموضع موضع مبارك فيه وطئة ناقة معاذ بن جبل وأثر كلكلها لما رجع من اليمن إلى الحجاز بعد وفاة النبي ﷺ عبر على هذه البلاد والسواحل، ويسمى هذا الموضع الغازة، أعشى الذي يتبحرون فيه، ويرل فيه النساء مع الرجال في البحر خليط مليط وهم في شرب ولعب ورقص وقصص ورائد وناقص، وما يحرح إلى هذه الأماكن إلا في كل أسرع يومين: يوم الاثنين ويوم الخميس، وإذا رحعوا من هالك دخلوا البلد رأساً واحداً

ذكر شجر الكاذي

هو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل، وهو ورد على هيئة الصبرة التي تزرع في العراق والهند في المراكز في سطوح الدروب ولكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذات شوك خشن، لم يتعقد ورده إلا من يرق البرق، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة، وإن لم يكن البرق لم يكن منه شيء، وهذا

شيء عجيب ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) وكذلك لا يستدل على إقليم الجاوة مسافرو البحر إلا بكثرة لمع البرق، لأنه يكون في أيام موسم سفارة الجاوة الأمطار كثيرة، ويمتد الأفق بالغمام ويشتد هيجان البحر.

وقال آخرون: إنه يطلع في تلك الأعمال شجر السندروس كثيراً، فإذا جرى السندروس من شجره بان لأهل السفارة البحر كالمع الرق وذلك من كثرة الأمواج التي ترفع المركب وتهبطه.

ويقال: إن الكاذي يتربى من البرق، وكذلك الحنئون لم يفتح إلا في الليالي البيض، والحيار يدور مع دور الشمس والليوفر، ويزيد مد البحر في الليالي المظلمة، وكل حشب يقطع في ليالي البحر موسم، وكل حشب يقطع في نقص القمر يتلعه السموم، ولم يقطع الطواحي إلا في الليالي البيض، ويقطع جمع مياه الأرض عند طلوع سهيل، ولم تصح دباغة آدم إلا به، وقال ريان بن حبير: إذا طلع سهيل نقص ماء البحر أربعين ذراعاً.

وأما ورد الكاذي فلم يكن في سائر المشمومات ألد منه رائحة ولا أطيب منه، وماؤه بارد يابس، ينفع لمن هو محرر رطب، ويسمى عند الهنود كيورا.

(١) الآية: A من سورة النحل.

صفة زيد

سماها النبي ﷺ أرض الحُصْب، لأن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ،
إذا وصلت أرض الحُصْب فهرول، فإن بها ساء يشهن حور العين. قال الهيثمي:

وقل لجنتها سآبدلها ميلا كسيل مارب عرما
أشرب الخمر في ربا عدن والسمر والبيض في الحُصْب ظما
وله أيضا:

ولرب يوم بالحُصْب وردتها بالقطب كان على الأعاجم أكره
وعواصف بحمصية عصفت على خُشاشانها وعلى الدعي الوهُره
ولا بن المجاور:

محب ومحبور قضي الدهر فيهما
يبعد وهل للشمل جمع مهذب
فها ذاك في أرض الحجاز مؤسوس
وهذا في أرض الحُصْب مُعسب

وسمى أرضها تهامة، وأما تهامة فإنها قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة،
وكلها مشرف على بحر القلزم^(١) مما يلي غربها، وشرقها باحجة صعدة وحرض
ونجران، وشمالها حدود مكة، وجنوبها من صنعاء على نحو عشر مراحل،

(١) هو البحر الأحمر.

وتسمى في عدن الشام وتسمى في المهجم اليمن، وتسمى عند آل عمران كوش، وتسمى باللغة المعروفة زبد، من إقليم اليمن لأنها اليمن القبلة.

وقال النبي ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» والمعنى في قوله لأويس للقرني وكان يتغص شوقاً إلى النبي ﷺ ولأجل هذا أخبر النبي ﷺ بهذا الخبر.

وقال النبي ﷺ: «الكعبة يمانية، والركن الأيمن يمانى، والإيمان يمانى». وذكر النبي ﷺ في معنى اليمن أحباراً كثيرة، ويقال: سهيل اليمن وحزاع اليمن وعقيق اليمن، وقال الشاعر:

بَعْدَتْ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّنْ تُحِبُّ هَوَاكَ عِسْرَاقِي وَأَنْتَ يَمَانِي



وقال آخر:

قَالَتْ لَأَنْخِتَ لَهَا تَبْدَى مَرَايَعَةً وَمَا أَرَادَتْ بِهَا إِلَّا لُتْقَلْقَنِي
بِأَفِّ قَوْلِي لَهُ مِنْ خَيْرِ مَعْصِيَةٍ مَاذَا أَرَدْتَ بِطَوْلِ الْعَكْثِ فِي الْيَمَنِ

وقال آخر:

وَمَا غَرِيبٌ وَإِنْ أَبَدَى تَجْلِدُهُ إِلَّا الْعِرَاقِي وَالْمِصْرِي فَزَانَهُمَا
إِلَّا يَرْجِعَانِ إِذَا مَا شَارَفَا الْيَمَنَ وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ الْعَامِرِيُّ:

إِلَّا لَا أَحِبُّ النَّسْرَ إِلَّا مُصَاعِدًا وَلَا الْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَمَانِيَا

وقال ابن المجاور:

كُسرَا مِنْ بَرِّ ابْنِ هَمِي نَبِيْتَم جَسْرَا دِيدَهُ أَمْ جُونِ عَدَن

آه ابن آدم بسوزد هرچه هست وآه واه ویلی مخ اردان سمن
وللحسام الكرمانی:

گفتم: رخ تو چیست؟ کل سرخ یا یاسمین؟
گفتا: کلیست ریخته بر برگ یاسمین
گفتم: به شکر است لبان تو یا عقیق؟
گفتا: به شکر است وعقیقی نه ار یمن

تفسیر هذا الشعر الفارسی الذي للحسام الكرمانی باللغة العربية:

قلت له: وجهك الورد أو الياسمین؟ فقال: هو الورد المنشور على ورق
الياسمین، قلت له: شهاك السكر أو العقیق؟ فقال: هو السكر والعقیق لا العقیق
الذي في اليمن، أي المكان الذي يسمى عقیق اليمن.

ولابن الرجا:

زآن عارض چون آتش وآن خط چو نسرین
خوانند بهاری بهمه انجمن اورا
این بار عجب ترکی بجهره چو بهارست
وآنکاه برخساره سهیل یمن اورا

تفسیر هذين البيتين باللغة العربية:

من الخد الناری والخط النسرینی يدعی الروص فی کل محفل، والعجب من ذا
أن خطه كالروض ووجته كسهیل الیمانی.

وظاهر هذه البلد حار وباطنها بارد يابس وجوها مضر بالزعفران لأنه يسوس في أيام قلائل، والأصح أن الزعفران يرجع يابساً من ذاته إذا فُتح رأس الكيس طار اليابس في الجو وهو الزعفران والجسد لا يزال يحول إلى أن يرجع تراب تارب، وماء البلد من الآبار، وأهلها سمر كحل كواسج ضعاف التركيب محلقين الرعوس، وكذلك جميع المغرب والإسكندرية وأهل مكة والحبشة والبجاة، لم يخلق المرء رأسه حتى يقتل إنساناً، ونساء الرنجبار والجوار الزرج وأهل حوارم وشعشعين وبلغار ويقابه واللاين والدباليه، وجميع هؤلاء القصة منهم والصوفية والأئمة والعامّة كبعض الحجاج، كما قال الله عز وجل ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾^(١) والأطفال واليهود وحجاج الهند وجميع أعمال الهمس من أهل الجبال والتهائم، ونساءهم خلقات وهن رغواب التلك، وفي كلامهم أكثر عجز وهذا دليل على أن شهوة سائهم أغلب من شهوة رجالهم، فذلك يستعملون الطيب لأنه يهيج الماء.

وقال مكحول الشامي: عليكم بالطيب فإنه من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظف ثوبه قل همه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجراً لما احتريت على العطر شيئاً، إن فائتي ريحه لم يفتى ريحه.

ونساء أهل هذه البلاد لا يأخذ من أرواجهن المهر، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة، أي إن زوجها أعطاه مهرها وفركها، أي طلقها، فإذا رجع الأمر إلى ذلك ثقل رغبة الرجال فيها لأن الزوج الآتي بقول: أخاف أن تأخذ مني المهر كما أخذت من غيري، وقد

(١) الآية: ٢٧ من سورة الفتح

لا يكون للرجال طاعة في أداء المهر ونقول النسوة فيما بينهن: إن ما قدر زوجها يخرجها من عده إلا بمهرها لقلة رعيته فيها فبركها العار.

فإذا أراد رجل يتزوج امرأة نجىء بساء الحافة بلا محافة إلى المرأة ويقلس لها: افركى زوجك قبل أن يفرّكك، أى. هبى له المهر واخرجى قبل أن يزن المهر ويخرجك، ويفعلون الطرح في الأفراح والأعراس على ما تقدم ذكره في صفة مكة. فإذا أعطت المرأة في عرس رد إليها في عرس مثله، وإن كان في حثان رد إليها في خثان، وإن كان في الولادة رد إليها في الولادة، ولم يرد الشيء إلا في الوجه الذي كان منه وفيه بعينه.

وحدثني أحمد بن مسعود قال: ولم تصد المرأة في اليمن إلا من جهة الطرح، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأن يكون لها عليها سلف ولم يكس معها ما تقصى به الدى عليها فتخرج على وجهها إلى غير طريق فتتبع فتكتب لهم إلى أن يحصل لها شيء فتد مال الناس الذي عليها، وليس يقبل منها يمين ولا شاهد إلا قول المرأة على المرأة مصدق.

ويخضب الرجال أيديهم وأرجلهم، وطيبحهم الملوحية، وماكولهم الدخن والذرة، ويعمل منه الحفوش والكسان واللحوح والعطير، يأكلونه بالبن، والسمك ويسمونه الملتح، والحجن والمور والقند والحليب، وليس لهم حديث سوى الأكل، يقول زيد لعمرو: ما تصبحت اليوم؟ يقول: فطير دحن وقطيب، أو: ملتح وسليط ويقول مضر لجعفر: ما تعوفت؟ يقول: رغيف حبز بر بفلس وقطعة حلاوة بأربعة فلس، فصار المبلغ ستة فلس [كذا] ويقول خالد لزيد: إنى أكلت اليوم أكلة

تكفيني ثلاثة أيام، فطير وحليب وقد شرقي وترفتُ إلى أن شبعْتُ، وفي ذلك أنشد
هلي بن أبي علي السنوي يقول:

قلت يوما لرم ذات إعجاب	رفات صغر رحيب ذات إعجاب
و ذات قد رشيق كالمقضب إذا	ما ماد من فوق دعص الرمل رباب
وقد أشارت بكف وهي معرضة	وأقبلت مثل طلي بين أمراب
ترهد مني وصالا؟ قلت: يا سكني	رفقا علي فإن الجوع أرى بي
خذي الشهد إذا ما جئت مقبلة	نحوي ولا تأخذي مككا وأطياب
واستعملي من فطير الدخن مع لبن	وصابحيني به صبحا على الباب
فإن قلبي إلى حب الفطير صبا	وليس قلبي إلى حب النساء صبا

وفواكههم البطيخ والمور والعب، والبطيخ يسمونه السرطيج، والقشاء والخباز
ويأكلون بطيخ الدباء مشوي في التور، وينادي عليه: دباء حب حب، كثير الحاء
قليل الحب، ومشمومهم البعثرانز وهو الشيح الأبيض ونمر الحاء وهو الحنون

قال ابن المجاور: وأول ما شممته بمولتان وذلك أن المولي عز الدين شمس
الملك ملك التجار يحيى بن أسعد البلدي ناولني ثلاث أو أربع طاقات، وما كنت
قبل ذلك رأيت ولا شممته، فقال لي ما هذا؟ فقلت له: نمر الحناء، قال: وبم
عرفته؟ قلت: لثلاثة وجوه: للونه ورائحته وبرودته، وقد تقدم ذكره.

وأول ما رأيت في الديول سنة ثمانى عشرة وستمائة، وحاصيته أنه إذا كان مع
زيد شمه عمرو، والبنفسج لم تعبق رائحته إلا مع الرجال، ولم تعبق روائح البرم
إلا مع النساء، والجياق، وهو الريحان، ويسمى ردة الحماحم.

وأسماء أهل هذه البلاد

حنكاس ويعفر وغسطيظ وزبرقان وزنقل ودعصى ومجلس وزبير وحمسيس
وعطعط ودعدع وبرياح وحدير ومابس وشقداف وعطوط ودعّاس وبليسه ومطعون
ومطحون ومحطة وفساص وطى وصبيعة وسدع وقبيع وعوطبيع ويكمى وجرياح
وقصص ويمباب وسحوا وربطح وشمم وعسور وسدع والحبوب ورعية وخيل وفحم
وجحوش وأبجر وقعيش وسحدر وفشلى وكسكاش وفارا ومرسب وفحم ودنكل
وكعدل ورلينا وكليبي ورقرق.

ويقدمون أهل هذه البلاد الهاء على الواو في هجاء حروف المعجم خلاف
جميع الناس كما يقال: واو هاء، وهو: أهـاء واو

حدثني محمد بن أبي سعيد القاضي الرازي قال سمعت بعض البلاد يهجون
الصبيان على هذا وبوافقهم على هجائهم، وما تجاوزهم إلا أصح، قال: ولم؟ قال:
﴿هو الله أحد * الله الصمد﴾^(١) قال: بل تجاوزوا أصح: ﴿وهو الله في
السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾^(٢).

وغالب البلد على مذهب سراح الأمة أي حيفة النعمان بن ثابت الكوفي
التابعي، رضي الله عنه، وما يقوم سوق البز في هذه البلدة إلا وقت القائلة بعد صلاة
الظهر، لأن جميع الناس يبيعهم على المشيرة، لأن أحدهم يدخل ومعه شيء يريد

(١) الأيتان: ١، ٢ من سورة الإخلاص.

(٢) الآية: ٣ من سورة الأنعام

بيعه، فإذا باعه وحصل ثمنه يكون قد قارب الظهر ويتغدى ويدخل السوق، وكل أرباب البيوتات حكارين العلال مثل الدخس والذرة والحلجان وهو السمس

ويتعاملون الجدة العشرة بخمسة عشر إلى مدة ستة أشهر وقت الغلال، وتكال العلال بالمد، والمد اثنان وثلاثون ثمنًا، كل ثمن اثنان وثلاثون ريدى، كل ريدى من، كل من رطلان، كل رطل مائة وعشرون درهماً، كل درهم ثلاثة عشر قيراطاً، ويسوى الدينار المصرى أربعة دنانير ونصف ملكى، والدينار أربعة دراهم، كل ربع ثلاثة جور، كل جائز ثمانية فلوس، كل فلس أربعة دوايس.

وأول من ضرب الدرهم الكبير الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ورنته ثلاثة عشر قيراطاً، وفي الأول كانت الدرهم العباسية وبعده السبعى وزنه أربعة قرايط وحية، وياع الشيرج بجره والسطن **بجمنة** كل جمعة خمسة أمتان، ومن الحرير مائتان وستون درهماً، ومن اللحم أربع مائة درهم، وساع العصارة والقطن والهدس والشيدر بالمد له عن خمسة أمتان بالكبير، وسنجة عدن أقوى من سنجة ريدى بشيء يسير، وتخرج من زبد البردة ثمانية أدرع باليد ويشد حملها مائة واثنا عشر وعشرون بردة شد الشحر.

وشقق الحرير والبيض طول الشقة عشرون ذراعاً بالحديد، وطول الهبرم ستة أذرع والسباعية سبعة أذرع، وهى صنتان: أحدهما حرير صرف، والثانى خلط حرير وكتان فى عرض أربعة أذرع، والملايات والجرايب وفوط موسى.

والزنجيل المربا لونا المخصوص منه قليل العسل والمطحون هو الجيد، والتمر الهندى أجوده المقلس، والأدم يباع بالعدد، وصمان المدبغة ثلاثة عشر ألف دينار،

ويخرج إلى الحجار التمر والدخن والنرة ويؤخذ إلى الحبشة الجوارى العشارية والحرز وضمان البلد سنابق الصيادين والجمالة والخصر والبقول التي تباع مع الغلال، وما يدخل من الباب تسعون ألف دينار ملكي، وضمان دار الصرب ثلاثة عشر ألف دينار، ودار البيد اثنا عشر ألف دينار، وضمان الحل مائة ألف دينار، والله أعلم وأحكم.

من المهجم إلى زيد

إلى الكدواء خمس فراسخ.

ذكر المغلف والأسبحة

هما قريتان من أعمال الجبة، تسمى إحداهما المغلف والثانية الأسبحة، فبينما القوم فيما هم عليه من أحوالهم، الرجال تحرق، والساء تعزل، والحمير تتناهى، والكلاب تتباح، إذا ارتفعوا من الأرض إلى الجو، رجالهم ونسائهم، وعابوا عن أعين الحلق إلى يوم القيامة، ولم يدر أحد ما أصابهم ولا ما فعل الله بهم ولا ما كان منهم، سنة أربع وستين وخمسمائة، فبقوا مثلاً إلى يوم الدين، فيقال، طار بك برق المغلف والأسبحة.

وحسب بقرية العمالق من أعمال الأشعوب يمانى صنعاء، وأصبح الصباح ولم يوجد عن القرية وأهلها ودوابهم من يحبر، سنة خمس وستين وأربعمائة، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

وإلى المهجم ستة فراسخ وهذا يكون بسافات عشيرة اليمن برص لكثرة أكلهم اللبن والسمك تغلب عليهم الرطوبات فيظهر عليهم ذلك، والأصح أنهم قليلون الكلف في أصناف الأمور لتحديثهم الخبز والأدم مكشوف والبلاد حارة كثيرة الأوزاغ، فإذا خلى رأس الإناء أو الطعام مكشوف يأكل الوزغ منه فيبقى أثر لعاب فيه فمن أكله ظهر به برص، ويقال إنه طير شبه النامس أصفر اللون ويسمى البرة إذا قرص إنساناً على الرق ظهر فيه هذه العاهة والآفة، ويقال يظهر فيه داء الفيل، والله أعلم.

من زبيد إلى عمن على طريق الساحل

من زبيد إلى المزينة فرسخ، وما سميت المزينة مريضة إلا أنه كان في قريها حلة عرب نزال بيوت شعر فانتقلوا من الحلة إلى هذا المكان فكان يعرف المكان بالمزينة، كما يقال: زحف فلان إلى فلان، أي انتقل، وبني بها موسى ابن الجبلى مسجداً من الآجر والجص.

وليس في الجوالي ثغر أطيب منه ولا في وادي زبيد، وشجرها الإهليلج، وإلى الساحل ثلاث فراسخ، ويعرس عويد والشكاليين والرية والعريقين، وهي ثلاث رواب ذات شجر وأراك، والساحل على ساحل البحر ذات نخل شامخات.

ذكر بيع النخل

غرس أبو القاسم ويعقوب، ولدا قوبغر، هذا الحل وشأ النخل وطار له صيت، فسمع بخبره أتابك سنقر فقال للعمال: حيفوا عليهم في العدد واطلموهم في خراجهم، فلما فعل العمال بهم ذلك استغاثوا مما جرى عليهم من العمال، فقال لهم أتابك سنقر: بيعوني وأريحوا أنفسكم من ظلمة فقالوا له: اشتر ما على وجه الجرد، فقال لهم: بيعتموني كل نحلة منه بدرهم؟ فقالوا: قد بعاك، فقال لمن حضر: اشهدوا على أني اشترت منهم، وأمر بعد الحل فصنع عنه ألفى عود، فأعطاهم خمسائة دينار، والحل قطمان، تسمى إحداهما العارة والثانية القفة

فلما قصه الأمير بدماء على ما بعا واستقالوا منه فأبى أن يقبلهم، فلما رأى أحدهم عين النبي حمل على الأمير فطعمه على قلبه فمات، وبقي الحل سلطانيا إلى الآن ولن تحل نحلة إلا من بعده، وليس في جميع هذه الأعمال أحسن من هذا النخل ولا أصح من غرسه ونشؤه.

ويقال: إنما ظلم سيف الدين سنقر إلا أصحاب المصلاح بعدن، وأصحاب هذا النخل من دون الخلق.

وإلى الخوذة نصف فرسخ، وبها مسجد مربع بناء الحسين بن سلامة، وفي صحن المسجد صخرة مربعة، وفي الصحرة وطأة باقة معاد بن جبل رضي الله عنه. وفي المسجد سر عظيم: إذا كان في القرية خوف رمى أهل القرية ما كان

معه من المتاع والأثاث في المسجد وتنحوا بأرواحهم، فإذا دخل أهل الشر إلى المسجد لم يؤخذ من المتاع شيء ويعصى الله تعالى أبصارهم.

ويقال إن المسجد يعيب عن أعين الناس، فإذا نام به رجل لم يكن ظاهر السب يرى وجهه يرمى به عند البشر طاهر المسجد.

ويؤخذ منها مكس عن كل حمل السدس مع جبا صاييق الصيادين، كل شهر سبعون ديناراً.

والى موشج فرسخ، قرية ذات محل شامحات، وإلى الحليلة فرسخان بين رمال وحصى وأشجار، وبها يعمل القلا وهو الحطيم، ومنه يجلب إلى سائر أقاليم اليمن، ويكون فيها الصابا الملاح والنساء الصباح، وفيهن ذات فسق، وفيهن ذات صلاح، يكتمن العشق المباح، قال:

أحسن في واجحة ريتة وفي نواحي أمجدون

وفي الحليلة أكثره لكهم يعجلون

وسألت أهلها عن بناها فقالوا لم نعلم، بل إن حدودنا كانوا قوم بدو دخلوا هذه القرية فوجدوها حالية من السكان فلما استطابوا بها سكنوها فتوطنوها.

والى سورع ثلاث فراسخ، وهي أرض مهلهل وكليب، وبها كانت حرب اليسوس.

وكانت فيما تقدم من الأيام هذه الأعمال أعمال بني مجيد بنوا بها القليعة، فخربت القليعة لاختلاف أهلها، وسكن بعدهم جماعة من أهل جزيرة فرسان في أواخر أيام سيف الإسلام طفتكين بن أيوب وبقيت في أيديهم إلى الآن، ويؤخذ بها

مكس من كل حمل نصف ربع، وثمر بين الرينة وبين مرسان والسالمية والاسجار والنجاجة والفريضة.

والى العمرية ثلاث فراسخ حفرتين فى وادٍ، واشتهر هذا الوادى بهذا الاسم، على ما ذكره غرى بن أبى بكر الحجازى أن امرأة جاءت بهذا الوادى تسمى عمرية فأصابها عطش شديد فصعدت إلى دروة هذا الجبل على إثر سيل السيل من فضل الفيوت فحسبته ماء، فلما وصلته أيست فماتت من شدة العطش، فعرف الوادى والجبل بهذا الاسم يعنى اسم عمرية، وحفرت الثر بعد الموت وسميت البئر باسم الجبل، كما قال:

تحسّرتُ فى أمرى وانى لذائبٍ أدير وجوه الرأى فيه ولم أدرِ
أعزم عزم الناس والصبر دونه أم أفتح بالأعراض والنظر الشزيرِ
فديتُك لم أصبر ولى فيك حيلةٌ ولكن دعائى الياس منك إلى الصبرِ
تصسّرتُ مغلوباً وانى لموجعٌ كما صسر العطشان فى البلد القفرِ

وقال روية النكبي:

كذرى پیش من نكاه کتم سوى رُخسار تو رهوده دلى
همجو در دشت كربلا سوى آب نكه تشنكى حسين على

تفسير هذين البيتين باللغة العربية يقول نمر بنى وأنا أنظر إلى وجهك وأنا مسلوب الفؤاد كما كان ينظر الحسين بن على فى كربلاء من عطشه إلى الماء.

والى عبّرة ثلاث فراسخ، بئر حمرت فى بطن وادٍ مشرف على البحر المالح،

وما سميت بهذا الاسم إلا أن ماءها يشابه عبرة الإنسان في الصفا، ويقال: بل عبرة تعبرها القوافل، وكان السبب على ما حكى عزى بن أبي بكر الحجازي أن أهلها كانوا جبابرة، ومن جملة خبرهم أنه إذا ضاق على أحدهم الرزق من وجوه الشقا والكد والطلب لم يستحسن يطلب من أحد ولا ينزل ماء وجهه إلى أحد فكان يخفر حفرة كبيرة يدخل فيها هو ومن معه ويموتون جميعاً لئلا يعلم بحالهم عدو يفرح أو صديق يهتم، كما قيل:

وكم قد رأينا من فتى متجملاً	يروح ويغلو ليس يملك درهما
يراعى نجوم الليل مما يصبه	ويصبح يلقي ضاحكاً متبسماً
ولا يال الإخوان ما في يديهم	ولو مات جوعاً عفاً وتكرماً

وقبور القوم باقية في ما بين كل قبر منها مقدار دار عظيم، فسميت العبرة، فاعتبروا يا أولى الأبصار، ولم يتحقق عند ابن المحاور أنهم كانوا مسلمين أو غيرهم من أهل بعض الأديان، وبقي آثار الحسف والحجار بها.

فصل: حدثني بدوي من أهل البلاد بهذا المعزل سنة تسع عشرة وستمائة أنه جاز بهذه البئر رجل غريب فسألني عن جبل الحائلة ونجوان والناحية فأنبأته عن الثلاثة الجبال فقلت له: ما شأنك نسأل عن هذه الجبال؟ قال: إني قرأت في بعض الكتب أن ما ينجو في آخر العهد إلا من سكن هذه الثلاثة الجبال، فقلت له: فأى الجبال هم؟ فقال: نجوان، وهو جبل بني عليه حصن عزان، والجبلان الآخران بقرية، والله أعلم.

صفة باب المنذب

لم يكن هذا البحر بحرًا في قديم العهد، أعنى بحر القلزم، وإنما هو بحر مستجد، فتحه ذو القرنين، ويقال: بعض التبابعة، وكان الموجب على ما ذكره جماعة من أهل البلاد، منهم: الأمير أبو الطامى جياش بن سجاح فى كتاب المعيد فى أخبار زبيد، قال: لما وصل ذو القرنين إلى هذا الوادى نظر فوجد به شدة الحر ففتح، أى نقر صدر الوادى، فخرج البحر وحرح عرق منه إلى القلزم ووقف عنده ويقال: إن أرض الحبشة كانت متصلة ببلاد العرب، فقال ذو القرنين: أردنا أن نفرق ما بين الإقليمين ليعرف كل صاحبه ويحور كل أرضه وبلادها ويقطع ما بين القوم من التغلب والتعدى.

فلما فتح البحر افترق الإقليمان كل إقليم بلداته، فصارت الحبشة تحوص البحر بالخل والرجل تعزو أرض العرب، وتبنى بعض العرب على جبل المنذب حصنًا يسمى بعدد ومد بسلسلة من بر العرب إلى بر الحبشة معارض، فكل مركب يصل يمر تحت السلسلة حتى كان يخرج منه، ويسافر إلى أى جهة شاء وأراد، وبقي الحصن على حاله إلى أن هدمه التبابعة ملوك الجبل، ويقال: هو زريع ملوك عدن، والأصح الحبشة ملوك زبيد، ورفعت السلسلة، وبقي أثرها إلى الآن.

ويقال: إن فى ذلك الزمان ما كان لسفارة البحر حوار إلا على باب المنذب، لأنه كان أعز موضع فى البحر، وكان ما بقى منه أفشات ووضح ويطون والأولاد

يلعب الماء بها، والآن صارت المراكب تسافر من وراء ظهره، وهو بحر عميق طويل عريض لكثرة المياه، ولزيادة المياه وتذكر ما بقي إذا وصلنا عدن، ويوجد في سواحله العنبر وغالب ما يجده الصيادون

ذكر الفقرات

وفي أواخر بطن الوادي، بمعنى العمرية، ثلاث تلال حصاً يكون بين كل واحدة إلى الأخرى مقدار ثلاثين ذراعاً رائداً لا ماقصاً، فسألت عن حالهم فقال لي بعض الحماليين: إن هذه التلول أثر ثلاث فقرات فقرها بعض الجبابرة في زمن الجاهلية، على كل فقرة تل حصاً ليعرفها، وهي من جملة العجائب، وتعر بين المأجلة وبين السقيا، ويسمى هذا الحبث مطاراً لأن ما يروى بها أهلها الماء إلا أيام المطارات، وعلى عين الدرب أثر مسجد فيه أثر نافذة معاذ بن جبل، رضى الله عنه، وهو موضع فاضل.

والى العارة ثلاث فراسخ.

بناء المزدوية المرة

فلما قتل النجاشي بأرض الحبشة ونجا من سجا من القتل وسكن هذه البلد سميت المزدوية لأنهم اردوا بأرواحهم لئلا تعطب كمولاهم وسلامة خدامه دون الغير.

قال ابن المجاور: وما سميت المرة إلا أن حياتهم رجعت مرة لتشتتهم من أرضهم وبلادهم ومفارقة الأهل والولد، فلما انقرضت تلك الأمة سكنها قوم عرب سموهم المربين، ويقوا سكانها إلى أن حُجزت البلاد وصاعت العباد فارتحلوا منها.

حدثني ربحان، مولى علي بن مسعود بن علي، قال إنهم نزلوا بربرة وأعمالها وبقي نسلهم في بر السودان المعروفين بالمربين، وهم الآن ذوو قبائل وعشائر، وبنت بعدهم العرب مدينة الأحصيرين فوق العارة.

حدثني يوسف بن حميس بن أبي بكر قال: إنه كان مسكن الصيادين، والدليل على ذلك أنهم إلى الآن يجدون عظام السمك.

حدثني موسى بن ديفل قال: بل كانت مدينة عظيمة، فلما حربت بهاها العرس الواردون من أهل سيراو المنيرة تحت العارة على هذا السحر، وبها آثار جامعين كبيرين ومساحد وطواحين الملل وطواحين القرظ ترى بين شجر الأراك

قال ابن المجاور: وكل مدينة بهاها الفرس من أهل سيراو بنوا فيها المدايع وعملوا بها طواحين القرظ، ولا شك أن القوم كانوا دباغين

وقال حكيم: لم يخرج من اليمن إلا وعد أو راتض فرد أو داغ جلد.

وقال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود وكيف هذا؟ قلت: كانوا يدبغون الأدم ويُجلب إليهم من أعلى مكة وبحران إلى عمان ومن حلي بنى رهرة إلى كرمان ومن كبس وجانة وفارس ومن ببي مكرمان ومن زيلع ورحمتو والمنذرية من عدن إلى مكة، وكان ينزف جميع هذا الأدم إلى العراق وخراسان وكرمان وما وراء

النهر وخوارزم وهجر فكان يتفرق في أقاصي الأرض ودانيها، وما كان بيان كما ينزف في عصرها هذا للقوة من ما بين سائر الأمكنة براً وبحراً إلى الهند، ولم يؤثر جميع ذلك فيها أثراً كما يقال: لا تنظر إلى طول المنارة ولكن انظر إلى الجامع.

ذكر حشمة أهل المنزلية

حدثني رجل من أهل الحجاز قال: إنما كان مأكول الفرس من أهل سيراك السمك الضيراك، ففي بعض الفصول يعدم فعند عدمه خرج غلامان لتاجرهن ليشتريا ضيراكاً، إذ أقبل الصيادون بصيراك فترابذ فيه الغلامان إلى أن بلغوه ألف درهم فاشتراه أحدهما، فلما دخل الغلام بالبحوت على سيده استحسن منه ذلك وأعتقه وأعطاه ألف درهم يتعيش بهما، وأما الثاني كان من الغلام الآخر فإن سيده من عيظه عليه أهانه غاية الإهانة، لما أن غلام زيد غلبه كي الشطارة.

حدثني أحمد بن سلطان المجدي قال: إنما أحرب المنزلية على بن مهدي سنة أربع وحمسين وخمسمائة، ويقال: إن بني مجيد بوا البلاد وبقوا على ما هم عليه إلى أن قحطت البلاد وجاعت العباد، ويقال: إنهم افرقوا ذات اليمين وذات الشمال وبقيت خراباً فحاء الحجازيون فاستعاروا الأرض من بني مجيد، فوافق ذلك الموضع الحجازيين وقويت أيديهم عليها لما أخصيت البلاد وشيع العباد، فرجع بنو مجيد إلى بلادهم وأوطانهم فقاتلهم المحاربون وأنكروهم وأخرجوهم من ديارهم كرهاً من غير رضی، فلما عجز بنو مجيد عن مكافاتهم تفرقوا ثلاث فرق: فرقة

سكنوا زبلع، وفرقة سكنوا ظفار، وفرقة سكنوا مقدشوه، وبقي شردمة منهم في الجابية.

قال:

تفاني الرجال على حبها ولا يحصلون على طائل
ولعبد آل عامر يقول:

ألا إن لي دينًا من أيام ذي اللوى ودينًا من أيام الحسين وأكد
أسايل ذا ديني أضافه عند ذا وذا جاحد ديني كما ذاك جاحد

وأهلها صيادون حمارون وهم قوم ثقة أحيار، رجال فحول، مأكولهم السمك، لا غير، وجميع عرب أهل هذه الأعمال الجبال مع التهاثم إلى حدود الحجار لا يقبل أحدهم حكم الشرع ^{وإنما يرضون} بحكم الصع، ولا شك أنه حكم الجاهلية الذي كانوا يتحاكمون به عند الكهنة وبمادة الرقاع، ويقال إن الإمامة قبل الإسلام، فإذا حكم الشيخ حكمًا في الصع في أحد من العرب بضرب العنق لم يقدر على الهرب، ولو أراد الهرب لما أمكن إلا أن يمد عنقه ويرصى بالقضاء، فإذا وفي بما عليه نادى مادي في سائر العرب وفي كل مجمع: ألا إن فلان بن فلان طاب بطيب العرب، فيرد عليه كل من سمعه: جاد الفتى.

وكان يؤخذ في العارة من كل حمل نصف وربع من صمات العشر وسابق الصيادين والقُفُول الواردة من عدن إلى ريد والصادرين من زبيد إلى عدن ومراكب الزبالع القادمين من أرض الحبشة كل عام بألف ومائتي دينار، فأزيل جميع ما ذكرناه ستة عشر وستمئة، وأعيد هذا الرسم سنة أربع وعشرين وستمئة، وصعد الضمان

ألف وسبعمئة دينار، ويقال: إن أول من سعى في ضمان القرية عبد الله بن أبي بكر الأحوزي وبقي يحيى إلى يوم الدين، وللشريف الرضي يقول في مثل هذا:

من لم يكن عنصره طيب لم يخرج الطيب من فيه
كل امرئ يعجبه فعله قد ينضح المرء بما فيه

من العارة إلى الحليلة راجعا

على درب الكديحا

من العارة إلى عثر ثلاث فراسخ، وهي قرية على ساحل البحر، ويوجد فيها ما لم يوجد في موزع، وبهبر المحاء وهو مرشش دفيء، وما اشتق اسمها عند العرب محاء إلا أنها لا تمصغ كما لا تمصغ المحاء، وهي طريق الأصل وعليها كان المعول في مسير القوافل في سالف الدهر لأنه أقرب طريق وأبرد لهواء الساحل والبحر، وإلى الحليلة ثلاث فراسخ، ويعرف... وهو مجمع الطريقين.

من العارة إلى المفاليس

من العارة إلى قرن ثلاث فراسخ.

ذكر ترن

أهل ترن أصلهم من امرأة خرجت من البحر تسمى الفالقة سكنت البر وتزوجت رجلا من وجوه العرب، أسكنها العربي أرض ترن ورزق منها أولادا إناثا وذكورا.

قالت العرب: إن أهل ترن من نسل العربي والمرأة، يعنى الفالقة، وكان إذا جاءهم سيل عظيم ومال عن حربه لُسقى به موضع آخر كانت تقعد في بطن الوادى وتسد من عظيم حلقها وكر جنتها وبرد الماء إلى المحرى القديم المعتاد فتسقى الأرض من حربه، وكان تسقى على حالها إلى أن تسقى للناس الأرض كلها، فإذا رويت الأرض واستعنت للناس عن ماء السيل يقوم حيث من مقعدها فيجرى ما فصل من ماء السيل إلى البحر، ويقال: إنها كانت ساحرة

قلت لعمر بن علي بن مقل ما فعل الله بفالقة؟ قال: إنها إلى الآن تعيش، قلت: وأين تسكن؟ قال: بوادى قطيفة، قلت: وأين الوادى؟ قال: في أعمال ترن، ولم تمت وإلى يوم القيامة، قلت: هل يراها أحد؟ قال: نعم، كل من قرب أجله، قلت: ولم سميت هذه الأرض ترن؟ قال: لأن الحلق كانوا يتعجبون من عظم حلقها فكان زيد يقول لعمر: ترن، أى تراها، فعرفت الأرض بهذا الاسم، ولهذا تقول العادة أنا السرى، يسكن فخذ من فحود العرب أرض ترن، ولا شك أنهم برمجيد، وهم أهل أنعام وخيل وزرع وضرع، لما كثر المال عليهم وحسن الحال بهم ركبوا على حين عفلة من الحجازيين وقتلوا جماعة منهم بعد أن أخذوا جميع ما كان معهم من المتاع والمال والأثاث وعادوا مصوريين، وبقي الحجازيون في

العناء والتعب مدة عام كامل، والتألم حلق عظيم منهم ورجال من السكاسك فلان وفلان بن فلان من المعدودين كبسوا على أهل ترن سة ستين وخمسمائة، فصار عادة القوم إذا انتسب أحدهم قال: أنا الثري، يعنى من نسل القوم الذين حضروا الواقعة.

وملك الحجاريمون أرض ترن إلى الآن وجميع زروعهم فيها فصارت لهم مأوى ومُلْكًا.

وإلى السَّحْبَلَة ثلاثة فراسخ، وإلى المفاليس ثلاثة فراسخ.

من العارة إلى تعز

من العارة إلى شمت أربع فراسخ، وإلى البية ثلاثة فراسخ، وإلى المحيطات ثلاثة فراسخ، وإلى الحصين فرسخان، وإلى العريش ثلاثة فراسخ، وإلى تعز فرسخان.

من العارة إلى عدن

من العارة إلى الجابية فرسخ، ويقال: إنها من أعمال ترن، وترن من أعمال العارة، وإلى بئر الصعبة ثلاثة فراسخ، وهى بئر حفرت فى آخر دولة بنى مهدي، وثغر العرف والحراجره والحجف والقعيما وعويد ومحاذا بئر صبيح على يسار المحجة جبل حرز، ويقال: جبل حريز، وما عُرف بهذا الاسم إلا أنه.. يسمى حرز ويقال: بل جبل حريز، أى مكين، والله أعلم بالصواب.

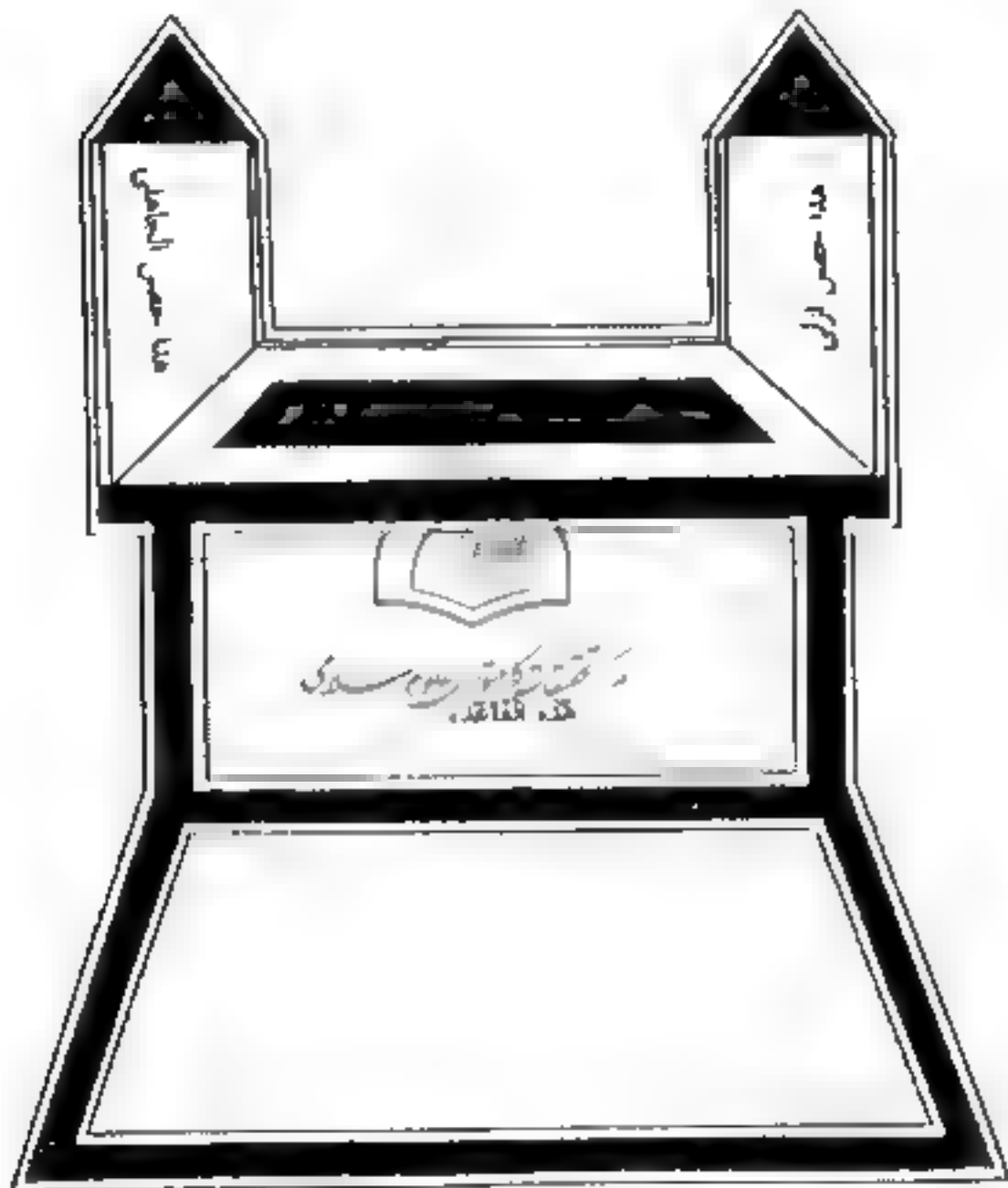
صفة جبل حريز

هو جبل شامخ شاهق في الهوى، وبالقرب منه جبل ذو ساح، أي ذو رأس، بنى عليه حصن يسمى الجاهلي، ويقال: الأرلي لقدمه، والناس تصعد إليه، والثاني لم يصعده إلا كل صالح ودلي.

حدثني علي بن صبيح العقولي أن سليمان بن داود، عليهما السلام، بنى في إقليم اليمن ثلاثة حصون: بيون وغمدان وسلحين، وهذا الحصن يسمى القاعدة وهو أحكمهم، وذلك لما تزوج سليمان، عليه السلام، ببلقيس في أرض اليمن فأمر الجن أن ينشئ هذه الحصون جميعها على هذا الوضع، والله سبحانه وتعالى أعلم بالغيب وأحكم.

وبقي الحصن على حاله إلى أن حارب وانشر، ويقال: إن أبا الفيث بن سامر أراد عمارة هذا الحصن في دولة الحرة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن يعقوب بن موسى الصليحي بعد أن أحصر له آلة البناء، وتم له المقصود وابتدأ في البناء فطلع طلائع الجن فقتلوا جميع القوم في المكان، وبعده أراد عمارة هذا الحصن الداعي سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، ويقال: الداعي سبأ بن أبي السعود بن الزريع ابن العباس بن المكرم، وإلى عدد من قتل الدولة الفاطمية، فلم يمكنه الحصن، وأراد إعادته بعدهم سيف الإسلام الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب في دولة الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب بن شاذي، فأشار عليه بعض الفضلاء بتركه.

وصورة بانه على هذا الوصف والترتيب، كما تراه في هذه الصفحة:



فقلت لعمر بن علي بن مقبل: هل في فروته عمارة؟ فقال: ما كان يسكنه إلا من خاف، وفيه آثار حيطان قد اندثرت وحدرات قد انهدمت وصهاريج قد خربت ودرج قد ثقلت.

قلت: فهل كان عليه سور؟ قال: إن الجبل هو سور بذاته وإذا أصاب عرب هذا الزمان في هذه البلاد خوف أو جور من السلطان صعدوا بأنعامهم ودوابهم إلى القاعدة وقعدوا بها إلى أن يأمن البلاد فحينئذ يطلون البلاد، فإذا قل على سكانها الماء، يعني من الصهاريج التي بها وهي حراب، أصدد إليها الماء من لحف الجبل من ثلاث آبار، إحداها شر عدل، مشرفة على المصححة، والثانية بشر يعوم، والثالثة بشر ثة، فقلت هذه الآبار حفرها الأوائل؟ قال: بلى مستحقة استحدثت في هذا العصر

صفة وادي عيرة

والحصن مشرف على البحر وقد خرج فسطرس حل باد في البحر طول فرسخ طريق شبه خط الاستواء، ويقال: إن بابي الحصن أراد أن يحرب العاد مما يلي المشرق إلى البحر ويدخل عليه فلم يقدر عليه لقوه الصحراء وكان عرضه أن يقطع الطريق على المراكب لأنه لو اتفق بهم لكان يستظهر على أخذ المراكب لصعوده فوق الريح وبقاء المراكب تحت الريح، فلما لم يتم له قال بتركه، والآن هو معاصر اللؤلؤ الجيد، وبقي من الآبار بشر عدل مع جبل الراديين، وبها كانت وقعة العرب مع العرب وهي وقعة مشهورة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وبشر أبي بكر شنلو العفري وقد بني على البئر مسجداً سنة اثنين وعشرين ومستمائة.

والى المزحجية ثلاث فراسخ، وهى بئر مالحة فى أرض عرب يقال لهم: العقار، والى البيضاء فرسخان، وتعرف بسبحة العراب وتسمى قاع الغراب، وقد كان عد البحر وعلى يسار الدرب بئر تسمى المحقق، بناها القائد حسين بن سلامة، وليس فى الريح المسكون أحلى ولا أحف من مائها على الفؤاد، وجواز القوافل على ساحل البحر.

والى رباك فرسخان، وهى قرية كانت عامرة، وقد عمر بها الأمير ناصر الدين فاروت بستاناً حسناً وحفر بها أنهاراً وغرس بها النارج والأترج والموز والتارجيل، ويقال: إن الناخوذة عمر الأمدى غرس شجر الشكى البركى، وهو شجر يحرج من بدن الشجر بخلاف جميع الأشجار، والبركى عمره ستة خمس وعشرين وستمائة، وحفر بها برك وبها حفرة تسمى لحفرة الأسد فى سالف الدهر، كانت الحلق نوح إليها من أبين ولحج وما حولها من القرى قى أول شهر الله الأصعب رحب

والى المكسر فرسخ، قنطرة بناها الفرس الذين تولوا عدن على سبع قواعد، ويقال: إنما بناها شداد بن عاد فى الأصل.

حدثنى يحيى بن يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناها رجل جيلى سنة خمسماية، ويسمى المرف وكان فى الأول لا يعدون هذا الموضع إلا بسابق وكذلك الماء والمطبخ

والى جبل حديد نصف فرسخ، ويقال: إنه جبل حديد جاء بعض أرباب المخيرة وسبك من هذا الجبل بهارين ونصف حديد وغار المعدن عن أعين الحلق،

ويقال: إن الرجل السباك قُتل لأجل سبكه الحديد، وفي لحفه مسجد بنى بالحجر والجص.

والى المياه ربع فرسخ، وإلى عدن ربع فرسخ.

ذكر ما كانت عليه عدن

في قديم العهد

كان من القلزم إلى عدن إلى وراء جبل سقطرة كله بر واحد متصل لا فيه بحر ولا باحة، فجاء ذو القرنين في دورانه ووصل إلى هذا الموضع ففتح وحفر خليجاً في البحر فحري البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب الصلابة فبقيت عدن في البحر وهو مستدير حولها، وما كان يبان لمن عدن سوى رموس الجبال شبه الحزر.

ولما على قولنا دليل واضح أن آثار ماء البحر والموج باق بائن في نرى جبل العر، والجبل الذي بنى على ذروته حصن التمكن وحل الأحضر

والدليل الثاني أن شداد بن عاد ما بنى إرم ذات العماد إلا ما بين اللجة ولحج وبين المغاوى التي على طريق المفاليس، وهو الرمل الذي إلى جبل دار زينة، وما بناها إلا في أطيب الأراضي والأهوية والجو في صماء من الأرض بعيداً عن البحر، والآن رجع البحر في أطراف بلاد إرم ذات العماد وتناول البحر شيئاً منه أخذة، ولم يكن بهذه الأرض بحر وإنما استجد بفتح دى القرنين فمد من جزيرة سقطرة فساح إلى أن وقف أواخر المندب.

والدليل الثالث أن البحر الذي ما بين السريين وجدة يسمى مطاراد الحيل ومرابط الحيل، والأصل فيه أن العرب كانت تربط الحيل في هذه الأرض، والأصح أنهم كانوا يطاردون به الحيل لما لم يكن بحراً، وكان البحر أرضاً يابسة، فلما فتح ذو القرنين باب المندب عرق جميع الأراضي وما علا منها صارت جزراً في ناحية البحر يسمى باسم الأصل مطاراد الحيل.

ومما ذكره الأمير أبو الطامى جياش بن بجاح في كتاب المفيد في أخبار زيد الأول، وهما كتابان. المفيد الأول الذي صنفه الأمير جياش، والثاني صنفه فخر الدين أبو علي عمارة بن محمد بن عمارة، فذكر الأمير جياش بن بجاح في كتابه المفيد في أخبار زيد أن البحر كان محاصرة لقلة مائه فلذلك تملت الحيشة على جزيرة العرب حتى ملكوا صغاء إلى حكم إقليم المواهل وبقيت دولتهم فيها في الكفر والإسلام إلى أن أقامهم علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وفي عهده انقراضوا ورالت دولتهم مع شدة صولتهم.

نعود إلى ذكر ذي القرنين، كان البحر على حاله إلى أن فتح ذو القرنين باب المندب فجرى البحر فيه إلى أن وقف آخر القلزم فطال وعرض وقرخى وانبسط وانقرش فبانت أرض عدن.

ومما ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكيسانى في تفسيره قال لما خرج شداد بن عاد من أرض اليمن طالباً أعمال حضرموت ووصل لحج فظفر جبل العر وعظمه من على مسافة بعيدة فقال لأعوانه اعدوا أبصروا هذا الجبل وما دونه! فلما عابوا الموضع رجعوا وقالوا: إن هذا الموضع راد وفي بطنه شجر وفيه أفراع عظام

وهو مشرف على البحر المالح، فلما سمع بهذه المقالة نزل في لحج وأمر بأن تحفر الآبار، التي هي الآن يشرب أهل عدن منها، وأمر أن ينقر له باب في صدر الوادي.

صفة نقر الباب وحفر النهر

وأقام على حفر النهر ونقر الباب رجلين، قال حكماء الهند: هما غفريتان من الجن، وما زال أحدهما ينقر الجبل والثاني ابتداءً في حفر النهر برأس سقطرة من أعمال لحج، وما زال الرجلان يعملان في اسقر والحفر إلى أن بقي عليهم من العمل شيء يسير، فقال الحجار: إني إن شاء الله تعالى بالغد أفرغ، أي أتم عملي، فقال الحمار: وأنا بالعد أدخل الماء إلى عدن إن شاء الله أو لم يشأ، فانقطع النهر بمضيه من بعض وانسد معين الماء من الأصل وارقد ما تاء، بمضيه على بعض، ولم يصح منه شيء ولم تقم به صورة زلا لمستقم منه متتي، ووصل في حفره إلى تحت جل الحديد ومن عنده انقطع.

قال ابن المجاور: ورأيت آثار النهر بعينه منى بالحجر والجص بناء محكمًا وثيقًا في عرض ذراع ما بين الماء وحبل الحديد وقد علاه البحر ولم يَنْ لناظره إلا إذا عرى البحر ما د شبه خط الاستواء داخل في البحر.

قال فلما أصبح الحجار من الغد فتح نقر الباب وفتحة الباب واستقام له الأمر على ما أراد، ويقال: إنه بقي في القرمدة سبعين سنة حتى أجمه، فلما طال المقام في حال القوام صار شداد بن عاد ينفذ إلى هذا المكان كل من وجب عليه الجبس

يجسه فيه فبقى حبساً على حاله إلى آخر دولة الفراعنة الذين كانوا ولاية مصر، وبعد زوال دولتهم خرب المكان.

ذكر المدن التي كانت حيواً للملوك

كسمر حبس سليمان بن داود، عليهما السلام، حصار بادي حبس ذي القرنين، ترمذ حبس الإسكندر، مؤلتان حبس الضحاك الساحر، أمل وسارى لكىكاوس بن كيقباد، حبس حبس الروم، حصار طاق حبس بردسيار، مصر حبس أمير المؤمنين أبى محمد هارون الرشيد، مرو حبس أمير المؤمنين عبد الله المأمون، الشام حبس الإمام الناصر لدين الله، ويقال: إن فيها سرداباً إذا رادت الدجلة امتلأ وبقي المحبوسون وقوفاً فى الهواء إلى أن يقص، فمن نداء الماء وعفوية الأرض وملوحة السجة تنفطر جلود المحبوسين، وأكثر ما يبيض بها المحبوس شهر رمان، وبهاوند حبس السلطان معز الدين محمد بن سام، ولوحك حوران حبس السلطان بهرام شاه، وقلعة بصور حبس خسرو ملك بن خسرو شاه، وبرعد حبس تاج الدين يلدز السلطاني، وكوالبور حبس الملك قطب الدين أبى العوارس أيبك الآملى، وعوض حبس السلطان شمس الدين إلتتمش، وهراة حبس السلطان غياث الدين محمد بن سام، وحصار هراسب حبس السلطان أبو الفتح محمد بن تكش، وكوشك سنه جواهران حبس طغرل بك شاه بن محمد، ودهلك حبس عبد الملك ابن مروان، وعيلاب حبس الخلفاء الفاطميين، وتيمز حبس ملوك اليمن، وقوارير حبس بنى مهدى، وجبال برع حبس الملك الأعز على بن محمد الصليحي،

وسيراف حبس السلطان محمود بن محمد بن سام، وعدن حبس الفراعنة ورجعت من حبوس الفاطميين.

وقال الهنود: عدن حبس دس سر اسم حبس له عشرة رعوس من حملتهم الفeral درسير وكان يسكن جبل المنظر ويتفرج على رملة حُقَات وسكن بعده هنومت حُقَات، وما أخرجهم منها إلا سليمان بن دارد، عليهما السلام، لما وصل أرض اليمن لأجل بلقيس، لأن هؤلاء القوم المقدم ذكرهم كانوا عماريت، وما سميت عدن عدن إلا بعدئذ لما بناها سماها على اسم أبيه عدن، وما اشتق عدن إلا من عاد، ويقال: أول من حبس بها رجل يقال له عدن فسميت به.

قال ابن المحاور: وما اشتق اسم عدن إلا من المعدن، وهو معدن الحديد وتسمى عند الفرس احرسكين، (وعند اليهود) سيران، وعند السودا... وتسمى عند التجار مأكَل صيرة، وتسمى حبس فرعون ومقام الجن وساحل البحر، وتسمى عند اليهود هتام، وعند الظرفاء سداس، لأن كل ما يرميه الإنسان في الأريب يرد الكوس إلى اللحادوس.

وتسمى فرضة اليمن، وتسمى عند السوق دار السعادة، دار بناء سيف الإسلام طغتكين مقابل الفرصة، وتسمى الدار الطويلة بدار بناها ابن الحابيين على محاذاة الفرصة، وتسمى المنظر بدار بناها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين على جبل حُقَات، وتسمى عند التجار صيرة وحيرة.

ذكر جبل صيرة

هو جبل شامخ في البحر مقابل عدن وجبل المسطر ويقال هو قطعة منه، وقال محمد بن عبد الله الكيساني في تفسيره إنه يخرج يوم القيامة من صيرة عدن نار تسوق الخلق إلى المحشر، والدليل على ذلك قليب بالجبل، بشر يسمى انبار، ويسمى عدد حكماء الهند في بر يخرج طول الدهر منه دحان، ويسمى الآن بشر الهرامسة ليس يمكن لأحد النظر فيه من وجهه وكربه وقتامه، ويوجد حول البشر حجارة مكسرات وأفاع مائعات وحيات قائمات.

قالت الهندود: إن هنومت، أي العفريت الحقلم ذكره، حفر هذه الشر، وليس هي بشر وإنما هو سرب ينفذ حفره تحت البحر إلى مدينة أوجين بكرمي وهي سرير ملك مالوي من الهند.

فصل: حدثني مبارك الشرعي مولى والد محمد بن مسعود قال: كان السبب في حفر بشر في بر أن حادثير، وهو عفريت، سرق تحت روجة رام جندر، من أعمال عوض وسار بها إلى أن سكن بها على قلة جبل صيرة، وقال: إني أريد أن أقلب عنك صورة الإنسية إلى صورة الحية، فبينما هما في لا ونعم إذ سمع بهيرهما هنومت، وهو عفريت ثانٍ على صورة فرد، فحفر هذا السرب من أوسط مدينة أوجين بكرمي تحت البحر وبلغ آخر الحفر إلى أوسط جبل صيرة وفعل جميع ذلك في ليلة واحدة، فخرج من الحفر فوجدتها نائمة على ذروة الجبل تحت شجرة شوك فرفعها على ظهره ونزل بها السرب، وما زال يسري بها إلى أن بلغ

أوجين بكرمي، فعند انفجار الفجر الصادق سلمها إلى زوجها رام جندر، فرزق منها رام جندر ولدان ذكران سمى أحدهما لب والثاني كش، ولها حكاية طويلة عريضة يطول شرحها، فبقى السرب إلى الآن.

وكذلك حفر كيكالوس بن كيقصاد سرباً من الري إلى مارتندران مسيرة ستة وثلاثين فرسخاً، وحفر بعض الهنود سرباً في ديولاره من أعمال السومناث ينفذ أواخره إلى بابهن من أعمال الديوكير أول حدوده مالوي، وينفذ أبصا تحت بحار ورمال، ويقال: إنه حفر الجي ولا شك في هذا.

وحفرت رؤساء همدان في وسط أملاكهم سرباً ينفذ إلى رودراور مسيرة ثلاثة أيام، وحفر كرشاسب بن اشرط بن رستم سرباً في وسط قصره الذي مقلعة أراك بميستان ينفذ أواخره إلى وسط حصار طاق، مسيرة اثني عشر فرسخاً، وحفر دير الجب في نواحي الموصل.

قالت النصارى: لما قتل سحرأرب ولده من جهأ زماه في حفرة كانت بالقرب منه اتحرق في الحفرة سرب ينفذ إلى الرب مسيرة أربع فراسخ، قالت النصارى: وعاش مرتها بعد الموت وإدراك الموت، وهو إلى الآن بالحياه في تلك النواحي.

وحفر بعض سواريب الهنود بمدينة برهك سرباً مسيرة أربع فراسخ بطريق، وكان سببه ما حدثني أبو طالب بن أبي بكر بن أبي طالب الحداني، المعروف بابن السويدي، أنه عشق بنت الملك فحفر هذا السرب من بيت اليد إلى دار الصبية، فكان يمشي إليها وتجيء إليه في هذه الطريق مدة حياتهما، فلما حرب السلطان نظام الدين محمود بن سبكتكين البلدة بقي السرب على حاله، وبقي بطريق مكة جبل يسمى المخروق فيه خرق متصل من نحته إلى ذروته، وقد تقدم ذكره.

وفي نواحي الموصل قرية يقال لها: الباعور، وهو موضع لعرب من زمن النبي ﷺ، فمن شدة الباعور انخرق في الأرض سرب بطول من الباعور إلى الدجلة مسيرة خمس فراسخ

وحفر شاه بور بن أردشير بابكان في قلعة بيسابور سرها تحت الأرض مسيرة خمسة فراسخ ينفذ إلى بركة، وما عمله إلا لإحكام القلعة وحقق دماء الحلق، ولهذا يقال: الهرب في وقته ظفر.

نرجع إلى ما كنا عليه من كلامنا الأول:

فإذا تعوقت المراكب في المحيء عن موسم ثمر عدن يجاء إلى جبل صيرة بسبع وعوس بقر عد اصفرار الشمس وتبقى البقر في مكانها إلى نصف الليل، وبعد زوال هذا الحد ترد ست وعوس منها إلى عدن ويبقى رأس واحد هناك مكانه، فإذا أصبح ضحى به من العد في مكانه، وتسمى تلك الضحية صحية الجبل، فإذا عمل هذا العمل تقدم المراكب وتلاحق بعضها بعض، وقد صارت سنة من قديم الأيام من دولة بني زريع وغيرهم من العرب، وبطل ما ذكرناه في زماننا هذا.

فصل: فإذا حاذى مركب المسافرين مدينة سقطرة أو جبل كدمل تسمى تلك المحاذاة الفولة، يؤخذ قدر يعمل عليه شراع وسكان من جميع آلة المراكب ويحبس فيهِ من الأطعمة من قليل نارجيل وملح ورماد ويلقى في البحر من الأمواج الهائلة.

قال أهل التجارب والحبرة: إنه يصل بسلامة إلى لحف الجبل.

وكان في أيام القبط واليونان في وقت زيادة النسل تؤخذ بنت بكر عنزاء أحسن

ما يكون من الصور تزيين بأفحار رية، وتبسس الحلى والحلل، ويؤتى بها على رؤوس
الأشهاد بالطبل والرمز ويطلقونها في السبل، فأربل هذا الفن في أيام أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب، رضي الله عنه

وفي أجه وجميع أعمال الهد والسد إذا رزع أحد قصب السكر ينذر للصنم
ندراً إذا طلع قصبه جيداً فدى بإنسان، فإن صح قصبه احتال على بعض قصار
الأعمال بذبحه وهرش بدمه أصول قصب السكر في يوم عيد لهم يسمى الديوانى،
وإذا زاد شط السد في الأحد على المد والحد يؤخذ حشف عرال يجلل شوب
أحمر ويعطر ويخمر ويطلق في أغزر موضع وأقوى جريان في السبل وأشد سوار،
فحينئذ يقص الماء يادن الله تعالى، وما ذكرنا هذه إلا لسهن مقالاتنا وما تقلص من
قولنا، والله أعلم.



ذكر المعجلين

هو بركة في بحر جبل حقات وحبل صيره الذي بنى على ذروته قصر المبهطر،
والبركة خلقها الله تعالى وهي ما بين جبل حقات وحبل صيرة وهي ذات أمواج
هائلة قاتلة في عمق وغزر.

حدثني منصور بن مقرب بن علي الدمشقي قال: إذا برد الماء بها - يعنى في
البركة - يكون العام عاماً شديداً على كل من يقطع الصبا، قلت: ولم؟ قال: لكثرة
الأمواج وهيجان البحر، وإذا كان الماء فيه فاتراً يكون العام عاماً طيباً سهلاً يسيراً غير
عسير على مسافره وهذا مجرب، قلت لريحان، مولى علي بن مسعود بن علي بن
أحمد: لم سمي هذا المكان المعجلين؟ قال: لأنه يرجع فيه كل أربعة اثنين.

ذكر بحيرة الأعاجم

قيل: لما أطلق ذو القرنين البحر من جبل باب الحنذب وساح نشف ما حول عدن من المياه وبقيت عدن نصفها التي تلى جبل العر مما يلي صيرة مكشوقاً ومما يلي المياه وإلى جبل عمران ناشفاً، فلما استولت ملوك المعجم على عدن رأوا ذلك الكشف فحافوا على البلد من يد غالبية تحاصر البلد فحيث قاموا فتحوا له فماً مما يلي جبل عمران وأطلقوا البحر عليه فاندفع البحر فنزل إلى أن غرق جميع ما حول عدن من أرض الكشف فرجعت عدن جزيرة، وبقي كل من أراد السفر إلى جهة من الجهات ركب متاعه في الصابيق ويحيى في البحر الأصلي إلى أن يعدي البحر وجاءت الجمال فرفعه من عند المكسر وسافروا به، فلما رأوا ما رأوا من تعب الخلق في ذلك بنى المكسر وهو قطرة بنيت على سبع قواعد فصارت الحلق تلكه على الدواب وغيرها، وسمى البحر المستجد بحيرة الأعاجم وعرف بهم إلى قيام الساعة.

بناء عدن

لما انقطعت دولة الفراعنة خرب المكان بزوال دولتهم، وسكن الجزيرة قوم صيادون يصيدون في المكان فكانوا على ما هم عليه زماناً طويلاً يترزقون الله في القوت والمعاش إلى أن قسم أهل القمر بمراكب وخلقي وجمع وملكوا الجزيرة بعد أن أخرجوا الصيادين بالقهر وسكروا على ذروة الجبل الأحمر وحفقات وجبل

المظر، وهو جبل يشرف على الصاعة، وآثارهم إلى الآن وبناؤهم باقي بالحجر والجص ملء تلك الأودية والجبال، قال الشاعر:

لى أدمع هواطلـل	مدخلت المنازل
وسار حادى عيسهم	فهاجت البلايل
وقفت فى روعهم	هاذ بهم وسائيل
يا دار هل من خببر	رد جوابى عاجل
أجابنى من الربو	ع صائح وقائل
ابك دمًا يا غافلا	قد سارت القوافل
لى فيهم فتانسة	رشقة الشمائل ^(١)
فى خدها وقد هـا	ورد وغصن دابل

وكانوا يطلعون من القمر بأحدهن أسا واحداً فى موسم واحد.

قال ابن المجاور: وماتت تلك الأمم مع تلك الرئاسة وانقطعت تلك الطريق ولم يبق أحد فى زمانها يعلم مجرى القوم ولا كم وكيف كانت أحوالهم وأمورهم.

فصل: قال ابن المجاور ومن عدد إلى مقدشوه موسم، ومن مقدشوه إلى كلوة موسم ثانٍ، ومن كلوة إلى القمر موسم ثالث، فكان القوم يجمعون الثلاثة المواسم فى موسم واحد، وقد جرى مركب من القمر إلى عدن بهذا المجرى سنة ست وعشرين وستمائة، أقلع من القمر وكان صائلاً كلوة فأرسى بعدد.

ولمراكبهم أجنحة لصيق بحارهم ووعرها وقلة الماء بها، فلما ضعف القوم

(١) يلاحظ هنا أن البيت به إقواء، وهو اختلاف حركة حروف الروى عن باقى القصيدة

واستقوت عليهم البرابر أخرجوهم منها وملكوا البلد وسكنوا الوادي، موضع هو الآن عامر بصرائف، وهم أول من بنى الصرائف بعدن، ويعدهم خرب المكان وبقي على حاله إلى أن انتقلوا أهل سيراف من سيراف، وقد تقدم ذكرهم.

ووقع سلطان شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر في عدن فنزل وتوطن بها فانغمز الموضع بمقامه، وكان يجلب إليهم مياه الشرب من زيلع، فلما طال عليهم البعد بنوا الصهريج لأجل ماء الغيث ونقل طين البناء من نواحي أبين، ويقال: من زيلع، فلما كثر الخلق بعدن بنوا بها الحمامات، وبني الحمام عد حبس الدم فسيل فعسل الأرض سنة اثنتين وعشرين ومستمائة، وبنا الجامع، وذلك عد حمام المعتمد رضي الدين علي بن محمد التكريتي، ووضع مربوط الفيلة في سنة خمس وعشرين ومستمائة فملاً لحف الجبل الأخضر بالطول والعرض، فلما رأى ذلك تولى السلطنة.

مختصاً بكتبة دار الكتب

ذكر القاب ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن

مولانا ولي النعم، ومعدن الكرم، المملك العالم، المعادل المؤيد من السماء، المنصور على الأعداء، المتوج بالجلال والثناء، شاهنشاه المعظم، مالك رقاب الأمم، سيد سلاطين العرب والعجم، حافظ عباد الله، حارس بلاد الله، معز أولياء الله، منزل أعداء الله، عياث الدنيا والدين، ركن الإسلام والمسلمين، تاج ملوك العالمين، قاصع البغاة والمشركين، مفيت الدولة القاهرة، مزيل الأمم الكافرة، محي السنن الزاهرة، باسط العدل والرفعة، ناصر السلطنة والخلافة، عماد معالك الدنيا،

مُظهر كلمة الله العليا، مرفه الخلائق بالإصاف، مزيل الجور والاعتساف، القائم بتأييد الحق، الناظم لصلاح الخلق، ظل الله في الأرض، محيي السنة والفرص، سلطان البر والبحر، ملك الشرق والعرب، أنا سلطان شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولي النعم بهاء الدولة والدين، جلال الإسلام والمسلمين، ناصر الملوك والسلاطين، غياث جيوش العالمين، قاتل الخوارج والمشركين، قوام الملة، نظام الأمة، قطب المملكة، معز السلطنة، عدة الخلافة، بهلوان إيران وقوران، أبو سان سفاوس بن أسعد بن قيصر قسيم أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولي النعم، قسيم الدين، يمين الإسلام، صمصام الدولة، قوام السة، نصرة الملوك، بهاء الأمراء، كردر أبو المظفر أسعد بن قيصر برهان أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولي النعم، جلال الدولة والدين، منبث الإسلام والمسلمين، معز الملوك والسلاطين، سيف السة، بهاء الملة، تاج الأمة، نظام المملكة، معين الخلافة، فخر الأمراء مير باريك أبو شجاع نامشاد بن أسعد بن قيصر نصرة أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولي النعم والأمير الأجل المؤيد ناصر الدين عماد الإسلام علاء توران، حسام السة جلال الملوك، غياث الأمراء، زنده أبو الفتح كيقباد بن محمد ابن قيصر معز أمير المؤمنين.

آخر: والمولى محيى الدين معمر الإسلام ركن الدولة عضد الملوك مغيث الأمراء أبو سعيد قيصر بن رستم بن قيصر عمدة أمير المؤمنين.

آخر: والمولى سيف الدولة والدين، غياث الإسلام والمسلمين، تاج الملوك والسلاطين، ناصر السنة، نظام الملة، عماد الأمة، ركن المملكة، نصرة الخلافة، مغيث الأمراء، ملك العرب والعجم، أبو الصمصام، عاد بن شداد بن جمشيد بن أسعد بن قيصر، يمين أمير المؤمنين.

آخر: والمولى تاج الدين، ناصر الإسلام والمسلمين، مجد الملوك والسلاطين، معز السنة، محيى الملة، غياث الأمة، عماد المملكة، يمين الخلافة، جلال الأمراء، ملك الهند واليمن أبو المملك تاج الدين حمشيد بن أسعد بن قيصر، ظهر أمير المؤمنين.

آخر: والمولى عماد الدولة والدين، محيى الإسلام والمسلمين، ظهر الملوك والسلاطين، نظام الملة، ومظهر السنة، جمال الملوك، معز الأمراء، أبو الوفاء كدار شاه بن هزاراسب يمين أمير المؤمنين.

آخر: والمولى معمر الدولة والدين، تاج الإسلام والمسلمين، ركن الملوك والسلاطين، قوام السنة، غياث الأمة، ناصر المملكة، محيى الأمة، عماد الخلافة، مجد الأمراء، أبو البركات الحارث هزاراسب بن جمشيد بن أسعد حسام أمير المؤمنين.

فهؤلاء الملوك ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن.

بناء الجامع

ومما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار زيد قال: إن جامع عدن بناه عمر بن عبد العزيز وجده الحسين بن سلامة، والأصح أن ما بني الجامع إلا الفرس، وكان السبب في بنائه أنهم وجدوا في زمانهم قطعة عبر كبيرة مليحة فأتى بها إلى صاحب عدن فقال لهم: وما أصنع بها؟ يعموها وابنوا بشمها جامعاً، فليست أرى درهماً أحل من هذا الدرهم، ولا يخرج في وجه أحق من هذا الوجه، فباعوا العبر ونوا بشمته جامع عدن في طرف البلد.

فإن قال قائل: لم لا بُنى في وسط البلد؟ قلت: لأن في وسط مدينة عدن عين ماء ماد من البحر إلى الملاح، ولنا على قولنا دليل أن من بقايا العين موضع الملح الذي يجمد فيه الملح بالملاح.

قال ابن المجاور: ورأيت وراء حمام المعتصم رضى الدين محمد بن على التكريتى أن سيلاً عظيماً غسل أرض الوادى فظهر به مداخل جملة من أيام الفرس كانت قد علت عليها الأرض من طول المدى.

وحدثني ربحان مولى على بن مسعود بن على قال: إنه ظهر عند حبس الدم بقرب جبل حقائق حمام كبير عظيم ذو طول وعرض، وقد كانت علت عليه الأرض، من بناء المعجم، وكانت الناس في أيام دولة المعجم يجدون العنبر الكثير إلى باب المنذب، وكان الصيادون يجدونه، فإذا مر بهم مركب أو تاجر يقولون له: تشتري منا حشيش البحر؟ يسمون به العبر، ويقال: إن الشيخ شبير الصياد وجد قطعة

عنبر ولم يعرف ما هي فجاء بها إلى بيته فعاره الحطب فأوقدها تحت القدر عوض الحطب، فعلم به الناس فعرف الشيخ بوقاد العنبر، وقد انقطع جميع ذلك في زماننا هذا من سوء ظننا وقبح فعلنا ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾^(١) فعند زوال أيام المعجم ملكها العرب.

ذكر أخبار آل زريع بن العباس بن المكرم ولاية عدن

سببتهم من همدان، ثم من جشم بن يام بن أصبا، وكان لجدهم العباس بن المكرم بن الذئب سابقة محمودة في قيام الدعوة المستنصرية مع الداعي علي بن محمد الصليحي، ثم مع ولده المكرم، عند بروله من صنعاء إلى زيد وأحمد أمه أسماء بنت شهاب بن أسعد من الأخول سعيد بن نجاح.

وكان السب في ملكهم لعدين أن الصليحي لما افتتحها وفيها بر من أبقاها في أيديهم، فلما قُتل الصليحي وافقت بر من في عدن فصار المكرم إليهم أحمد ابن علي فافتتحها وأزال بني من معها وولاهها العباس ومسمود ابني المكرم، وجعل مقر العباس تمكر عدن وهو يحوز البر والباب، وجعل لمسمود حصن الخصراء، وهو يحوز الساحل والمراكب واستحلعهما للحررة السيدة ابنة الملك أحمد، لأن الصليحي كان قد أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم سنة إحدى وستين وأربعمائة.

(١) الآية: ١٧ من سورة الكهف.

ولم يزل خراج عدن يصل إليها وهو مائة ألف دينار يزيد ولا ينقص إلى أن مات
المكرم أحمد، ثم وفي لها بعد موت المكرم العباس ومسعود ابني المكرم، فلما ماتا
تعلب على عدن زريع بن العباس وأبو العارات بن مسعود فسار المفضل بن
أبي البركات إلى عدن وجرت بينه وبينهما حروب كان آخرها المصالحة على
نصف خراج عدن.

ولما مات المفضل تعلبت أهل عدن على النصف الباقي فسار إليهم أسعد بن
أبي الفتوح ابن عم المفضل فصالحهم على ربع الخراج للحرّة، ولما ثارت آل زريع
في التمكرن تعلب أهل عدن على الربع الذي للحرّة ولم يبق لها في عدن شيء
لموت رجالها، ولم يقدر على بن إبراهيم بن نجيب الدولة على شيء من ذلك،
والله أعلم وأحكم.



ذكر ما شجر بينهم

نزل المفضل بن أبي البركات في بعض عرواته إلى زيد وكان معه زريع بن
العباس وعمه مسعود بن المكرم، ولهما يومئذ صبيان في عدن، فقتلا جميعاً على
باب زيد، ثم تولى الأمر بعدهما بعدن أبو السعود بن زريع وأبو العارات بن مسعود،
ثم ولي الأمر بعدهما الأمير الداعي سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي بكر بن
أبي الفارات ثم ولده عليّ الأعز ثم عليّ بن أبي الفارات، ثم الداعي محمد بن سبأ،
وهو آخر بني داود، ثم ولده عمران، وصفت بعده آل زريع محمد وأبي السعود
ابني عمران، وهما طفلان، والله أعلم وأحكم.

ذكر السبب في زوال ملك علي بن أبي الفارات

وحصولها للداعي سباً

كان محمد بن الجزري نائباً لعلي بن أبي الفارات في نصف عدن، وأحمد ابن غياث نائب سباً في نصف عدن، فحاسب ابن الجزري في قسمة الخراج أحمد ابن غياث فامتدت أيادي أصحاب علي بن أبي الفارات إلى ظلم الناس وعاثوا وأفسدوا وأطلقوا أيديهم وأستهم بمدمم الداعي سباً، فحيث قام القائد بلال بن جرير المحمدي إلى ولاية عدن، وقد أمره الداعي أن يهاج القوم ويحرك القتال بعدن ففعل بلال ذلك وجرت بينهم وقائع عظيمة في لحج آخرها قتل الداعي سباً بن أبي السعود علي بن أبي الفارات بها سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وأوصى بالأمر لولده علي الأعز وكان علي الأعز مقيماً بالدملة فهم أن يقتل بلالاً بعدن، فمات علي الأعز وأوصى بالأمر لأولاده وهم: حاتم وعباس ومنصور، وكانوا صغاراً فجعل كفالتهم إلى أنيس، خادم حنسي.

وكان محمد بن سباً قد هرب من أخيه فاستجار بالأمير منصور بن مفضل بن أبي البركات فأجاره، وحين مات علي الأعز في الدملة سبى بلال من عدن رجلاً من همدان فأخذوا محمد بن سباً من حواري منصور بن المفضل ونزلوا إلى عدن فملكه بلال واستحلف له الناس، ورؤيه بلال ابته، وجهره في جيش فحاصر أنيساً ويحيى العامل بالدملة فملكها وأطاعته البلاد كافة، ثم مات في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

وتملك بعده ولده عمران بن محمد ثم مات سنة ستين وحمسمائة وخلف ولدين: محمد وأبا السعود، وتولى أبو النداء بلال بن جرير المحمدي سنة أربع وثلاثين ومات في سنة سبع وسبعين وحمسمائة عن أولاد رجال مهم: مدافع وياسر، وهم آخر الدولة.

ويقال في رواية أخرى: وبعدهم ملك عدن سبأ بن أبي السعود ومحمد بن أبي الغارات، من بني زريع، فكان أحدهم يجي ما دخل من السر والثاني يجي ما دخل من البحر، وكانت اللد بينهما بالسوية، يأخذ كل حقه من المكوسات، وكان يجري بين القوم فتنة عظيمة لأجل الماء والحطب وقتال شديد في الدخول والمخرج، وذلك في السائلة، فقوا على حالهم إلى أن جهز ملك الجزيرة قيس دوانح وبرمات شبه أبرام الماريجيات ومهايق... لأخذ عدن من أربابها، فلما وصلت الدوانح أرسوا تحت جبل صيرة وأنفذوا رسولهم إلى بني زريع، يعي أصحاب العسكر والحصراء وقالوا لهم: اعلموا أن ملك كثر أنفذاً على أحد عدن، فإن جئتم بالصلح ولا جشاكم بالفتح، وهو أقيح، فقال لهم صاحب حصن الحصراء أنا عبدكم والبلد بلدكم وولوا فيها من شئتم.

فلما سمع القوم هذه المقالة برلوا من الدوانح والبرمات إلى السواحل وقلوبهم آمنة بالأمان والطاعة، وأنفذ لهم صاحب حصن الحصراء الإصافة التامة، وأرسل لهم بالدقيق والغنم والنبيد فخبز القوم وطبخوا ودارت الأقناح بين القوم.

فلما رأى مقدم الجاشو فعل أصحابه قال لهم: كفوا عما أنتم عليه عاكفون، ولا شك أنها حيلة عليكم أيها الجاهلون! فأنتق عليهم حبراً ولحمًا وبيئنا وجاشوا كما قال:

إني بليت بأربع مما سلطوا إلا لحتفي أو بلای وشقائي
الهم والدنيا ونفسي والهوى كيف التخلص من يدي أعدائي

فصل: فلما أُرست الجاشو مرسى عدن أُنمد صاحب النعكر إلى ابن عمه صاحب الخضراء وقال له: ما صنع وهذا العدو قد دعما؟ فقال له: غلطنا في الكيل فشرد منا الحيل وأعمل برأيك فيما ترى، فقال: أنزل من الحضراء وأنا أكفيك شرهم، فرل الحس شبه ألف حمس وسلم الحصن إلى ابن عمه، وأنشد المنصور بن إسماعيل الأبري يقول:

الناس بحر عميق والبعد عنهم مقيس
وقد نصحتك فانظروا لنفك المكينة

وحدثني الشيخ بلال بن جرير المجددي قال: لما ملك حمص الحضراء معدن وأخذت الحرة بهجة أم علي بن أبي الفوارات وجدت عندها من الذخائر ما لم يقدر على مثله، وعدن كلها يدي في مدة متطاولة.

قال بلال: وبين عدن وبين لحج مسيرة ليلة، فأذكر أنني كتبت من عدن بخير الفتح وأخذ الحضراء وسيّرت بشيراً بالبشرى إلى مولانا الداعي سبأ بن أبي السعود، وفي اليوم الذي كان فيه فتح الخضراء فتح مولانا مدينة الرعارع فالتقى رسولي ورسوله بالبشرى، وذلك من أعجب التواريخ سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

واشتغلت الجاشو بالأكل والشرب ودار السكر بينهم، فصار مقدمهم ينادي أصحابه: كفوا عما أنتم عليه مشغولون، فلم يسمع منه إلا من له لب وفهم، وبقي

الباقون غادون على حالهم إلى أن برل صاحب حصص المعكر مع جمع من الخلائق، فركبوا السيف على الجاشو فلم يسلم منهم إلا كل طويل العمر، فكانت جماعهم رءوسهم ملء تلك الأرض، فكان إذا أشكل على رجل من أهل عدن موضعاً قال: أين من الجماحم؟ فعرف الموضع بالجماحم، والمعنى بالجماحم رءوس الجاشو.

فلما انتصرت بنو زريع هذا النصر برلوا من الحصون وسكنوا الوادي وبوا الدور الملاح، وهم أول من بنى الدور الحجر والجص بعدد، وكان يجلب الحجر إلى عدن من أعمال أيس لأجل العمارة، ولم يظهر لأهل عدن المقلع إلا أبو الحسن على بن الصحاك الكوفي، فلما أن سكر عدد اشترى عبيداً زنوجاً يقطعون الحجر من جبال عدد، وكانت الجوارى تنقله على أعناقها، فمس حينئذ قطعوا الحجر بها وصارت مقالع يعرف كل مقلع بصاحبه: مقلع على الأنكى، ويوسف الأردبلي، ومقلع رتبه السحار، ومقلع إسماعيل السلاسي، ومقلع حميد بن حماسة، ومقلع عبد الواحد بن مسمون، ومقلع أبي الحسن بن الدوري، وتملكوها إلى أن صارت لهم ملكاً ومستعلات.

فصل: ولما قبض شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي على عبد السي ابن علي بن مهدي، وهو آخر من تولي من العرب أرض الحصيب، وجاء به مسلاً إلى عدن، وقبض على ياسر بن بلال بن جرير المحمدي، مولى الداعي محمد بن أبي السعود بن زريع، وهو آخر من تولي من الدعاة، أقعد كل واحد منهم في حجة وحده، فالتفت عبد السي فوجد ياسر بن بلال يسارقه بالنظر فقال: يا عبد السوء ما تنظر إلا إلى أسد مفيد بقيد من حديد ومسلسل بسلاسل حديد.

وكان أبناء زريع يؤدون الحراج إلى الخلفاء العاطميين، وهو لأجل المذهب لأن القوم كانوا إسماعيلية، وكل من تولى بأرض اليمن من بني زريع يسمى الداعي، أي يدعو الحلق إلى المذهب، والملاحدة الذين هم ملوك كَرْدَكُوهِ وَالْمُوت، وهما حصنان على جبل على مدور لهم - أي للملاحدة - يأخذون الحراج من جبل السماق الذي لهم بأعمال الشام، ومن القرامطة الذين بالسند، ومن التورسنا الذين هم بأعمال بجران، وإن كانوا كفاراً فهم على عقيدة واحدة، وبعدهم ملك العز البلاد وهوا المنظر على جبل حَقَات بعد رجوع شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن إلى مصر، وسلم عدن إلى فخر الدين، أبو عثمان، عمر بن عثمان بن علي الرنجبيلي التكرتبي.



ذكر بناء سور عدن

حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى قال: أرسى مركب من المغرب إلى عدن في الليل فنزل الناحودة من المركب فدار عدن فإذا هو بدار عالية وبه شمع يقد وعود يبخر فندق الباب فنزل الخادم ففتح له وقال له: هل لك من حاجة؟ قال التاجر: نعم، فاستأذن الخادم له، فقال له صاحب الدار يصعد، فصعد فسلم كل على صاحبه، من غير معرفة، وجرى الحديث، فقال الناحودة: إني قدمت الليلة من المغرب وأريد من إسماع المولى أن أخفي عنده بعض التحف، قال: ولم؟ قال: خوفاً من الداعي، وقال له: أقبل ولا تخف من الظالمين، انقل جميع ما معك إلى الدار الفلانية، فنزل التاجر فصارت البحارون ينقلون المتاع من المركب إلى

الصديق إلى الدار إلى أن يخلوا ثلثي ما في المركب، فلما أصبح الساحة وجد صاحبه البارحة الداعي بعينه، وقال في نفسه. حفت بن المطر فوقعت تحت الميراب، وتشوش خاطره واسود ماظره، فأنفذ الداعي إليه وقال له: أنا صاحبك البارحة وأنا الداعي مالك عدن، اليوم طيب قلبك واشرح صدرك، عشور مركبك همة مي إليك مع الدار التي نزلت فيها، وهذه ألف دينار تنفقها ما دمت في بلادنا، وحرام على أحد شيء منك، لا على وجه الهبة ولا على وجه البيع والشراء، فقال له الساحة: وعلام^(١) هذا كله؟ قال. لدخولك علينا البارحة مرلما في نصف الليل، وأمر أن يعد سور من الحصن الأحصر إلى جبل حفات فأدير سور ضعيف وارنلهم بعضه على بعض واهتدم للدوام الموح عيبة، فلما حرب أدير عليه سور ثان من القصب شئت، وبقي على حاله إلى أن بنه أبو عثمان عمر بن عثمان بن علي الرحبيلي المكريسي دائراً على حول المصطر إلى آخر جبل العر وركب عليه باب حفات، وأدار سوراً ثانياً على الجبل الأنحصر، وحده من حصن الأحصر إلى التعكر على رؤس الجبال، وأدار سوراً على الساحل من الصناعة إلى جبل حفات، وركب عليه ستة أبواب: باب الصناعة، وباب حومة، وباب السكة، وهما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل الفيث بعدن، وباب القرضة ومنه تدخل البصائع وتخرج، وباب مشرف، لا يزال مفتوحاً للدخل والخروج، وباب حيق، لا يزال مغلقاً، وباب البر، قد تقدم ذكره، وبني سورها بالحجر والجص، وبني القرضة وجعل لها بابين.

(١) في الأصل: وعلى ماء والصواب هو المثبت، لأنه يجب حذف ألف «ماء» الاستفهامية إذا جرت مع إبقاء الفتحة دليلاً عليها، فرقاً بينها وبين الموصولة، وإذا كان الجار قبلها مختوماً بألف مقصورة أبدلت ألفاً محضة مثل «إلام - علام - حتام».

فصل: قال ابن المجاور. وخروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر، والفرضة كالمحشر، فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد، فإن كان رابحاً طاب قلبه، وإن كان خاسراً اعتم، فإن سافر في البر فهو من أهل ذات اليمين، وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال.

فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا، فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هول المرض الأكبر، اللهم لا نناقشنا يا كريم.

وبني ابن الرنجبيلي قيسارية العتيقة والأسواق والدكاكين ودور الحجر ورجعت عدن في زمانه، فلما دخل سيف الإسلام إلى عدن أوقف ابن الرنجبيلي جمع الأملاك على مكة سنة خمس وسبعين وجميعاً، وبني الملك المعز إسماعيل ابن طغتكين بن أيوب بنية جميعها دكاكين بالباب والقفل للمطارين قيسارية جديدة، ثم بناها المعتمد رضى الدين محمد بن علي التكريتي على اسم الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر، وكثر الحلق بها فبنوا الدرر والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق.

وبني المعتمد محمد بن علي حمام حسين وحفرت الناس بها الآبار وبنوا بها المساجد وأقاموا المنابر ورجعت طيبة.

والأصح إنما عمرت إلا بعد خراب فرضة أبيس وهرم، وانتقل التجار من هاتين المدينتين وسكنوا قلعات ومقدشوه فعمرت الثلاث المدن حيثذ، والله أعلم.

صفة عدن وذكرها

بهاء البلد في وادي البحر مستدير حوله هوائه كبر وبكته يقطع حل الخمر في مدة عشرة أيام، وماؤها من الآبار وشيء يحلب من مسيرة فرسحين، والله أعلم

ذكر الآبار العذبة

داخل عدن بئر حلقم عود السلطانية، وبئر علي بن أبي البركات بن الكاتب قديمة، وبئر أحمد بن المسيب، وبئر ابن أبي العارات قديمة، عند باب عدن، وبئر المقدم قديمة، وثلاثة آبار لداود بن مضمون اليهودي، وثلاثة آبار للشيخ عمر بن الحمين، وبئر لعلي بن الحسين الأزرق، وبئر جعفر قديمة طولها أربعون ذراعاً، وبئر رعفران، اشترت بمدته وأوقفت على المسلمين

فصل: حدثني عبيد الله بن محمد بن يحيى قال إنه كان ينقل ماء بئر رعفران إلى سائر بلاد اليمن، قال لأن سيف الدين، أتابك سقر مولى الملك المعز إسماعيل بن طعتكين، شرب عبد المعتمد محمد بن علي التكرتي سيذاً أعجبه طعمه فقال له: مم عملت هذا البعد؟ قال: من ماء رعفران، إذا أفلت في هذا الماء داذي ونرك في الشمس يرجع سيذاً كاملاً، ولا يحتاج إلى غسل ولا إلى شيء، أي وضعة، فمن الحين كان ينقل له هذا الماء إلى الجند وقمر وصنعاء وزبيد يعملون منه نبيذاً والأصبح ماء الترب.

ويقال: إنه في الأصل كان عذباً مراناً والآن قد علت عليه ملوحة بعض الشيء من سوء أفعال الخلق.

وبئر السلامي، وبئر حفرها الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن السلامي، وبئر روح قديمة، وبئر عود قديمة، وبئر ابن الذؤيب صهر الشيخ معمر بن حريج، وبئر الحمام حفرها محمد بن علي التكريتي، وبئر الحمام الثانية قديمة، وبئر مور قديمة، وبئر جلاد قديمة، وبئر الحصامي قديمة.

فصل: حدثني محمد بن زبكل بن الحسن الكرماني عن رجل من أهل عدن قال: حدثني عبد الله بن محمد الإسحاقى الداعى أن مداحل عدن مائة وثمانون بئراً حلوة ولكنها مائعة، والله أعلم

ذكر الآبار المالحة بعدن

بئر وصاح قديمة، وبئر ثانية إلى حبها، وبئر ميين عند مرابط الحيل، وبئر أم حسن قديمة، وبئر قبدلة على طريق الباب، وبئر سبل قرب الحمام، وبئر سالم، وبئر حدود، وبئر فرح، وبئر الرنوج، وبئر الأفيلة وحفر سنة عشرين وستمائة، وبئر ريش السواني، وبئر في قرب دار القطيعى السلاطة، وبئر الشريعة.

ذكر آبار مالها بحر عدن

بئر في حافة الدياكلة، وبئر عند باب مكسور، وثلاثة آبار للبرابر، وبئر عند

الجامع، وبشر عند مسجد أبان، وبشر مسجد المالكية، وبشر حبس القاضي، وبشر
أبي نعمة، وبشر الجماجم، وبشر الصناعة، وبشر سوق الحزف، وثلاثة آبار عند بيت
ابن فلان، وبشر منبل، وبشران عند مسجد النبي، وبشر الأديب ظفر، وبشر حقات،
وبشر حساس، وبشر الجرائحي، والصهرنج عمارة الفرس عند بشر زعفران، والثاني
عمارة بني زريع على طريق الرعفران أيمن الدرب في لحف جبل الأحمر، إذا
حصل المطر نقلب الليل إليه يرمين ويضمن كل عام بسبعمئة دينار.

قال ابن المجاور: وضمن بعضهم هذا في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين
وعشرين وستمئة بألف وثلاثمئة دينار، فقصصت هذه الحكاية على الكرمانى
الحفار فقال: يمكن أن تكون موروثة قلت له: الدليل عليه أن الغيم والشمس
لا يران يعلوانه وكلما تقصره الشمس يحلو، قال: أليس أن الشمس تأخذ ما حفر
من المياه؟ قلت: فما أحفر في المياه من الماء المالح ولا أثقل من الماء الحلو،
قال: أريد على هذا برهاناً، قلت: لو لم يكن ماء البحر خفيفاً لجاف، ولو جاف لما
كان أحد يسلكه فمن حته ثبت على حال واحد.

والوجه الرابع: حدثني عبد الله بن مسلم ساكن المياه وعبد الله بن يزيد
الحجازي وغري بن أبي بكر وعمرو بن علي بن مقبل قالوا جميعاً: إن وراء جبل
العرف قضاء وعليه جبل دائر والبحر مستدير حول الجبل وفي صدر الوادي، أي في
لحف الجبل، يخرج منه عين ماء عذب يغلب إلى الوادي، وقد نبت على نداوة هذه
العين شجر الأراك والتنضب والعشر وقد يرجع عقدة، قلت: فلم لا يستقى منها أهل
عدن؟ قال: ليس إلى هذا سبيل ولا عليه طريق الرجالة تتعلق في لحف الجبل،

قلت: وما علمكم بهذا؟ قال: إن عاماً من الأعوام خالفت عدن وغلقت أبوابها ونحن في المياه فهربنا بجمالنا إلى هذا الوادي، قال: فحيثُ حبر ابن المعلا وهذا هو الأصل في البيعة، وسلم من ساعته.

ذكر الآبار الحلوة بظاهر عدن

شر أحمد العشري قديمة طيبة الماء، بشر أحمد بن الحبيب حُفرت سنة أربع عشرة وستمئة، وبشر العقلائي حُفرت سنة خمس عشرة وستمئة، وبشر خيط عتيقة، وبشر عقيب وتسمى بشر الكلاب، ويقال: إن الكلاب نشت الأرض في هذا الموضع فحُفرت عقيب ذلك في ذلك المكان بشر عرفت الشر بشر الكلاب، وحدد عمارها أحمد العشري سنة اثنين [وستمئة] وبشر الحديد حُفرت سنة إحدى وعشرين وستمئة، وبشر السلامي حُفرت سنة سبع عشرة وستمئة، والآبار التي بطريق اللخبة آبار اللخبة بشر السماكين على الطريق في قرب المسجد، حُفرت سنة ست عشرة وستمئة، وبشر الموحدين في أول شط اللخبة، وبشر أصحاب العمارة، حُفرت سنة أربع عشرة وستمئة لأجل صرب اللين، وبشر الشيخ علي بن عبيد، في وسط اللخبة، حُفرت سنة عشر وستمئة، وبشر السعفة، حُفرت على طريق المفاليس قديمة، ولم يستق منها إلا إذا علا الماء بعدن، وبشر العماد على طريق أبين قديمة، يستقى منها أيام الموسم.

وعالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكدرية ومصر والريف والمعجم والفرس وحضارم ومقادشة وحالية وأهل دهب وريالغ ورياب وحوش، وقد التأم إليها

من كل بقعة ومن كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب حير ونعم، وغالب أهلها حبوش وبرابر.

ولم يكن في سائر الربيع المسكون والبحر المعمور أعجب من نساء البرابر ولا أوقح منهن، والله أعلم.

القول على وقاحة نساء البرابر

إذا تحاصم بعض نساء البرابر مع أخرى نحلح ما عليها من الثياب وتلطم صدرها وتصفق وتقفز وتعلق عينيها في وجه صاحبتها وتعدو كل واحدة منهما تارة تام وتارة تنحني وتارة تصحك وتارة تبكي وتارة تحس وتارة تلطم، وتتف شعرها تذر في الهوى وتدخل إصبعها في رجليها وتعلق صاحبتها من رجليها أو تدس إصبعها في ثقبها، تسم صاحبتها الخراء، وأيش ما عملت إحداهن عملت الأخرى مثل الأولى، فما رأيت أوقح ولا أوسخ ولا أقل حياء من البرابر، لا حراهم الله عن الإسلام خيراً، وقال النبي ﷺ: «الحياء من الإيمان» وقال حكيم إذا لم يستحي فاصبح ما شئت، وقال بعض المعجم في هذا المعنى شعراً:

جه نيكو كفت خمرو با سپاهی

چو شرمست لیست رو آن کن که خواهی

فصل: نساء بين الصوريين بالمرسل ونساء النقاطات ببغداد إذا خاصمت

إحداهن الأخرى تصعد السطح عريانة وتقف على الطف وتضرب يدها على رجليها وتقول: اضربي من خرتي لبس ومن شعرني تس، ونساء يشربون في الخانات،

يسمونهم المعجم كام سرواني، إذا حاصمت إحداهن الأخرى تضرب إصبعها في جمعتها وتشم صاحبها، ونساء الساكمة في اليمن إذا حاصمت إحداهن الأخرى ترفع إزرتها وتقف على أربع وتقول للتي نقاسها: يا الله يا ستي أبصرى الهلال قد طلع والخزا قد انقطع، ونساء سيوستان تحلق ثيابها وتنزل السيل عريانة تسبح، ونساء القرامطة إذا قعدت لقضاء حاجة تغطي رجليها وتكشف قماشها كله، ونساء النهروان تعدد قائمة قدام المزب ويحلق لها شعرتها، وإذا أرادت أن يحلق لها شعر استها يدس الميرين في استها أكرة صغيرة فيها حيط محدود وتضم المرأة شعرتها على الأكرة ويمد الميرين الحيط بيده اليسرى فحينئذ تخرج شعرتها فيحلق الشعر بيده اليمنى وكذلك الرجال، ونساء الروم يدخل الحمام مع الرجال فتدخل المرأة مع زوجها عريانة، والساكات في الديبول، فإذا تحصمت امرأة مع أخرى تدس السمك في رحمها، والنساء اللاتي ينعن الحصر تدس في ورحمها فجلة.

ملبوسهم الكتان والعمائم الملس، وأما العجم فتعصم بدوابة بر الذوابة فتعمرها في العمامة ثانية، وهكذا أصحاب الشيع عدى بالموصل، وعلى كتف كل واحد منهم كراي مصلي أو منديل مطرز.

وقيل لرجل من أهلها: تعال معي إلى فلان، قال: أنا عريان، قال: أليس ثيابك عليك؟ قال: صدقت، ولكن ليس معي كرو.

ليس نساءهم الحجل، وهو الحلحال، والحراف، ويسمى عند المعجم مسحة، والدملج.

وأشد بعضهم في حلي أهل اليمن:

يا بدر تم طلعا	ونور فجر سطعا
ويا قضيبا ناعما	على كتيب مرعا
وبارقا من ثغبر من	يهواه قلبي لمعا
ويا غزالا مبرري	عصرًا يجز الخلعا
محجلا مدملجا	محرقا مملجعا
مشيعا مظبرقا	مطوقا مقنسعا
معبلا محجلا	مكحلا مشسعرا
منعما معطرًا	ملطفًا مسسعرا

ومادنتهم من الهند والسند والحسنة وديار مصر، وما كوتهم الحيز وأدمهم السمك، غاية عمل نسائهم القمعاع، ورجالهم تباع العطر والقيار، وساء دورهم مربعة، كل دار وحدها طفتان السيلي منها حارن والعليا منها محالس، وساءهم بالحجر والجص والحنب والملح والجص.

فصل: احتفت الكلاب فيها بالهار، وذلك أن كلبًا كلبًا فاكل بعض أولاد البرابر، فاستعانت المرأة البربرية إلى رصى الدين المعتمد محمد بن علي التكريتي، فأمر المعتمد بقتل كل كلب في عدن، فقتل في اليوم خمسة وعشرون كلبًا وهرب الباقيون إلى رعوس الحبال وبطون الأودية، وسكنوا طول النهار ويخرجون في الليل يدورون البلد بالليل، وذلك في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة، يأكلون ما يجدونه مرميا في السناديس، لأن سناديس القوم على وجه الأرض، كما قال ابن عباد الرومي:

يرين القطاط بغير نفع	ليأكلن الذي يرمين سقطا
فهن قبور أولاد الزواني	إذا أسقطتهن لشمن قطا

ولم يظهر بمكة كلب بالنهار بل يأوون في الجبال، وتأوى الكلاب في الكوفة بالنخيل، وفي مقدشوه بالمقابر، وأما كلاب عدن فعود بالله من عضهم، لأنهم رجعوا سماً ناقماً لقلة شربهم الماء، وإذا حصل لهم ماء يكون مالحة، وهو أشد من كل شديد.

ذكر وصول المراكب إلى عدن

إذا وصل مركب إلى عدن وأبصره الساطرون والناطرون على جبل نادى بأعلى صوته: هيريا! وهو آخر جبل الأخضر الذي بنى عليه الحصن الأحصر، ويسمى في الأصل سيرسيه، وما يقدر الساطور ينظر إلا عند طلوع الشمس وغروبها لأن في ذلك الوقت يقع شعاع الشمس على وجه البحر فيبان على بعد مسافة ما كان، ويكون الساطور قد عرص عوداً قدامه، فإذا تخيل له شيء في البحر قاس ذلك الشيء على العود، فإن كان طيراً أو غيره زال يميناً أو شمالاً أو يرتفع أو يهبط فيعلم أنه لا شيء، وإن كان الخيال مستقيماً على شيء العود ثبت عنده أنه مركب أشار إلى صاحبه وهو ينادى: يا هيريا! وأشار صاحبه إلى رفيقه وأشار الرفيق إلى جراب بإعلام المركب، فحينئذ يوصل الجراب خبر المراكب إلى والي البلد، فإذا خرج من عند الوالي أعلم المشايخ بالفرضة، وبعدهم ينادى بأعلى صوته من على ذروة الجبل: هيريا هيريا هيريا! فإذا سمع عوام الخلق الصوت ركب كل جيلاً وصعد سطحاً يشرف يميناً وشمالاً، فإن كان ما ذكره صحيحاً أعطى له من كل مركب دينار ملكي، وذلك من الفرضة، وإن كان كاذباً بصر ب عشرة عصي

فإذا قرب المركب ركب المبشرون الصنایق للقاء المركب، فإذا قربوا من المركب صعدوا وسلموا إلى الساحدة ويسألوه من أين وصل؟ ويسألهم الناحدة عن البلد ومن الوالى وسعر البضائع؟ وكل من يكون له فى البلد أهل أو معارف من أهل المراكب إما أن يهنوه أو يعروه له وعليه، ويقدم مبشر بحر الناحدة ويكتب اسم الناحدة وأسماء التجار ويكون الكرائى قد كتب جميع ما فى بطن المركب من متاع وقماش فيسلم إليهم الرقعة، وينزل المبشرون فى الصايق راحمين إلى البلد كلهم رأساً واحداً إلى الوالى ويعطونه رقعة الكرائى مع ما كتبوه من أسماء التجار ويحدثونه بحديث المركب ومن أين وصل وما فيه من البضائع، ويخرجون من عدنه يدورون فى البلد يشرون أهل من وصل بجميع الشمل ويأخذ كل بشارته

فإذا وصل المركب المرسى وأرسي تقدم إليهم نائب السلطان ويصعد المفتش يفتش رحلا بعد رحل، ويصل التفتيش إلى العمادة والشعر والكمين وحزة السراويل وتحت الأباط ويضرب يده على حجرة الإنسان ويدخل يده بين ألبتية ويشتمه على قدر المحهود، وكذلك عصور تفتش السماء تقرب بيدها فى أعجازهن وفروجهن

فإذا نزلت التجار إلى البلد برلوا بدبشهم من العد، وبعد ثلاثة أيام تنزل الأقمشة والبضائع إلى الفرصة تحل شدة شدة وتعد ثوباً ثوباً، وإن كان من بضائع البهار يوزن بالقبان ويضرب فى جميع ما أشكل عليهم الشبح لكلا يقضى شىء وقد عاهدوا الله عز وجل أن يمللوا المحهود قدام المشائخ.

قال ابن المجاور: وحينئذ يظهر على التاجر الحراف ويقتله الحزن ويبقى فى وادى الدبور بما يعملون معه من الفعل الذى يطير منه البركة والسعادة.

ذكر العصور

ثم ضرائب وقوانين، استجدت من أيام دولة بني ربيع، ويقال: أول من استجده فلان اليهودي، وقيل: يسمى حلف اليهودي الهاوندي، فبقيت الخلق تجري على قواعدهم وضرائبهم إلى يوم النيس، يؤخذ في بهار العمل ثمانية دنانير عشوراً ودينار شواني، وخروجه على الفرضة ديناراً، وعلى قطعة الليل أربعة دنانير شواني، وخروجه من الفرضة ربع، وعلى بهار الأنكرة، وهو الحلتيت ثمانية دنانير، وعلى بهار قشر المحلب ثلاثة دنانير ونصف، وعلى بهار الطباشير أحد وعشرون ديناراً إلا ثلث ودينار شواني، وعلى عود الدفواء نصف المبلغ، وعلى فراشة الكافور خمسة وعشرون ديناراً ونصف ومئس، وعلى بهار الهيل سبعة دنانير، وعلى فراشة القرمل عشرة دنانير وشواني ديناراً، وعلى الفراشة عشرة أسان عها عشرون رطلاً، وعلى فراشة الرغفران ثلاثة دنانير وثلث، وعلى بهار الكتان سبعة دنانير ونصف

وإذا ابتاع مركباً يؤخذ من البائع من المائة عشرة دنانير، ويؤخذ من الحديد عصور النصف استجد في أيام دولة سيف الإسلام طعكتين بن أيوب، أول من أخذ منه من أبي الحسن البخدادي، ويقال: من فلان العرواني سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ومن الملاك الربع، ويقال: اثلث ودينارين استظهاراً، ومن بهار الفوة اثني عشر ديناراً استجد في أيام دولة الملك المعز إسماعيل بن طعكتين، وكان عليه قبل ديناران، ويقال: ثلاثة، وعلى بهار الحمر ثلاثة جور، وعلى العشرة المقاطع ديناران ونصف، وعلى العشر العقداً نصف وربع جائز، وعلى الرأس الصان ربع،

وعلى الحصان إذا دخل البلد حمسون ديناراً استجد في دولة الملك الناصر أيوب بن طفتكين بن أيوب، ويؤخذ في حروجه إلى البحر سمعون ديناراً، وعلى الرأس الرقيق ديناران، وإذا خرج من الباب نصف دينار، وعلى العويلى السداهورى ثمانية دنانير ودينار شوانى، ويؤخذ في الحروح من الباب على العويلى نصف دينار وهو لضان من دار النيد، ويؤخذ على شقق الحرير من عمل ريد نصف دينار وجائز، وعلى الثوب الظفارى ربع وجائز، وعلى الشقة البيضاء ثمن، وعلى السوسى ثلاثة قراربط، وعلى فوط السوسى ربع وجائز، وعلى كورجة المحابس أربعة دنانير، وعلى كورجة الأحواك ديناران ونصف، وكذلك السباعى، وعلى كورجة الثياب الحام الهلى ديناران ونصف، و(يؤخذ) على سوسى الكتان الكار جاتران وقيراط وعلى الصغير جاتران وفسان، وعلى كل قعقة درة ثمن، والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر تخريج عشور الشوانى

لم يكن ملوك بى زريع يعرفون الشوانى ويقوا إلى أن دخل شمس الدولة توراب شاه بن أيوب اليمن ودخل معه شوان، فلما خرج ولى عثمان بن على الزنجبلى التكريتى عدن وبقيت عنده الشوانى إلى أن هرب دخل سيف الإسلام طفتكين بن أيوب اليمن، فأشار عليه بعض أرباب العقل فقال له: وبم تستحل أخذ العشور من التجار؟ قال: أجرى على ما كانت عليه ملوك بنى أيوب فيما تقدم من الأيام، فقال له: إنهم كانوا يأخذون الناس بيد القوة ولكن نخذ ذلك أنت على رأى تشكر به عند الخلق، قال: وما هو؟ قال: أئخذ بهذه الشوانى إلى البحر يجمعوا التجار من السراق

وهكون لهم بعض الشيء على السداد بدل ما هي بطالة تقررعها الشموس، فقال: والله لقد جئت برأى حسن، فأخرج الشوانى إلى الهند، فكانت الشوانى تقف على رأس المنادخ يحفظون مراكب التجار من سطوة السراق، فبقوا على حالهم إلى سنة ثلاث عشرة وستمائة.

ودخل بعض الأكابر وقال: خلد الله ملك مولانا السلطان، إنه يخرج من خزانة المولى كل عام لأجل الشوانى خمسين وستين ألف دينار بطال فإن أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك، قال: فكيف المحمل؟ قال: كل ما أخذ من العشور ألف دينار بأخذ من الشوانى مائة دينار، فهو يجتمع للمولى ولم يسن للتاجر.

وأسس ذلك فى أيام دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، ونفى إلى سنة خمس وعشرين وستمائة، كتب الشريف إلى الملك المسعود: إن مال الشوانى يحصل إن سافرت الشوانى وإن لم تسافر، فكتب الملك المسعود وقال: إن كان الأمر على ما ذكره فستقيم فأبطلوه، فطل الشوانى وصار عشوره يؤخذ إلى يوم القيامة مع الشوانى، والله أعلم.

الذي لم يؤخذ عليه عشور

الواصل من ديار مصر: الحط والدقيق والسكر والأرز والصابون الرقى والأشنان والقطارة وزيت الزيتون وريت الحار والريتون المملح وكل ما يتعلق بالقل إذا كان قليلاً، والعسل النحل إذا كان قليلاً.

والذى يجلب من الهند كل ما يرسل فى البحر والهليلج المربى والأكرارا

والمحاد والمساور والأطاع والأرز والكجري، وهو الأرز والماش محلوذ، والسهم والصابون.

ومن البضائع المعر: الكلاهي والشم وحطب القرنفل وثياب العرايية، تعمل في يدقلى، ومن معاملة الشجر: التمر المقلب، وهو الذى استخرج نواه، والسحك المملح، إن كان برأس أخذ عليه، وإن كان لا رأس لم يؤخذ عليه، ونعال الهندية، إن كان بشراك أخذ عليه وإن كان بلا شراك فليس عليه، والتيس والمعز ليس عليه.

وكان الموجب أنه قدم سفارة الجبهة بضم عندها فلما اشتغل العدادون بالعدد قام نس بنتى الجمع وجاء وقعد وراء ظهرهم ياسر بن بلال بن حرير المحمدى، والأصح وراء الداعى عمران بن سيب، فلما فرغوا من العدد أرادوا أن يعدوا التيس مع العلم فقال الداعى: معاد الله أن يأخذ عليه شيئاً لأنه قد استخارى فأزال عنه العشور، والأصح أنه أبصر لحيته فقال حاشا أن يورن على لحيته عشور، والحرر الذى يجلب من الديبول وعلمان حودر يجلبون من الهند.

ذكر ما استجد في عدن

من الوكالة ودار الزكاة

لما كان بتاريخ جمادى الأولى سنة أربع وعشرين، والأصح سنة خمس وعشرين وثمانئة أسس في عدن دار وكالة وعلى كل بضاعة لم يؤخذ عليها عشور

يؤخذ منها زكاة فصار الآن يؤخذ خمس عشورات في مرة واحدة. عشور قديم، وهو بال الفرضة، وعشور الشواني، ودار الوكالة من الدينار قيراط، ودار الزكاة، والدلالة.

فصل : قلم الساخوة عثمان بن عمر الأمدى من المصر وجد معه منان عود دون أخذوه منه، فلما جاء وقت المحاسبة قوم المن العود ستة دنانير خرج عشوره دينار ونصف وخرج شواني نصف وربع وقوم في دار الوكالة بخمسة وعشرين ديناراً، صحت الوكالة ثمانية دنانير ودانقين، وخرج زكاة دينار وربع وخرج دالة نصف دينار وصح المبلغ خمسة عشر ديناراً خرج منه ثمن العود ستة دنانير فضل عليه تسعة دنانير، حلف الساخوة عثمان بن عمر الأمدى بمين بالله العظيم: إني لم أرن منه شيئاً ولا فلماً واحداً، ما يكفي أنكم تأخذون مني منين عود بلا شيء وتطالبونني بتسعة دنانير أخرى، ودخل الأمير ناصر الدين ناصر بن فاروق وجماعة في ذلك فقالوا لهم: إنه رجل متردد إلى عدن ونحن بأحدنا أصعاف ذلك، ودخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس.

وضمن كل ما في عدن ما حلا السمك والماء لا غير، ورید في القبان سندس بهار عما كان في الأول، وغير جميع مكاييل اليمن ووضعوه على عيار زبدى الجند وغيروا الأعداد كلها في ستة حمس وعشرين وستمائة، والعرضة هي مع القوم بالأمانة.

ويقال: إنه وصل مركب وزن عشوره ثمانون ألف دينار، وكان يرسي في كل عام تحت جبل صيرة سبعون ثمانون مركباً تريد ولا نقص.

وكان يرفع من عدن في كل عام أربع حرائن إلى حصن تعز. خزانة قدوم

المراكب من الهند، وخرانة دخول العوة إلى عدن، وحرانة خروج الحبل من عدن إلى الهند، وخرانة سفر المراكب إلى الهند، وكل خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة وخمسين ألف دينار تزيد ولا نقص، وانقطع ذلك في زماننا هذا سنة خمس وعشرين وستمئة.

وكان معاملة عدن في أيام بنى زريع ذهب السنعاني على عيار البسطامي وأقل منه، ونقد البلد ذهب ملكي يسوى الديار المصرية أربعة دناتير ونصف ملكي وبحسب الدينار أربعة أرباع، كل ربع ثلاثة جور كل جائر ثمانية فلوس كل فلس بصتان.

ويقال أول من ضرب الدينار الملكي أحمد بن علي الصليحي بصعاء، وياع الروسى بالقصة، طول للقصة أربعة أدرع بالحديد، وياع الألواح الساج بالدرع الحديد، وكل ما يباع في المنادى يخرج وأمانة ومن راد ركب، وكذلك العبيد والجوارى.

صفة بيع الجوارى

تبخر الجارية وتطيب وتعذل ويشد وسطها بمشتر ويأخذ المنادى بيدها ويدور بها في السوق وينادى عليها ويحضر التجار العجار يقبلون يدها ورجلها وساقها وأفخاذها وسرها وصدرها ونهدها، ويقلب ظهرها ويشمر عجزها ويقلب لسانها وأسنانها وشعرها ويذل المجهود، وإن كان عليها ثياب خلعها وقلب وأبصر، وفي آخر الأمر يقلب فرجها وجحرها معاينة من غير ستر ولا حجاب، فإذا قلب ورضى واشترى

الجارية تبقى عنده مدة عشرة أيام زائد وماقص، فإذا رعى وشبع ومل ونعب وقضى وطره وانقطع وطره يقول زيد المشتري لعمرى البائع: باسم الله يا حواجا، يبنى ويسك شرع محمد بن عبد الله، فيحضره عد الحاكم يدعى عليه العيب.

ذكر البيع والعيب

حدثني الحسن بن علي حذور العبور كوهي قال: إني بعت جارية هندية بعدن على رجل اسكندراني بقيت عنده مدة سبعة أيام فلما شع استعيب فيها وأحضرنى إلى الحاكم وادعى علي بالعيب، فقال الحاكم: وما عيبها؟ قال: هي واسعة الرحم رهلة الفرح، ققلت له: إذا كان أبوك صغيراً وأنت تتباحل على الجارية بشرى الماء فما بصع فرجها السمين الأبيض المتتوف الطوب، فلما سمعها الحاكم قال لمن حصر: أخرجوهم، فخرجوا ورجع إلى شعلي وبقيت الجارية في كبسه ولم أدر ما فعل الدهر بهما.

وإذا اشترى زيد ثوباً واستغلاه فرق طرفه ورده على صاحبه لاستظهار عيبه، ويأخذ الدلال دلالة عند القاضي عنماً وكرهاً، ويحكم له الحاكم على كل دينارين فلسين دلالة، فإن باع على دكانك له من كل دينار فلس، وإذا باع جملة فعلى المائة دينار دينار، ولهم في كل قطعة نيل ربع.

ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قدر إن لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور ويكتب في الرقعة علامة الوالى ويخرج بعد ذلك، وإن لم يكن له ضامن وإلا أخذ مناد يتنادى

عليه في الأسواق: إن فلان بن فلان حارج من الباب فكل من له عليه شيء يطالبه،
فإن ظهر عليه شيء كفى الله المؤمنين القتال، وإن لم يظهر عليه شيء خرج إلى
أى موضع شاء، كما قيل في المثل: المفلس في أمان الله، وكما قال الشاعر:

قليل الهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علماً فغايته التفرد والسكوت

ذكر خراب عدن

يفيض البحر فيفرق جميع البلد وترجع المدينة لحة من لجج البحر، كما ذكر
في مبتدأ الحلق أنه يجوز عليها المراكب مقلعة حاطمة فتقول أهل المراكب فيما
بيهم إنا سمعنا في قديم الأنام أنه كان في هذا البلد عظيم عامر لأهله مقيم
سهل سليم ومقام كريم، فيقول أحدهم ما تسمى؟ فيقول له شد على اسمك.
وبعد خرابها بمصر مرسى علافة، والأصح الأهواب، إلى أن يرجع أحسن من
عدن.

حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن الحمامي الواسطي قال: ما بقي من
عمارة عدن إلا اليسير، قلت: ولم؟ قال: لأبي قرأت في بعض الكتب: إلا إذا
انصلت عمارتها إلى بابها.

قال ابن المجاور: وقد انصل إلى الباب بعض العمارات

وقال آخرون: عدن تحرب سنة سبع وعشرين وستمئة، ودل علي تصديق
المقالة دخول نور الدين عمر بن علي بن الرسول إلى عدن يوم الأربعاء السادس

والعشرين من شهر رجب سنة أربع وعشرين وستمئة، وفي يوم الاثنين الثاني من شعبان طرح الفوة على كل من كان في عدن من عريب وقريب وقوى وضعيف ورجل وامرأة حرة ومفسودة على سعر البهار مائتي دينار وثمانين ملكي، وضرب الخلق بالخشب، وكانت الأيام شبه أيام المحشر كل منهم محتشر ينادي: أين المحفر؟.

فلما كان سنة خمس وعشرين وستمئة أخذ جميع فلفل التجار وجميع الخف والنحاس والربهار حسب العمل البهار بأربعين ديناراً وطرحه على أهل الكارم بستين ديناراً، وأخذ الصفر من أهل الكارم على سعر البهار بستين ديناراً وطرحه على أصحاب الخف بثمانين ديناراً، وأعطى أصحاب العمل العوة على سعر البهار بأربعة وثمانين ديناراً، وبأحد البهار بهاراً بربعمائة وأدلم أعطى أعطى البهار بهاراً إلا ربعمائة، وبخرج بعد ذلك من هذه البصائع الواصلة المشور والنواني ودار الوكالة ودار الركاة والدلالة، يفضل مع الناجر لاش في لاش، ويحسب الناجر جميع حسابه بحديده والأرض، وأخذ جميع عطب من وصل من الهند مع التجار مستهلك لا بيع ولا شري.

وضمن القبان السة بعشرين ألف دينار، والسديط على كل بهار يصل خمسة دنانير، وسوق الخضرة والجوار والرطب واللحم وجميع الدواب بأحد عشر ألف دينار، ولم يبق شيء يدور عليه اسم وحرف إلا وقد رجع فيه صمان ما خلا الماء والسملك.

من عدن إلى المفايس

من عدن إلى المياه ربع فرسخ، وإلى المرف فرسخ وطوله ثلاثمائة ذراع وستون خطوة بناه شداد بن عاد لما بى عدن، ويقال: بناء العجم لما أطلقوا البحر على المياه حتى غرق ما حول عدن من الأراضي فجدد العمارة الشيخ عبد الله بن يوسف ابن محمد المسلماني العطار وأوقف على عمارته مستغلات بعدن.

وإلى المملاح ربع فرسخ وهو موضع يجمد فيه الملح وكان محلص رجع الآن على ضمان، ويقال: إن بعضه صار للسلطان لأن أتابك سيف الدين سقر اشترى مصفه بألف دينار.

وإلى المجدولى ربع فرسخ، وإلى الفلحة ربع فرسخ، ومنها ينقل الأحمر والراح إلى عدن، بناها أبو عمرو عثمان بن علي الزنجبلى، وإلى البحر العر فرسخ، وهو مقدار مائة حصاة مملوذة على أيمن النرب

وإلى بئر الرجع فرسخان، ويعبر برمل يسمى المعاري، وأما وادي الرجاء فوادي نره ويسمى عند العرب الحردة بين أشجار أثل وأراك، وقد بنى على البئر مسجد حسن.

حدثني الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين المحصى قال: إن الأديب ظفر بن محمد بن ظفر بنى المسجد والبئر في الرجاء.

ويقول أهل البلاد، وهم المقارب: ما ينفق ماء الحردة وعيش، أى لم يتفق أكل حبز وشرب ماء بئر الرجاء، لأن هنا الماء يسمى عن أكل العيش.

وإلى النويعم فرسحان، والنويعم وادي نزه وسحيل وشجر ملر، حدثني بعض أهلها أنهما واديان: أحدهما النويعم، والثاني وادي مرحب، وهما آخر الوطاة وأول الجبال وإلى المفاليس فرسحان، قصبة محتصرة بيت في شعب جبل مثلث، وبني سيف الإسلام على دروة هذا الجبل حصص محتصر يسمى المصانع يقال: إنه قديم البناء، وهو ذو إحكام ومكة، وليس يكون لأهلها بيع ولا شراء إلا أيام الوعد لا غير

صفة بناء الجب

عرب التهائم من موزع إلى أعمال أسين مع جميع العقارب، وهم عرب هذه البلاد يسمون بو الحارث، يدعون المحبة لله ورسوله، وإذا وجد أحدهم عزلاً ميتة أحدها وغسلها وكفنها ودفنها ونفى اللغوئل عزاء في جمع القاتل مدة سنة أيام مشققين الجيوب مقطعين الشعور يذرون للتراب على الممارق، فقل لهم مما هم فيه فقالوا نحن نمشي على الأصل ونقول بترك الفرع، كما قال قيس بن الملوح.

فعيناك عيناها وجبذك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

ولم يأكل أحد من أهل هذه القبيلة حيزاً مقابل امرأة ولا يشرب، ولو مات جوعاً وظمأً، ومن هذا الحد يحلّي الجمال ويركب الحمير إلى قدام، وما اشتق اسم المفاليس إلا من الإفلاس، كما قال أبو نواس:

أريد قطعة قرطاس فتعوزني وجلّ صبحي أصحاب القراطيس
لحاهم الله من رد ومعرفة إن المياسير منهم كالمفاليس

من المفاليس إلى تعز

من المفاليس إلى نقييل الحمر فرسخ ونصف، بناء الشيخ أحمد بن الجيد بن بطل، حدثني يحيى بن عبد الرحمن الزراد قال، إنما بناء محمد بن سليمان بن بطل، ويقال: إنه ثلاثمائة وستون ملوى، أى فركة، ذبح على كل ملوى رأس بقر فدية وستة أحمال حنطة وخرج ثلاثمائة دينار، ويقال: إنه خرج كل ملوى بألف دينار، وبنى على كل ملوى مقاية ومسجد، فلما أتمه طالبت زوجته بمهرها فقال لها: ما تريد منى؟ قالت: أريد أن تعطى ثواب عملك وأنت فى حل من المهر، فأعطاه ثواب ما عمله، وتم ستة عشرين وأربعمئة، ويقال: ستة عشرين وخمسمئة، وهو بناء عجيب حبل:

صفة الحجر الذى فى النقييل

وفى النقييل حجران فيهما على هيئة فرجى امرأتين، سألت المكارى عن حالهما فقال: إنما كانتا امرأتين مسختا حجرتين، إحداهما بابت فى ضرس جبل، والثانية قطعت وفرشت فى جملة بناء المدرج، وبين الحجر والحجر مقدار عشرة أذرع، تحيطان كل شهر، ويقال: كل حول.

قال ابن المجاور: ورأيت فيه شيئاً شبه الدم ولم يتحقق عندي أنه دم أو غيره.

حدثني أحمد بن المهنا الصفار الحلى ثم القدسى قال: يمكن أن يكون ذلك

الدم موميا بنى آدم، لأن موميا ابن آدم الأصل فيه هو الذى يعقد من الحجر ويسيل

وقال بعضهم: إنه يشم من الحجر رائحة كريهة، شممت ذلك ووجدته

بخلاف ما قالوا، والحجران هما على مائتين وثلاثين ملوياً، وهما على يمين الصاعد من المغاليس إلى الجوة، وعلى يسار النازل من الجوة إلى المغاليس قدر مائة وثلاثين ملوياً، وعلامتهما أن نبت على رأس الحجر الواحد شجرتان سلم فيصل فيؤما إلى الحجر الثاني الذي أدخل في جملة الباء.

وبقى النقييل على حاله إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن فحرّبت العرب بعض النقييل لكلاً يعبر أحد من الغز، وبقي مهذوماً إلى أن تمكن سيف الإسلام طفتكين بن أيوب من المثلث وجدد عمارته من ماله، والأصح أنه أمر تعقب بانيه بالجلالة.

وكان قبل أن يعمر الشيخ محمد بن سليمان بن بطال الركبي هذا النقييل طريق حرز، وهو أن يجرح على لجمع يدخل وادياً ولا يزال يسر فيه إلى الجوة في شعاب وأودية ووطاءة قريب المسافة، ولما قطع الناس مسر طريق حرز إلا من شدة الخوف بها لأنه لا يزال مسافره يجرح رأساً، فلذلك محي طريق حرز، وسدّ كره في أعمال الجوة.

والى أسفل النقييل فرسخان به موضع سحدر يسمى المجرية، وفيه أنشد بعضهم يقول:

قطعنا الحمراء والمجرية مع تلك الجبال والأودية

والى الحشيين نصف فرسخ، وهما حطان أبيضان في لحف جبل مستقيمان، يقال: إنهما كانا حنشين ملتقين فصر بهما البرق فمسحوا حطين أبيضين.

والى الحواض فرسخ، ووطاءة ذات حوف شديد، وإلى الجوة نصف فرسخ، من أعمال الدملوة، وإلى الدملوة فرسخ، والله أعلم.

تم القسم الأول من
تاريخ المستبصر
ويليه القسم الثاني
إن شاء الله تعالى

٧	مقدمة الناشر
٩	مقدمة المؤلف
١١	أسماء مكة وصفاتها
١٦	زواج أهل مكة
١٧	عصل (سيف الدولة مع بت عمه)
٢٠	صورة مكة
٢١	ولاية مكة
٢٢	معاملات مكة
٢٤	من مكة إلى المدينة
٢٤	فتح على هذه الجبال
٢٦	وادي انظر
٢٨	من مكة إلى الطائف
٢٨	بناء الطائف
٣١	حصن الهجوم
٣٢	الوخط
٣٣	حروح سليمان بن عبد الملك إلى الطائف
٣٦	صفة الطائف
٣٧	من الطائف إلى جبل بدر
٣٨	السرو
٣٩	جبل الملحاء
٤٠	سيوف الصواعق

المفحة

الموضوع

٤١	فصل (مى فتون السيوف)
٤٣	(جيل الملحاء ثانيا)
٤٥	نهر السيت
٤٥	فصل (مسألة شرعية)
٤٦	فصل (قول بعض المصارى فى الإسلام)
٤٦	شهور اليهود
٤٩	من الطائف إلى صعدة
٤٩	صفة هذه الأعمال
٥٠	دهبان
٥١	من الطائف إلى مكة
٥١	الحجاز
٥٣	من مكة إلى جدة
٥٥	بناء جدة
٥٧	صورة جدة
٥٨	المساريج
٥٨	خراب جدة
٦٠	فصيلة جدة
٦١	أحد الحجرة من المغاربة
٦٢	فصل (فى ذلك أيضا)
٦٣	فصل (ما رأى فى المصام)
٦٣	الجار

٦٣	فصل (حكاية)
٦٤	جرر مطارد للخيل
٦٤	صفة جدة
٦٥	من مكة إلى المحالب
٦٨	جل كدمل
٦٩	فصل (ما كتب في الأحجار)
٧٠	زواج أهل هذه الأعمال
٧١	هبة الإمام أبي موسى
٧١	من المحالب إلى صعدة
٧٢	من المحالب إلى ريد
٧٥	فصل (مرج من إسحاق وعده)
٧٧	الأودية التي يقطع منها الحشب ^{مركبة}
٧٨	ريد في قدم الرمان
٨٠	باء ريد
٨٥	فصل (في خلق أهل زيد)
٨٦	تمام قصة آل زياد
٨٧	فصل (في ملوك ريد)
٩٠	الجنابذ وقتل الصليحي
٩٣	صورة ريد
٩٤	دار شخار بن جعفر
٩٤	انقطاع العرب من تهامة

٩٥	النخل
٩٧	شجر الكاذب
٩٩	صفة زيد
١٠٥	أسماء أهل هذه البلاد
١٠٧	من المهجم إلى زيد
١٠٧	الحفل والأسبلة
١٠٨	من زيد إلى عدد
١٠٩	بيع النخل
١١٢	فصل (حديث بدوي)
١١٣	صفة باب المنب
١١٤	المقرب
١١٤	باء المزدوية المراء
١١٦	حشمة أهل المنيرة
١١٨	من العارة إلى الحيلة
١١٨	من العارة إلى المفاليس
١١٩	لرن
١٢٠	من العارة إلى تعز
١٢٠	من العارة إلى عدن
١٢١	جبل حرنز
١٢٢	صورة حصن القاعة
١٢٣	صفة وادي عبرة

الموضوع

الصفحة

١٢٥	ذكر ما كانت عليه عدن في قديم العهد
١٢٧	صفة نقر الباب وحفر الهر
١٢٨	المدن التي كانت جوارها للملوك
١٣٠	جبل صيرة
١٣٠	فصل (زوجة رام جندر والعفريت هومت، حكايات شتى في حفر السرب) -
١٣٣	المعجلى
١٣٤	بحيرة الأعاجم
١٣٤	بناء عدن
١٣٥	فصل (القصر، أهل سيراو ودحولهم عدن)
١٣٦	لقاب ملوك عدن من المجمع
١٣٩	بناء الجامع
١٤٠	أحبار آل ربيع
١٤١	ما شجر يسمهم
١٤٢	زوال ملك على بن أبي العارات وحصولها للداعي سبأ
١٤٣	(غارة ملك جزيرة قيس إلى عدن)
١٤٤	فصل (قتل الجاشو)
١٤٥	فصل (قبص بوران شاه على عبد السبي وباسر بن بلال)
١٤٦	بناء سور عدن
١٤٨	فصل (خروج الإنسان من البحر)
١٤٩	صورة عدن
١٥٠	صفة عدن
١٥٠	الآبار العذبة
١٥٠	فصل (بئر زعفران)

الموضوع	الصفحة
فصل (حديث في الآبار)	١٥١
الآبار المالحة بعدن	١٥١
آبار مأوها بحر عدن	١٥١
الآبار الحلوة بظاهر عدن	١٥٣
وقاحة نساء البرابر	١٥٤
فصل (فيها أيضا)	١٥٤
فصل (في كلاب عدن)	١٥٦
وصول المراكب إلى عدن	١٥٧
المشور	١٥٩
تخرج عشور المشواتى	١٦٠
الذى لم يؤخذ عليه عشور	١٦١
ما استجد في عدن	١٦٢
فصل (في وزن المشور)	١٦٣
صفة بيع الجوارى	١٦٤
البيع والمعب	١٦٥
خراب عدن	١٦٦
من عدد إلى المغاليس	١٦٨
صفة بناء الحب	١٦٩
من المغاليس إلى تعز	١٧٠
صفة الحجر الذى فى القيل	١٧٠
فهرس القسم الأول	١٧٣

القسم الثاني

مختصر



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بناء حصن الدملوة

حدثني يحيى بن علي بن أحمد الرقاد قال: إن الواب ظلموا امرأة بدوية صاحبة نعم ومواشي، فلما شاهدت المرأة اختراء القوم في أحد نعمها ساقت ما بقي معها من المواشي وصعدت الدملوة وسكنت المكان، فلما جاء وقت أحد الراعي من المواشي أتت علي أداء ما عليها من حق وباطل ولزمت مكانها، فلما رأوا قوة بأسها مع شدة ناموسها صعد لها قوم فلم تمكنهم من الصمود ونزلوا حولها فحاصروها فلم يعمل فيها شيء، فلما سمع والي العهد خبر المرأة وتمسحها عن أداء ما عليها من الضرائب المعهودة والقواس المقديمة ورأوا قوة الموضع أنفذ لها دمه لها ولحق معها وأن يرال عنها وعن مواشيها الحرج وبطيب قلبها، فزلت المرأة فسي والي على الموضع حصناً ميعاً وهو نفقته قوي مكين سمي الدملوة لدوام مكث طالبيه تحته علي أحذه

وأشيد محمد بن زياد الحاربي بمدح أبا السعود بن ربيع بقول:

يا ناظري قل لي تراه كما هرة إني لأحسبه تقمص للزلة
مسا إن نظرت براخر في شامخ حتى رأيتك جالساً في الدملوة

ولم يقدر أحد من العرب على أحذه إلا سيف الإسلام طعنتين بن أيوب بعد أن حاصرها ست سنين، وأحر الأمر اشتراها من القائد كافور مولى الداعي بمائة ألف دينار على شرط أن يأخذ جميع ما فيه ويسلم له الحصن شبه جوف حمار، وهو من الحشة.

فلما استوفى المبلغ نزل بحرم الداعي وبجميع ما كان إلى العارة وولى فيه المعلم أحمد الصلوى وجارية، ويقال: حادم حبشي، فركب في المركب وتعدى إلى أرض الحبشة وأنفذ خاتمه إلى سيف الإسلام وأنفذه إلى المعلم أحمد الصلوى بتسليم الحصن، فقال أحمد الصلوى المعلم: لا سمع ولا طاعة، لا لسيف الإسلام، ولا للقائد كاهور، أما اليوم فأنا ملك لتملكى هذا الحصن، فرد سيف الإسلام [بأن] نزل على الحصن وحاصره ستة أشهر أخرى فلم يقدر على غرر المعلم، فلما انحصر اشترى الحصن من المعلم ثمان مئة دينار وملك الحصن فهدمه وأعاد بناءه ثمانية، وركب عليه ستة أبواب، ومن جعلتها باب الذراع وباب نيهان وباب الأسد وباب الغزال، وحفر فيها ثلاث برك، إحداها في الشمس على قلة الجبل والاثنتين الأخريين في الفيء، وحرس فيها بستاناً حسناً، وبني ميدان وحصنها غاية التحصين، وأحرس اختراها الأرض من جوراً زوجة أتابك سيف الدين سقر بمبلغ عشرين ألف دينار بعد أن حاصرها عاماً تاماً في دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر، فلما صار في حوزة وقبضته وأدار حول جميع الحصن سوراً ثانياً لإحكام الحصن مئة أربع عشرة وستمئة.

وقد غرس سيف الإسلام تحت الحصن بستاناً يسمى الجان ويقال الجنات فيه من جميع الفواكه ويطلع فيها وزن كل أترنجة عشرة أمان.

من الجوة إلى عدن

راجعا على طريق حرز

من الجوة إلى العايرين فرسحان، وإلى بقيل حرز فرسخ، وما عرف بهذا الاسم إلا أنه إذا جاز عليه أحد يحرر أن يؤخذ، وهو تسهيل الملك.

وإلى الماء الحار بصف فرسخ، وهو عين يجرح من معينه حار، عرف الموضع به، وقد نبت على الموضع جمل من شجر الكادي لله وفي الله

وإلى الدعيس أربع فراسخ، وهو من معاملة لحج، وأما أعمال لحج فإنها معاملة طويلة عريضة تصح مقدار عشرين فرسخاً، وقرى كبار ومن جملتها الرعارع، وفيه يقول علي بن الحسين الأعرج:

حلت الرعارع من هي مستعوفة وتبدلت بعد القروء أسود

فقال له الداعي سباً بن أبي السعد - بل تبدلت بعد الأسود أسود، وهو ابن منيع ابن مسعود بن المكرم، وكان صاحب لحج، فتعلب عليها سباً بن أبي السعد بن زريع بن العباس بن المكرم، وقور الدعيس لم يدخلها ناموس، ويرفع منه في كل سنة ألف دينار ملكي إلى بيت المال.

واستولى عليها ناصر الدين محمد بن عمر بن المهدي الرازي فأخربها ونهب أهلها وأحرقها في عرة شوال سنة أربع وعشرين وستمائة، وانتقل جميع أهلها إلى عدن وتفرقت بدوها في نهائم اليمن.

وإلى عدن أربع فراسخ

من الجوة إلى تعز

إلى وادى ورزان فرسخ، وهو نهر يفرق بين ثلاثة أعمال: أعمال الجوة وأعمال الجندبة وأعمال تعز.

وإلى أكمة همدان فرسخ، وإلى الحمراء نصف فرسخ، وإلى الحويان نصف فرسخ، وقد بنى بها أتابك منقر بركة مربعة.

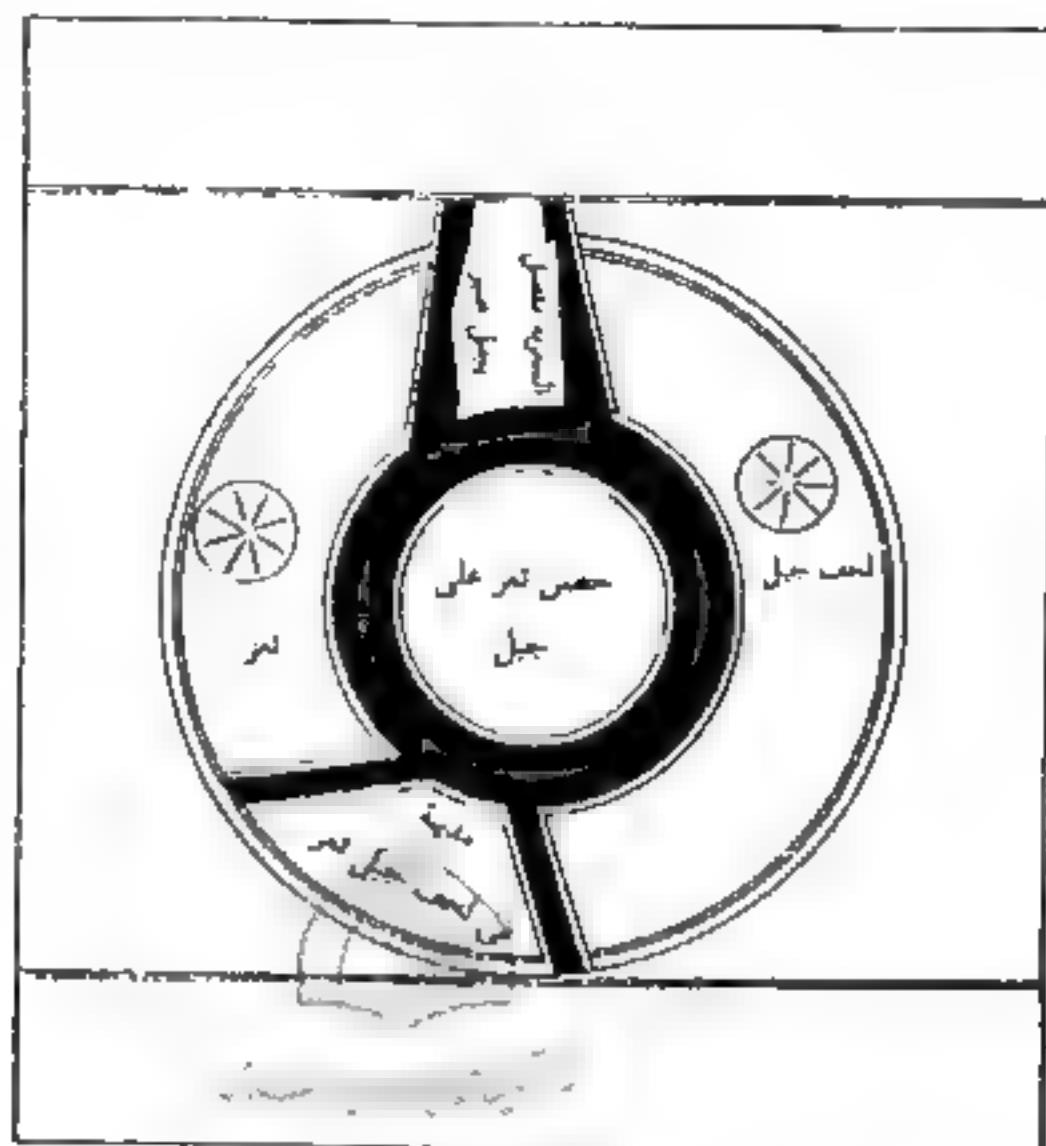
وإلى تعز ربع فرسخ، وتسمى هذه الأعمال حير الأحضر لكثرة عشبها ومياها وحضرتها.

صفة حصن تعز

حصن بنى على طريق جبا يسمى الجبل الأحمر ذو مكة بالجص والحجر بأبواب وأسوار وثيقة عامرة، وليس فى جميع اليمن أسعد منه حصاً، لأنه سرير الملك وحصن الملك.

قال ابن المجاور: رأيت فى المنام أن قائلاً يقول لى: إن حصن تعز يسمى تل الذهب، أو قال: جبل الذهب، فتأملت قوله فوجدته حقاً، لأن أموال جميع اليمن مكنوزة به.

وقال حكيم: إنه قلعة وضع بين مدينتين إحناهما المغربة والثانية فى لحف جبل صبر على هذا الوضع، وصورته على هذا الوصف والترتيب.



صفة جبل صبر

جبل مندور يصح دوره ثلاثة أيام رفعت دات طول وعرض، وفيه من القرى والحصون ما شاء الله وبسائين وكروم وزروع، ولها أربع مسالك، إحداها الخشبة وبرداد وعتدان وجبأ، وما عدا هذه الطرق لم تسلك لوعرها وخشها، لا لرجال ولا لفارس، وهو جبل طيب، وفيه أشتدت شمس النهار بنت أحمد بن سبأ بن أبي السعود، ويقال: سبأ بن سليمان نقول.

عائبتني فقالت. كيف طاب لك النأي وخلت الوطن
يترك الحبيب الحبيبة ويطلب الإقامة في عدن
واعترضت من صيد الطباء صيود أرباب السفن
واعترضت صيرة من صبر سلطان أجيال اليمن

وفي بعض كهوفها أصحاب الكهف والرقيم، وهم الذين قال الله عز وجل
فيهم: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةَ سَنٍ وَأَزْدَادُوا ثَعْلًا﴾^(١)

وأسماءهم مكسلميا وبمليحا وتمرطموس وكسرطوبوس وفرورس
وحمصمشاء واسم الكلب دبر، ويقال فطمير، ويقال حمراوانطيس والحاب
وقال آخرون واريس ولماطوس ومكلمسا وسارالحابر وكمططوس وبمليحا،
﴿وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ وعلى باب العار مسجد، وعلى باب المسجد
عين تسمى عين الكولر، وهو موضع فاضل مرار في العاشر من رجب

فإن قال قائل ليس القوم في هذا الإقليم، قلنا بلى، لأن دقيانوس هو الملك
الذي أسس مدينة الكلداء وسكن الحد، وكان القوم من أهل الأفسوس، فلما تم
لهم ما تم وخرجوا من مدينتهم صنعوا جبل صبر فأوروا إلى كهف وجرى عليهم
ما جرى، وكلهم معهم، كما قال الله تعالى: ﴿وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولمنت منهم رعبا﴾^(٢)، كما قال.

(١) الآية: ٢٥ من سورة الكهف

(٢) الآية ١٨ من سورة الكهف، ونقول: إن هذا الأمر ليس توقيفا، فليس هناك ما يؤكد أسماء
أهل الكهف أو عددهم أو مكانهم على وجه التحديد، إنما هي أمور اجتهادية، ولا طائل من
 وراء معرفتها، لكن العبرة في الشئ بهم في قوة تمسكهم بدينهم

كشرك الشك والخلاف وكل
واعتقادي أن لا إله سواه
فاز كلب بحب أصحاب كهف
ثم حبي لأحمد وعلي
يطلب الفوز بالصراط السوي
كسيف أشقى بحب آل النبي

وقال دجيل بن علي الخراعي:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
ولم تأتني عن ثامن لهم الكتب
كرام إذا علوا وثامهم كلب

ينزل ماء تمز من جبل صبر حين اشتراه سيف الإسلام طفتكين لهذا الماء من أصحابه بعشرة آلاف دينار وسكه، ويسمى ماء الحشة، وهو ماء خفيف هنيء مريء، ويقال: إنه عين كسر كثير الماء نصفه يقلب إلى نعر ونصفه ينزل إلى مدينة جأ، وهو أصح من ماء الحشة الذي يقلب إلى نعر وأجود منه، وليس بمن أهل جأ على العرباء إلا يشرب هذا الماء لا غير من طعمه وينزل جميع فواكهها وأحطابها وأحشائها إلى العمارة لأن العصي ميال والغيم هطال، ومن يوم يدخل الإنسان الدربعاء إلى أن ينحدر إلى قيع الحشراء يهب عند كل عصر هواء بارد يحيي الفؤاد ويبدد تكليل الأفق بالغمام وينزل العيث ساعة زمانية ثم يصحو، ويبقى العالم على هذه الصفة مدة ستة أشهر الصيف.

فصل: إذا رأيت الهلال في الماء يصرب إلى الحمرة فإنه يدل على هبوب الريح، فإذا رأيت في وسطه سواداً دل على العيث، وإذا رأيت عين الشمس حين طلوعها في وسطها شيء من الغيم دل على مطر وصحو جميعاً، وإذا رأيت الشمس تغرب وعليها وحولها قطع قطع من السحاب يدل على المطر، وإذا رأيت سحاباً متفرقاً دل على العيث، وإذا كان الهلال ابن ليلتين أو ثلاث، فإن رأيت في قرني الهلال أو كأنه مظلم ملطخ بدم دل على الشتاء وكثرة المطر.

ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيرا

ينزل الغيث في أعمال ماردان دائم، وفي أعمال كلاب مدة عشرة شهور، وفي أرض بنى سيف مدة أربعين يوماً في إقليم اليمن ويدبس شهرين، فلذلك سمي البوالة، وإقليم المينا ومدة أربعة أشهر، وإقليم الجارة ينزل الغيث من الغيم شبه أفواه القرب ولا يستدل سفارة البحر على إقليم الجارة إلا بكثرة لمع البرق، وفي إقليم حور فوفل أربعة شهور، وفي العيين برل ديس ربيع شبه الصماق دائم، وينزل في جزيرة الحضراء وجزيرة مفية دائم، وفي بلاد السند مدة أربعين يوماً، ويكون في جميع الهند تارة صحواً وتارة غثاً، في بهار واحد مقدار عشر مرات، وتمطر على دار ولا تمطر على أخرى، ويقال إنها قد تمطر على أحد قرى الثور ولم تمطر على الآخر، وينزل الغيث في جمال البحر ستة شهور ما بين الظهر والعصر.

ذكر المياه والرياح

وما يتعلق بكل كوكب وبرج

فصل الحمل والميزان الميران المشعله، الجوراء رياح طيبة ورياح الجنوب، والسرطان المياه العذبة والأمطار الكثيرة الحركة وما ينزل من السماء، الأسد، النيران التي تدخن في الكوانين وعلم الهوى والميران التي في الأحجار، السنبلة كل ما جارى الميزان الرياح التي تُلقيح الأشجار بهبوبها وتضمن الثمار وتدل على طيبة الجو، والعقرب المياه الجارية التي ينزل إليها بالمراقى مثل الصهاريج والسيول والقرب وما يعجن من الطين، والقوس الأسهار والميران العريضة في أبدان الحيوانات، الدلو

المياه الجارية والبحار والرياح العواصف المؤثرة قلع الأشجار مفسدة للنبات، الحوت المياه الراكدة والبحريات ويلد على الأشجار المعتدلة الطول.

ويسمى أعمال معاشر نعر الشعبانيات وحدوده إلى وادي وهران وبركة الحويان، وبه أنشد سليحان شاه بن شاهشاه بن شادي يقول:

بليتُ بها دون الحصان فمهجى تلوب وبى من جرة البين بلبال
أفمتُ بأكتاف الحُصيب وأصبحتُ بحصى نعر ذا التفريق قتال

من نعر إلى الجند

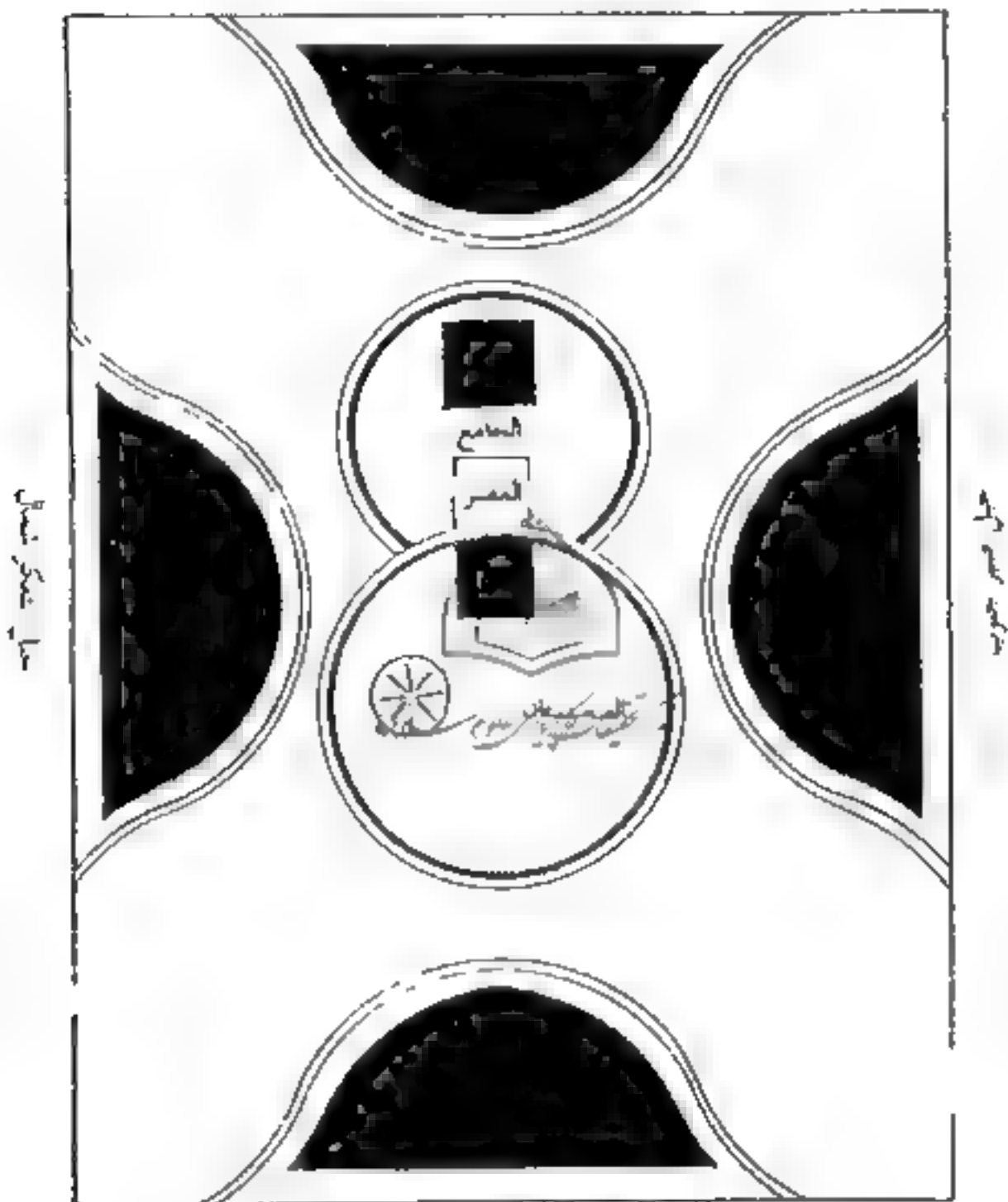
من نعر إلى بركة الحويان ربع فرسخ، وإلى وادي السكر ربع فرسخ، والسكر كان رحلا يهوديا قتله على بن أبي طالب، رضى الله عنه، وفي هذا الموضع أراضى تلعب عليها المياه إحداها... (١) وإلى الجند نصف فرسخ، والله أعلم وأحكم

بناء الجند

غرس الأوتل في فضاء الجند رحلا وحمل فلما دار الدهر رجع عقدة، وبقي النخل على حاله إلى أن ظهر دقيانوس الملك وقطع النخل وبني في فضاء الجند بلدا عظيما سماه الأفيوس، وبه كانت وقعة أهل الكهف مع دقيانوس الملك والله أعلم، وصوره على هذا الوضع والترتيب

(١) يابى بالأصل.

جبل المشرق



جبل السمير مرق

ويقال: إن القوم في كهف من كهوف جبل صبر نيام إلى الآن، وهم الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١)، وقد تقدم ذكرهم في الأفسوس ...^(٢) عامر إلى أن ملك اليمن أخو المعز بن معن بن رائدة الشيباني، فقام المتولى ومد يده إلى أحد المال واستباحة النساء بالفحش من العمل وقبح الأمل، فلما رأوا العرب منه ما رأوا قتلوه وعصروا في البلاد، فعلم أخوه معن بن رائدة الشيباني فعلم الحبر فركب وجاء في خيل ورجل فملك اليمن بعد أن ركب السيف على أهلها وأحرب الجند، وسد في الجبال ثلاثمائة عيل، أي عين عدية، ويقال: إن عيلاً منه سده بالملح فملح مائه وصار يحمل منه ملحاً إلى هذه العانة.

فلما تولى معاذ بن جبل ولاية اليمن من قبل النبي ﷺ بناها مدينة (سميت باسمه جبل غير أن البانون أبدلوا اللام قال، فسميت للجند)^(٣) لأنها مكن الجند. حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى قال: إن في الأصل يسمى قارع الأجناد لأن أهلها كانوا جند اليمن لم يسمع أحد منهم كلام صاحبه ولم يرضوا بحكومة بعضهم بعضاً، فلما كثر القاتل والقتيل بين ريد وعمرو وخرج نصر وجعفر إلى النبي ﷺ برضى خالد وزبير وطلبوا منه رجلاً يؤدون له الزكاة ويعلمهم الشرائع

(١) الآية: ٢٢ من سورة الكهف.

(٢) يفاض بالأصل.

(٣) هكذا وردت الجملة بين القوسين في الأصل، والأقرب للصواب أن تكون: «سُمِّيَتْ باسمه جبل فغيروا الباء إلى نون، وأبدلوا اللام دالا، فسميت الجند والله أعلم.

والدين ويتحاكمون إليه أنفد النبي ﷺ معاد بن جبل، فقلت له: أريد على هذا برهاناً، قال: يقول الشاعر :

يا بني مسعود شلوا الـ — خيل من قسارع الأجناد
ما عليكم بما موالى — من نباح الكلب فى الواد

حدثني رجل من أهلها أن كل ما كان يحضر فى الغيل حط .. (١) زبدي تراب، أى من تراب، كان يعطيه رعيه خبز وعظم، أى قطعة لحم، ودراهم، وقيل: دينار، ولا يزال على حاله إلى أن جرى الماء من الغيل وعمر، وبقي البناية على حالها إلى أن تولى سيف الإسلام طعنتكين بن أيوب فأدار عليها سوراً من الحجر والجص وأعلى طين ولبن سنة سبع وتسعين، والأصح ثلاث وتسعين وخمسمائة، وركب على السور خمسة أبواب: باب المنصورة، وباب الحديد، بناية الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر، وباب الأقطع، وباب السر، ينفذ إلى بستان السلطان.

صفة جبل البقر

وهما جبلان وراء الجند لمسافة ربع فرسخ بنى بها العرب حصنين وسائر القوم يصبح به الجند صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً، وبقيت أهل الجند معهم فى عتاء وتعب إلى أن ملكت من ملوك العرب هدمت وأردمت آبارها، وبقيت الآن جبلين قائمين خرابين لا بهما داع ولا مجيب.

(١) يباض بالأصل.

صفة أكمة سليمان

وبئر البحر، وكان في قرب الجبل حصص مائع يسمى أكمة سليمان، من بناية سليمان بن داود، عليهما السلام، فلما عصت العرب على معن بن زائدة الشيباني تحصنوا بالحصن مما يلي البحر بئر ماء ذات عمق وسعة وطول، وقد بنى على دورانة القلعة إلى قرار هذه البئر دَرَجٌ ينزل إليه الحبل والرجل، والبئر مشترك ما بين الفريقين إلى أهل البلد فشربوا منه باطن وعسكر معن بن زائدة ظاهراً، فنزل في بعض الأيام فارس بحصانه إلى قرار البئر يرويه فلما شرب الحصان حوض الماء نخر الحصان من غمق الماء فسميت بئر الحجر لأجل ذلك، فلما علم معن بن زائدة شريكية البئر فيما بينهم أقلت في الماء ثَقَطاً قصار كل من شرب منه مات، فسلم له الحصن، فلما ملك الحصن هدمه والترمماً وجمعاً

صفة الجامع

وأول من بنى الجامع معاذ بن جبل مع أهل الجند وما حوله من القرى، وأعاد بناءه القائد الحسين بن سلامة، وجدهه الأمير المفضل بن أبي البركات بن الوليد سنة ثمانين وأربعمائة بالحجر المقوش واللبن المربع، وأحرقه علي ابن المهدي سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ويقال: إن الحق سعت وشفعت في إيقائه فقال: قد استوجب النار، قيل: ولم؟ قال: لأنه قد خطب على منبره الإسماعيلية، يعني ملوك بني زريع أي ولاية عدن، فهم أنجاس يجس الجامع بذكرهم وكل من هو

نجس طهر وقد طهرناه بالنار، فأعاد بآءه سيف الإسلام، ومع ذلك رفع سقوفه بالآجر والجص بعد أن ذهبه، وأجره بالذهب واللازورد سنة ثلاث وستمئة في دولته الملك الناصر بن طغتكين بن أيوب.

وقال حكيم: خذ من جامع تيز المسير ومن جامع الجند السقف.

ويجتمع في أول جمعة رجب في جامع الجند من كل الأعمال ناس يصلون فيه ويبلغ ذلك اليوم في الجامع مقدار ما يسع رجل واحد درهم فيقال: ديار ليصلي ركعتي الجمعة، ويكون فيه ذلك اليوم نور مشهود.

وأهل الجند وما حوله من القرى يزورون في فصل هذا المسجد أحباراً من جهة زيارته في أول جمعة في رجب فعمل عمرة، بل قالوا حجة، ولم يزل الناس يزورونه في كل سنة في أول رجب حتى أثر ذلك (١) وصار صفى الدين حاتم ابن على بن محمد بن المعلم حتى أسقامه في بطيحة، ويقال: إنه أخذ إبرة مسمومة وغرز فيها حيطاً مسموماً وصار يفرز الإبرة في حوائط البطيحة ويجرها والخط معاً، وجاءها إلى سيف الإسلام وهو قائم على بابة المصورة فجلا سكيناً فوق البطيحة ليأكل منها، فتناول منه سيف الإسلام البطيحة فقطع وأكل وأحس بالشر به فقال لعلى بن حاتم: الله المستعان على ما تصفون، فقال له: كل يا مولاي، ما هو إلا خير، وعاب الشيخ حاتم بن على بن محمد بن المعلم من ساعته، فأوجعه فؤاده ومات، رحمه الله تعالى.

وحدثني عبد الله بن محمد قال إنه كان يقرأ في الرع. ﴿ما أغنى عني﴾

(١) يباشر بالأصل.

ماله * هلك عنى سلطانيه * خذره فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه^(١) إلى تمام الآيات.

وحدثنى إنسان جبلى من آل الصليحي قال: إنه قرأ: ﴿الذى جمع مالا وعنده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن فى الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * فى عمد ممددة﴾^(٢) وصار يكررها إلى أن مات رحمه الله تعالى.

بقيت النبأية على حالها إلى أن توفى الملك الحمر إسماعيل بن طفتكين بن أيوب فرد الأراضى على أربابها، ويقال إنما ردها إلا بعد أن أسقى الشيخ على بن حاتم بن على بن محمد بن المعلم فى زيد، ويقال: إنما سقى ابن المعلم إلا لإدراك سيف الدين سقر بعد قتله الملك للحمر فى زيد.

فصل: كان يقال: فى زمان سيف الإسلام طفتكين بن أيوب: إنه لا يموت حتى يملك قسطنطينية ويعمرها، فلأجل ذلك طال أمله فى الدنيا وزينتها، وأسس المنصورة فبيضا الفعلة يحفرون الأساس إذ خرج عليهم صحرة حجر عليه مكتوب: إن فلان بن فلان الشقى بنى مدينة قسطنطينية، قال: ومات ودفن بتأريج الشهر والسنة، فسأل عن اسمها الأصل، قالوا: إنها تسمى قسطنطينية، قال: متا ورب الكعبة! وسقى عليها ومات ودفن بمغربة نعر، وما أراد ببناء هذه البلدة إلا أنه يخزن فيها جميع غلال الجبال، على ما تقدم ذكره.

(١) الآيات: ٢٨ - ٣٢ من سورة الحاقة.

(٢) الآيات: ٢ - ٩ من سورة الهمزة.

فصل : نزل الأمير الأعز على بن محمد الصليحي بقرية من أعمال المهجم يقال لها: أم الذهب وبئر أم معبد.

قال سعيد بن نجاح قلما دخلنا المهجم لم يشعر بنا إلا عبد الله بن محمد ابن علي فركب وقال لأخيه يا مولانا اركب فهذا والله الأحول بن نجاح، فقال علي لأخيه عبد الله: إني لا أموت إلا بالذهب وأم معبد، يعتقد أنها أم معبد التي برل بها النبي ﷺ حين هاجر ومعه أبو بكر، فقال له فلان بن فلان: قاتل عن نفسك فهذه والله بئر الذهب بن عس وهذا المسجد حيمة أم معبد بنت الحارث العبسي^(١) فحيث قتل بها، وكان في طالع الملك المعمر أنه لا يقتل إلا في العراق بعد أن يحلها أموى مزبل دولة بني العباس، فلما تيقن عنه ذلك قتل بهوادي العرق من ريد، وفيه أنشد المحسبي بقول:

الموت في كل حين وبئر الكفنا	وبئر في غفلة مما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا ورثها	وان توشحت من أثوابها الحسا
ابن الأحبة والجيران ما فعلوا	ابن اللعن بها كانوا لنا مكنا
مقاوم الموت كأمًا غير صافية	فصيرتهم لأطباق الشرى رها

والى قلعة صراس نصف فرسخ، وإلى وادي وهران نصف فرسخ، وإلى دى حيلة نصف فرسخ، ويصعد نقيل دى حيلة ويسمى الثقيلين وهما جبلان يسمى أحدهما نقيل نهران والثاني نقيل العكائف، وما اشتهر بهذا الاسم إلا أنه كان به عجائز معتكفات، والله أعلم.

(١) سبق ذكر هذه القصة في ص ٩١ برؤية قرية منها

بناء ذى جبلة

ذى جبلة من مخلاف جعفر، وجبلة كان رجلاً يهودياً يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز، وبه سميت المدينة، وأول من اختط ذى جبلة عبد الله بن محمد الصليحي المقتول على يد سعيد الأحول بن بجاح مع أخيه علي الداعي ابن محمد بن علي يوم المهجم، وكان أحوه قد ولاء حصن التعكر، وهذا الحصن مطل على ذى جبلة وهي سفحه، وهي مدينة بين بهرين جاريتين في الصيف والشتاء، واحتطها عبد الله بن محمد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وبها كانت تسكن المرأة الملكة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي.

فصل : وما كان في سنة سبع وأربعين وأربعمائة انتاع الداعي محمد بن سبأ من الأمير منصور بن معصل جميع المعاقل التي كانت لبني الصليحي وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدائن ومن جعلتها مدينة ذى جبلة، واشتراها منه بمائة ألف دينار، ونزل الأمير منصور من مفصل حصنه صبر ونمز، وطلق زوجته الصليحية وهي بنت عبد الله بن عبد الله بن محمد الصليحي وصعد الداعي المخلاف وسكن في ذى جبلة وتزوج امرأة الأمير منصور بن معصل، وأكثر الشعراء تهنيته ومدحوه بالمعاقل والعقيلة المذكورين، وطاش فرحاً بما صار إليه، وبسط يده في العطايا، والله أعلم.

بناء المخلاف ونجا

كما يقال: أعمال اليمن، ويقال: مخلاف تعكر ومخلاف جعفر، أى من أعمال تعكر، وأعمال كل حصص بناته يكون صموداً، أدخلت تلك الأعمال إلى ذلك الحصن، فما كان حول كل حصص من القرى والزارعات فهو مخلافة، والمخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع، وليس تعرف المخاليف إلا بجمال اليمن وأما فى التهائم فليس يعرف، والله علم

ذكر تغلب الفقهاء فى حصن التعكر

ولما حرج المصور بن ^(١) بن نجاح من ريد بأحبه عبد العرير بن حباش هاجر هو وعبيده إلى الملك المفصل بن أبى المركات والترموا له على التنصرة ربع البلاد، فسار المفصل معهم فأخرج عبد الواحد وملكهم، ثم هم أن يقدروهم ويملك ريد.

فحين حلا التعكر وطالت إقامتهم بتهامة وفى التعكر نائب له يسمى الحمل، وكان هذا الحمل متمسكاً بالدين، فصعد إليه إلى التعكر سبعة من إخوانه الفقهاء، منهم: محمد بن قيس الزجاجي، ومنهم: عبد الله بن يحيى، ومنهم: إبراهيم بن ريدان، وكانت له البيعة، فأحلوا الحصن من الحمل، وكانت الرعايا قد قالت

(١) كلمة مطبوعة فى الأصل.

للفقهاء: إذا حصلت في رأس الحصن فأرقدوا البار، ففعل ذلك ليلاً فأصبح عندهم على رأس الحصن عشرون ألفاً، واستولت الفقهاء على ذلك ولم يعهدوه.

ووصل الخبر إلى المفضل بتهامة فسار مسير طي لا يلوى على أحد إلى التعكر، فقامت حولان في بصرة الفقهاء، وأقام الحصار عليهم، فلما طال ذلك قال إبراهيم بن زيدان: لن أموت حتى أقتل المفضل ثم أهلاً بالموت، فعمد إلى حظاياء من السراري فأخرجهن في أكمل رى وأحبه وجعل بأيديهن الطارات وأظلمهن على سقوف القصر بحيث يشاهدن المفضل ويسمع هو وجميع من معه من تلك الأمم أصواتهن.

وكان المفضل أكثر الناس عيرة وأنفة فقبل: إنه مات في تلك الليلة، وقال آخرون: امتص خاتماً كان معاً عنده فأصبح ميتاً والخاتم في فيه، وكان موته في رمضان سنة أربع وخمسمائة.

ولما مات المفضل طلعت الحرة من دي جبلة وحييت على باب التعكر، وكاتب الفقهاء ولاطفتهم إلى أن كتبت لهم خطها بما اقترحوه من أمان وأموال، واشترطوا عليها أن ترحل هي وجميع الحشود وتوصل إليهم من ترضاء والياء، وولى لها التعكر مولانا القائد فتح ابن القائد فتح.

حدثني السلطان ناصر بن منصور قال: حدثني إبراهيم بن زيدان أنه وصل بنيه من العين خمسة وخمسين ألفاً، يعني ديناراً لما تركوه من حصن التعكر.

صفحة بناء ذى جبلة

بنى بذاك الصليحي فى محلاف جعفر وحدودها بالطبول من نقييل صيد إلى مصايح^(١) وبالعرض من سوق وصفات إلى حصن الطريمة^(٢) إلى ذى الأسود من حدود مخلاف حب، وتسمى قلعة الهرين لأن جبل التعكر ما بين أيمن البلد وشماله ومجمع الهرين فى آخر البلد عند موضع يقال له وادى ميتم، كما قال المازنى فى بعض قصائده، حيث يقول:

ما مصر ما بفناد ما الطرية كمدية قد حارها النهران
حدود لها شام وحاً مشرق وكذاك تعكرها المنيف يمانى

وله يقول:

ليس الخورنق والسدير وبارق كطرمحي

كلا ولا النعمان مثل الدنيا هطل اليدين

وقال مصطبيع الدولة مواهب بن جديد المقرئ يمدح الملك المفصل بن

أبى البركات بن علاء الحميرى:

فرفضتها فوقاً إلى ذى جبلة وتركتها لملوك أهل المشرق

(١ ، ٢) غير منقولة فى الأصل.

ونذكر عجائب إقليم اليمن وما فيها من الغرائب ومن جملتها حصن أشيخ

ومما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار زبيد قال:
حدثني المقرئ سليمان بن ياسين، وهو من أصحاب أبي حنيفة قال، بت بحصن
أشيخ ليالي كثيرة وأنا عند الفجر أرى الشمس تطلع في المشرق وليس فيها من
النور شيء، وإذا نظرت إلى تهامة نظرت عليها من الليل صباب يسمع الماشي أن
يعرف صاحبه من قريب، وكنت أظن ذلك السحاب والحرار وإذا هو عقائل الليل،
فأقسمت أن لا أصلي الصبح إلا على مذهب الشافعي، إن أصحاب أبي حنيفة
يؤخرون الصبح إلى أن تكاد الشمس تطلع على وهاد تهامة، وما ذاك إلا أن المشرق
مكتشف لأشيخ من الجبال وذروته غالية

وهو مقر الداعي سيأ بن أحمد بن علي الصليحي، وفيه يقول عبد الله بن
الحسن بن علي بن القم شعرا:

ولما مدحت الهجرى بن أحمد	أجار وكافاني على المدح بالمدح
فروضني شعراً بشعري وزادني	عطاء فهذا رأس مالي وذو ربحي
فلققت إليه الناس حتى رأته	فكنت كمن شق الغلام إلى الصبح
ففتح دهر ليس فيه ابن أحمد	ونزه دهر كان فيه من القبح

ونجد الحنشين

من أرض بنى نجاح، وكان في قديم العهد تسمى هذه الأعمال أعمال نجد، وما عرفت بالحنشين إلا أن صاحبيه تقاتلا وتعاقرا، فبينا هم في قتالهم إذ وقع عليهم لمع برق أحرقهم، ويقال بل خُف من تحتهم فتزلوا في الخسف، والخسف باق، وهو في قدر بشر عظيم ليس يوحد له قرار، عرف النجد بالحنشين، ونجد الحنشين من أعمال الحفل والكمل

وحصن ثريد

سماه سليمان بن داود، عليهما السلام، في أرض بني سيف وهو سور دائر على سام جبل عال شاهق في الهوى، وفي وسط الحصن بحيرة ماء قديم خلقه الله على ظهر الجبل لم يعلم له قرار، وهو ماء عذب، وقد يرى فيه من الأسماك ودواب البحر وموج هائل، وقد بنى على السور على ساحله مستنار بالبحيرة، وبني من داخل السور ثلاثة دور، لا غير، يسكن في أحدهم ثلاثة رجال، وفي الثاني أربعة، وفي الثالث خمسة رجال، يصح عدد القوم اثني عشر رجلا رتبة، ولم يقدر أحد من ملوك الفز على أخذها من أربابها بني سيف، ويقال: إن به شجرة يصح طولها ثلاثة أذرع، قط ما أوكر عليها طير إلا وقع من ساعته ميتا، ولا يرال تحتها طيور موتى من كل فن.

حدثني أحمد بن محمد بن المهنا الصفار قال: إني رأيت في بلاد البرابر شجرا

يوجد تحتها قردة ميتة فسألت بعضهم عن حال قصة القردة فقال: إن تلك الشجرة شجرة السم الذي يعلى خطبه يُستخرج منه سم ويجمونه في شاشيهم، فمن أصابه من تلك الشابات ولم يُقَوِّر اللحم والجرح معاً مات من ساعته، فتجىء القردة تأكل من ثمرها، لأنه يكون حلواً فيموتون كما نروهم.

قال ابن المجاور: وما يموت من القردة إلا كل من يكون في بطنه حراح أو مرض يصل سم الشجرة إلى الجرح فيحتلط بالدم ويموت ويرجع بسببه مرمياً شه جلع محل منصرم.

ولا شك أن هذه الشجرة شجرة سم.

قال ابن المحاور: ورأيت في المنام ليلة الاثنين العشرين من شهر رمضان سنة عشرين وستمائة كأن قائلاً يقول في: إن في أرض الرحيار شجرة تسمى نار ولا يمسها أحد إلا احترق من وقته.

وما اشتق حصن ثريد إلا من ثريد الحيز واللحم، أي كل من يملك هذا الحصن يبقى إقليم اليمن قدامه شه حصة ثريد يأكل ما أراد، أي يملك ما انتهى وأراد.

وفي سنة خمس عشرة وستمائة زرعت جميع جبال اليمن القوة وبطلوا زراعة الغلال، لأن أحدهم كان يزرع الحنطة ولشعير، وما كان يغزل كل جريب إلا خمسة دنانير ملكية فزرعوا القوة فعل لهم الجريب ستين ديناراً، وابتاعت القوة ستة اثنين وعشرين وستمائة بعدن البهار ستة وسبعين ديناراً، فلما رأَت الحلق ما رأَت قالوا: نترك غيره ونزرعه فزرعوه حتى الحدم والجواري والنساء والمشايخ

والغنى ويقوا إلى أن ملك الملك المسعود يوسف بن محمد من ديار مصر، فأخذ جميع القوة ولم يخل لأحد وزن أوقية، وجميع ذلك مباح مستهلك وذلك في سنة أربع وعشرين وستمائة.

ومثابة فيه بدر الفضة

وأهلها قوم يقال لهم بونهم، وفي سوارق صعدة انباع ولو أنه من كان، ويقال: إنه جلب زيد عبدا يريد بيعه في السوق فقال العبد لسيد زيدا: اصعد على هذا الحجر ناد على زيد، فلما صعد نادى العبد على زيد: من يشتري هذا العبد؟ فاشترى منه قبا ع العبد لزيد وأحلم ثمنه ذراع.

من ذى جبلة إلى صنعاء

من ذى جبلة إلى القرن فرسخ، وإلى السحول فرسخان، وهو الذى ينسج فيه الثياب السحولية، وكفن رسول الله ﷺ في ثوبين منها، وهذا الوادى لبني أصبح، قوم الفقيه أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة.

وإلى ذراع الكلب فرسخ، وإلى قلعة إب فرسخان، وإلى المعربة فرسخان، بنابة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، وإلى المعسر فرسخ، وإلى حصن سحاوى فرسخ، وإلى جدرة ثقيل صيد فرسخ، وهو مترج، درجه الملك الأعز على بن محمد الصليحي، وقال:

واسكنت العراق خيَّارَ قومي واسكنت البيطَ قُرى قصاب

وقتاب هو من جملة الحقل والحقل من وادي صيد، وينزل من ذروة النقييل عيون ماء تسمى بالجلل إلى حوض وفي الحوض حوص صغير وفي الحوض الصغير سرب ينزل الماء فيه، لم يعلم أحد إلى أين يجري

والى ضربة عمرو فرسخ، وهي ضربة عمرو بن عبد ود العامري في حجر عاص سيفه في لب الحجر كما نعوص الشجرة في قالب جني طري، وكان السبب في ضربه الحجر أنه تبعه قوم من العرب، والأصح سيف بن ذي يزن، ويقال: الحوش، فلما صجر منهم صرب الصحرة صرية، فلما رأيت الحوش ذلك ردوا على أعقابهم راحمين، ويقال: لما نظر سيف من ذي يزن الصرية علم أنه لا يصح له منه شيء إلا بيد عالية فخرج إلى العراق مستجداً بكسرى فأعطاه كسرى جيشاً ملك بهم اليمن.

فلما ثبث سيف بن ذي يزن في ملك اليمن وخرج عمرو بن عبد ود إلى الحجاز، وهو الذي برر إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، وكثر النبي ﷺ ثلاثاً وقال: برز الإيحاء كله إلى الشرك كله، وقتل علي يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الرقعة^(١) كما قال:

كن ابن من شئت واكتسب أدياً من عجم كت أو من العرب
إن الفتي من يقول - ها أنا ذا ليس الفتي من يقول: كان أبي

(١) كان ذلك في غزوة الأحزاب، أو الخندق

والى منزل الأصم فرسخ، وما عرف بهذا الاسم إلا أنه وصل إلى هذا الموضع
رجل أصم، أى أطروش، فسمع دوى جرى الماء تحت الأرض فحفر آباراً، ويقال:
أنهرأ، وسكن به فعرف به، والى دار الضيف فرسخ، سكنها رجل من الأعراب
وكتب على بابه فى الصخر:

ألا من وصل إلى الدار فلا يُعْثَى لأن فى الدار رجلاً يُفْذَى

قال ابن المجاور: وعجبت منه كيف لم يكتب:

ألا من وصل إلى الدار فلا يُمَشَى لأن فى الدار رجلاً يُفْثَى

والكتب إلى الآن باقٍ على حاله.

وقال أبو فراس بن حمدان فى المعنى:

نار على شـرفى تـأ جئ للضيف السارية
يا نار إن لم تجلبى ضيفاً فليست بنارية

وصفة جبل السلطان الأعظم بهرام بن شاه بن محمود ما وهب لأحد مال إلا
وهب مع المال خلقاً استوجبوا القتل، فقبل له فى ذلك، قال: أما المال الذى ليس
له عندى قيمة ولا قنر ولا محل إلا لو وهبت الأرواح، كما قال الباركل فى
المعنى:

كلُّ له ثمنٌ يباع بمثله إلا النفوس فما له أثمانُ

فأخذ هذا المعنى الحكيم فضل الله الفرنوى يقول:

زابتدای کون عسالم تا بوقت پادشاه
 از بزرگان عفو بودست از فرود ستان کنه
 خاصة اندر عصر شاهي کز پی انصاف او
 کهربارا نیست آن یاراکه گردد کرد گاه
 من که از تدبیر خصمان خورده بودم تیر قصد
 زنده ما ندم تا برور محشر از اقبال شاه
 جان من بخشیده شاهیت کندر عصر او
 چند شاه تاج بخش است یا امیر داد خواه
 خسرو سیارکان باید که این شش بیت را
 باز گرداند بکلك تیسر سر رخسار ماه
 تا بیاموزند شاهانی که زر بخشیدو سیم
 رسم جان بخشیدن از سلطان دین بهرام شاه

والی الملاوی ثلاثة فراسخ، والی الحریر فرسخان، والی مدارة فرسخ، والی ثقیل
 سلح فرسخان صعود، والی حداران فرسخ حدود، والی حیارى فرسخ، والی غیل
 البرمکی فرسخان، ماء حار، فلما قتل الإمام أبو محمد هارون الرشید جميع البرامكة
 هرب إنسان منهم وسكن صنعاء، فلما وجد قبة الماء على أهلها اشترى أرض قاع
 عبّاد بن الفجر وحفر بها نهراً عظيماً، ويقال إن معين النهر هو من أرض العراق،
 فلما تم جريان الغيل أوقفه على صنعاء صنعاء، فعرف العيل بالبرمكى، ويقال. يل
 الذى حفره برمك الذهب، أى ما قصر فى جرح الذهب على حفره.

والی صنعاء فرسخان.

بناء صنعاء

حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال - إن شيث بن آدم، عليه السلام، بنى مدينة صنعاء وغرس بظاهرها بستانين أحدهما أيمن الدرب والثاني أيسره، وهما بطول من صنعاء إلى العراق مسيرة سعة أيام

حدثني السلطان جميل: بنى به سام بن نوح، عليه السلام، لأنه استولى عليه ولم يكن بقدر على المقام في مدينة واحدة فكان يدور العالم على موضع هوى حفيف الماء معتدل الأرض في الصحة ليسكن ما به من الألم، فوجد أرضاً موافقة لطبعه، فلما نزل صنعاء رآه عنه الألم، وحيث صعد على جبل نُقِمَ فسكه وقال لأهله وأتباعه وأتباعه:

ليعمر كل منكم مسكناً يسكنه، فعمرت الخلق المساكن فرجعت مدينة طولها وعرضها مسيرة سبع فرامح، وكانت أعمالها تنفذ إلى البصرة، وبقيت الطريق مسلوكة عامرة إلى أن علاه الرمل فقطعه.

وبنى هود، عليه السلام، في جامعته بئراً، وهي أول بئر حُفرت في عالم الكون والفساد، وأدار سورها الملك الأغر علي بن محمد بن علي المعلم الصليحي بالحجر والجص وركب عليه سبعة أبواب:

باب غُمدان ينفذ إلى اليمن، وباب دمشق ينفذ إلى مكة، وباب الشیخة ينفذ إلى محلة الشیخة، وهم المجنومون، وباب حديق الأعلى يدخل منه السيل، وباب

نحلق الأسفل يخرج منه السيل يسقي الأرض، وباب النصر ينفذ إلى جبل نغم
وبراش، وباب شرعة ينفذ إلى يستاك السر، والله أعلم.

ذكر قصر غمدان

أول من ابتدأ في بنائه سام بن موح، عليه السلام، لما بنى صماء، ويقال:
سليمان بن داود، عليهما السلام، لما دخل اليمن يتزوج بلقيس، وكانت التبابعة
من ملوك اليمن لهم رعية نفيسة وهمة عالية في عمارته، وكل ملك تولى منهم
كان يُعَلِّي قصراً على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثني وسبعين سقفاً، ويقال
ثلاثة وتسعين سقفاً.

وأخر من بنى به أسعد الكامل ^{ويقال: أسعد الجراحي}، قصر من رجاح وهو
الحاتمة.

أنشدني عبد الله بن داري بن أبي بكر العبسي ليلة الأحد الحامس من صفر
سنة ثلاث وعشرين وستمائة:

لا بأخذ النار إلا كاب ذي برن	إد صير البحر للأعداء أحوالا
أني هرقلاً وقد شالت بعامته	فم يجد عبده النصر الذي مالا
ثم انشي نحو كسرى بعد ساعة	من النين يهين النفس والجمالا
حتى أتى بهني الأحرار يقدمهم	تعالهم فوق متن الأرض أجيالا
غلب أساورة بيض مرارية	أشد تريب في الغيطان أشبالا
له درهم من عصابة صير	ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا

أرسلت أسداً على مؤد الكلاب فقد
فانطط بمسك إذا شالت نعماتهم
واشرب هنياً عليك التاج مرتفقا
تلك المكارم لا قنبان من لبن
أضحى وشبكهم في الأرض فلالا
وأسيل اليوم في برديك إسمالا
في رأس غمدان داراً منك محلالا
شيبا بماء لعمادا بعد أبوالا

حدثني قاضي الجيل من آل الصليحي قال: حدثني رجل سمع من لفظ
أبي محمد عبد الله بن حمرة الحسيني قال: إن أواخر فيء قصر غمدان كان يصل
إلى وادي الظهر، قلت: كم يكون بينهم من المسافة؟ قال: مثل من زبيد إلى
الزربية، ومن زبيد إلى الزربية مقدار فرسخ زائد لا ناقص.

قال ابن المجاور: ولا شك أنه كان يصل فيء القصر إلى وادي الظهر إذا قربت
الشمس للغروب، لأن في مثل ذلك الحيز يكون الطل والغيء إلى أن يرجع مثل
الشيء ثلاث [أو] أربع مرات، كما يقال: بيانه بل صياء سرجه كان ينظر من
المدائن وقيل: إلى المدينة.

وبقي القصر على حاله إلى أيام خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،
رضي الله عنه، فقد بعض الليالي بظاهر المدينة إذ نظر في الجو شيئاً يضيء شبه
كوكب دري، فسأل عنه فقال بعض من حصر مجلس أمير المؤمنين وفي خدمه:
إن ضوء هذا ضوء شمعة تشعل على أعلى قصر غمدان بصنعاء، فأمر بهدمه فهدم،
فالآن بقي تل عظيم، وقد بنى موضع القصر بدر الدين حسن بن علي بن رسول
قصرًا عظيم الهيكل سنة ثمان عشرة ومستمائة

حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الرزاد قال: ما نرى قصر غمدان إلا

امراة تسمى الزباء وأمرت ان يجعل فوق كل قصر قصر طويل، كل قصر أربعون ذراعا بالعمرى فى عرض مثله فى ارتفاع مثله.

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوى الأزدي فى ذلك:

واستحل الزباء قصراً وهى من	عقاب لوح الجوا على منتما
وسيف استعلت به همته	حتى رمى أبعد شلو المرتقى
فجرع الأحبوش مناً ناقحاً	واحتل من غمدان محراب الدما

وقد ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ان قصر غمدان يعمر ثانية أحسن مما كان فى الأول.

فصل: حدثنى سلامة بن محمد بن خباج المذحجى أن الأتيل بس فى بيت بحر فأس العوامل قصراً وأعلى سقفاً بالحجر الرحام الأبيض، ضرب فيه بعض العهوش نارا أحرقه وأخرجه وأرقتهم بمضة على بعض فرجع كئيبه جدار عظيم، وكان ينظر منه إلى مكة، وبنى الإمام أبو جعفر المنصور القبة الخضراء ببغداد لسمع طباق، كلها عقود، لتلا يرميها الهوى من علوها فى الجوى، وكان ينظر إليها من هيت وتكريت، وبنى ملوك العجم إيوان كسرى فى المدائن، وكان ينظر منه إلى حلوان.

ويقال: إن العماتية وصفها مذكور مشهور ولو لم تكن مشهورة كنا ذكرناها على التمام والكمال.

وبنى الكوالى قصر أدور حورهر فى قلعة كوالبور على تسع طبقات وينظر منه مسيرة عشرة أيام، وهو إلى الآن قائم عامر، وكان فى سالف الدهر على رأس قبة

المسجد الأقصى درة فإذا أظلم الليل غرل نساء حوران في حوران على ضوءها غزلا رفيعا، بناء سليمان بن داود - عليه السلام - وخبره يختصر الباهلي، وكان ينظر منه مسيرة عشرة أيام.

وقلعة ماردن تبان من الفرات مسيرة ستة أيام.

وكواري حصن جاهلي بته بنت بكر من الهنود وبينه وبين الهند... ورواسان بيان من توران بعدى شط السند مسيرة خمسة عشر يوما، وبني مهران بن ارجاسب في أيام درست الحكيم وحمة تول ادر في بلخ ونصب على قبة الوجمة علما أحصر فأخذ شدة الهوى العلم ورماء إلى الأرض على مسيرة خمسة وعشرين فرسخا، وذلك لعلوها.

صفة جبل المذيخرة

ويطشى أن في أعلاه نحو عشرين فرسخا، وطافتها المزارع والمياه وفيه ينبت الورس وهو كالزعفران، ولا يسلك إلا من طريق واحد، وكان محمد بن المفضل الداعي المعروف بشيخ لاعة، وهذه لاعة إلى جنبها قرية لطيفة يقال لها: عدن لاعة، وليست عدن أبين الساحلية، قال عمارة بن محمد بن عمارة: إنه دخل هذه، عدن لاعة، وهي أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن، ومنها متصور اليمن ومنها محمد بن المفضل الداعي.

وممن وصل إليه من دعاة الدولة الفاطمية أبو عبد الله الحسن بن أحمد الشافعي الشيمي الكوفي صاحب الدعوة العلوية بالمغرب

وفيه قرى على محمد بن محمد بن علي المعلم الصليحي في صباء، وهي دار دعوة باليمن، فكان محمد هذا، محمد بن الفضل الداعي غلب على جبل المذبحرة وخطب فيه لدعوة العلوية سنة أربع وثلاثمائة، ثم استرجعه منه أصحاب أسعد بن يعقوب صاحب صنعاء.

صفة جبل شبام

وهو منيع جدًا، وفيه قرى ومرارح وجامع كبير، وهو معاملة نفيسة، ويرفع منه الحقيق والجزع، وهي حجارة معشاة، فإذا عوملت^(١) ظهر جوهرها

ومن امتنع به من عمال أبي الجيش إسحاق بن زياد سليمان بن طوف صاحب عثر وهو من ملوك تهامة، وأعماله مسيرة عشرة أيام هي عرص يومين وهو من الشرجة إلى حلي، ومبلغ ارتفاعه في العام حمماته ألف دينار عشرية، وكان مع امتناعه عن الوصول إلى أبي الجيش إسحاق بن زياد يحطب له ويضرب المسكة على اسمه ويحمل إليه مبلغ من المال في كل عام وهدايا لا يعلم مبلغها، وأما الذي سلم لابن زياد من اليمن حين طعن في الس فلـه من الشرجة إلى عدن طولاً وله من علافة إلى صنعاء عرضاً، ورأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها في سنة ست وستين وثلاثمائة ألف ألف دينار عشرية خارجاً عن صرائبه على المراكب الهندية والأعواد المختلفة والمسلك والكافور والصدل والصيني، وخارجاً عن صرائب العنبر على السواحل بباب المدب وعدن وأيس والشحر، وخارجاً عن

(١) مضطربة في الأصل، وما أثبتناه أقرب لسياق المعنى.

ضرائبه على معادن اللؤلؤ وعن ضرائبه على جزيرة دَعْلَك، ومن بعضها منها ألف رأس منها خمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة بوية، وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر تهاديه وتستدعي مواصلته.

ومات أبو الجيش هذا سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة عن طفل اسمه عبد الله، وقيل: إبراهيم، وقيل: زياد، تولت كفالته أخته هند بنت أبي الجيش، وعنده أستاذ حبشي يدعى رشيد، وكان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى حسين بن سلامة، وهي أمه، وبها كان يعرف، وشأ حسين هذا حادقاً عفيفاً، فلما مات مولاه رشيد توارثه لولد أبي الجيش ولأخته هند، وكانت دولتهم قد تضعفت أطرافها وتعلبت ولاية الحصون والجمال على ما في أيديهم منها، فأقام الحسن بن سلامة يحارب أهل الجبال حتى قاموا ودان سليمان بن طرف وابن الجرامى واستولت له مملكة ابن زياد الأولى.

صفة صنعاء

صفة شرب أهل صنعاء من غيل الهرمكي، وقد تقدم ذكره، موافق لمن شربه، وأهويتها باردة تشبه أهوية خراسان موافق لجميع البضائع لم يضر شيئاً، وخاصة الزعفران تبقى فيها ما شاء الله، ويوجد بها من جميع الأنهار من التفاح والمشمش والخوخ والإنجاص والمفرجل والعنب والتين والكمثرى والورد والترجس والياسمين وسائر المشمومات والرياحين والبقول.

حدثني قيصري، مولى جمال الدين والدولة جوهر، أنه يباع بها الفجل مشقق

أربع، قلت: ولم؟ قال: لأنه وجد امرأة تستعمله في فرجها، فعلم بشرح حالها والى المدينة فأمر أن لا يباع الفجل إلا مشققاً وأسوها سة.

ويجمد بها الماء، حدثني سليمان بن منصور قال: إن الماء يجمد على الورا والكرامى ولم يس من أبلانهم سوى رءوسهم، فحيث يأنى درين، وهو الثعلب، على الجليد يقطع رءوس الطيور.

قال ابن المجاور: وهذا شيء مستحيل لأن كل بدن فيه الروح لم يجمد عليه شيء لأن الحرارة المريرة تعلب البرودة ولم يجمد الماء إلا على شيء مات لأن طبع الحياة حار ليس وطبع الموت بارد يابس، فإذا كان الأمر على ذلك لم يسقم قوله ولا يستبين فعل درين.

وأهلها من سبل المعجم حرجوا [من الحوسى] القيود في دولة يردحرد من شهرنار ابن بهرام، ويقال: كسرى بن قباد مع سيف بن دى يرد لاستفناح اليمن من الحبوش، وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور، وليس جميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر موافقة وأهلاً من صنعاء.

وهو بلد في حد الاستواء سواء، وهو من الاعتدال في الهوى بحيث لا يتحرك الإنسان من مكان واحد طول عمره صيفاً وشتاء، وتتقارب ماعات الشتاء والصيف، وكان لها بناء عظيم خرب.

فصل: خرج أهل اليمن في أيام سعد الحراعى، وهو من جملة التبابعة لاستفتاح المغرب، فلما استفتحوها صابت لهم سكناها، ومن جملةتها مدينة صنعاجة، ولما كسر النبي ﷺ الأصنام من الكعبة سرفت بنو مقبل لمناة وأدخلوه

الهند وتفرقوا بأعمال البلد وسكنوها، وتصرّت بنو جفنة في أيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، رضى الله عنه، لأجل لظمة دخل بعضهم إلى القسطنطينية وإلى بلاد الادعوان وهم مناجمين [كذا] أهل المغرب، وفيهم قال أبو تمام: ولما دعا إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - لولده يعقوب بالبوّة اعتاظ العيص فدخل حرز الإفرنج مع جماعة من بني إسرائيل توطنوها فولد الإفرنج منهم، وبنو عجل أخرجهم ربيعة، والأصح المرقعة، أسكنوها حراسان، وصار ملك خوزستان على الرعية انتقلوا إلى أعمال الكر سكنوها.

وخرج جيش عرب من بني تميم في أيام عمر بن عبد العزيز بن مروان استفتحوا السند، فلما طابت لهم سكنوها فظهر منهم الكوكر والحمت والسنة وحاجر، وخرج جيش من أنطاكية في أيام عبد الملك بن مروان إلى المغرب، فلما طابت لهم سكنوها، وظهر منهم الملحون، ويقال: إنهم من نسل مظلوم بن الصحصاح بن جندب الكلبي في الترجمة منهم من أختار وكبار حوارزم، أخذهم السلطان محمود بن سبكتكين، نقاهم إلى أرض الهند، فلما طابت لهم سكنوها، ولما خرجت الإباضية على علي بن أبي طالب بأرض اليمن، من أعمال العراق، ولوا الأدهار وما زال السيف وراءهم إلى أن عبرهم البحر وسكنوا إقليم عمان.

وأهل طرابلس المغرب تحولوا في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه، إلى باري وتولية، وبو كنانة وأخرجوا الإفرنج من عسقلان وسكنوها، فلما تخربت تفرقوا في أكفاف البلاد، وبنو حبة خرجوا من الشام في أيام دولة الإمام أبي عبد الله جعفر المصور وسكنوا المغرب.

ولما غزا بهختصر بنى إسرائيل الشام سكن اليهود نهر التبت مما يلي ظهر
الحجاز، ولما قويت صولة السلطان معز الدنيا والدين أبو المظفر محمد بن سالم
على الخوارزمية نزل من نيسابور ألف رجل مكثف الأيدي مكثفين الرؤوس حفاة
مشنقين في جبال المنجنيقات شنت شملهم ومرتق جمعهم في أقاصى إقليم الهند.
ولما قويت شوكة السلطان علاء الدين أبو الفتح محمد بن تكش على الخطا
والتار ساق منهم من أراد وأسكنهم أعمال كرميل، ولما قويت شوكة الترك على
السلطان علاء الدين محمد نقلوا المسلمين من حراسان إلى بندا وأوراق الشجر
والقصران إلى أن عبرهم سيحون.

شعر:

خليلى نومي من جفولى مُهَنْدٍ وقل اصطبارى بمنهم والتجلد
فقللى عن الأحباب لا يقل العرا وجفلى قريح بالدمع مُهَنْدٍ
وانى حزين كلما مر ذكركم بتولكم عطى وبعضى مفرد
لئن جمعت بنى اللبالي وبينكم وعاد زمان الوصل بالوصل مُهَنْدٍ
اصوم لوجه الله دهرى تطوعاً والصق وجهى بالتراب واسجد
وبعض أهل صنعاء وجميع أهل المشرق على مذهب الزيدية، وهو مذهب
الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وينسلخ من الزيدية
المخرعة والمطرفة، وهم الذين يقال لهم الصالحية والجارودية، ليسهم الحام لبرودة
البلاد، وليس شبابهم الفتوحى، والله أعلم.

ذكر تفصيل الفتوحى

جاءت عجوز بأبى سعيد بن الحسين بن أحمد بن بهرام الجياهى، والأصح على ابن فصل، إلى خياط يعلمه الحياطة، فكان الصبي يأخذ الثوب المفصل من أستاذه الخياط يخطه فى موضع لا يراه أستاذه، فلما طال ذلك سأله الخياط عن انفراده وغيبته، قال له على بن الفصل إبنى لأخذ الثوب منك فأصعد على أعلى دروه نقيم أحيط هناك وأفكر وأشرف إذا ملكت صعاء من أى باب من الأبواب أدخلها، فلما سمع الخياط لعظ على بن فصل قال له: قم نسكن حل نقيم مكانه، وصار كل من يقتل أو يهرب من دين أو مظلمة صعد إليهم فأمن، فما زالوا على حالهم فى مكانهم إلى أن التأم إليهم وانصاف إليهم خلق وعصوا فى الجبل، وصارت سرية القوم تصباح صعاء وبمأسى، فلما استقوى وضعف حال ولاية صعاء تملكها فتولاها، فإذا هو على مذهب المرامطة، وكان مولداً بحب النساء، يفصل لهم الفتوحى، وكان يوقف النساء حلقة دائرة ويدخل هو فى كم إحداهن ويتفرج على يهودها وأعكانها وأركانها ويمسك قماشها ويخرج من كمها إلى كم صاحبتها، ولا يرال إلى أن يدور على الجميع ولم تنكشف إحداهن إلا كل عندها ما عند صاحبتها وكل بروحها مشعولة، ويسمى الفتوحى لاستفتاح صعاء، ويقال: إنه فتح الحياطة، وكانت تلبسه نساء بغداد إلى أواخر دولة الإمام أبى محمد الحسن المستضىء بنور الله، أمير المؤمنين، ولبس نساء جميع العرب وجميع التركمان والكرد والبادج ونساء أهل سيستان إلى الآن منه، ولهذا يقال للصعاني: يا أبا حسان.

حدثني يحيى بن عبد الله الخياط قال: زرع أسعد الصنعاني في أرض له شعيراً، فلما بلغ الحصاد قال للحصّاد: ألا كل من أراد حصاد الحنطة، فالتأم معه خلق، فلما وصلوا الزرع وإذا به شعير، قال: فنادى بعض الحصادين بعضهم: يا أبا حسان، يمتنون صاحب الزرع، لأن كنية أسعد أبو حسان، أي كذب أبو حسان، فمن الحين والوقت سنة اثنتين وعشرين ومستمائة، ويقال بالعجمية: كندم نما جو هروش، أي يظهر عين الغلال وحطة ويبيع شعيراً، وهذا عيب عظيم، ولهذا يقال صنعاء محاصرة.

حدثني سليمان بن منصور قال: إذا وقع في لحيّة إنسان من العرب، يعنى زيد، شيء من فتات الخبز أو قشر أو شيء لا يلبق به يقول عمرو لزيد: صنعاء محاصره! فيمسك زيد لحيته بهرها ليقع ذلك الشيء منه ويقول: حاشا صنعاء تحاصره، وهذه اللها باقية، وهي إشارة بين القوم كما قال:

وما زلت أطوي مهمتها بعد مهمتي على حسرة حتى وقعت على صنعاء

كما يقال في الشام: حطب محاصرة.

عجائب دمار

لم يوجد فيها حية ولا عقرب وإذا دخل إنسان بحية إلى دمار فعند دخوله الباب تموت الحية، ويقال: إذا أخذ من تراب دمار وشدر في سلة الحواء مَوّت جميع حياته، وهذا أعجب شيء يكون.

ويقال: إن أرضها كبريتية لا يقيم فيها من المؤذيات شيء إلا هلك، ومنها يجلب الكبريت إلى سائر أعمال اليمن، ويكون طول آبارهم ثلاثة أذرع.

صفة جبل لشي

وهو جبل الشب، ومشارك ذمار بمسافة فرسخين جبل يسمى لشي، وجميع حجره ومدره ويمينه وشماله وشأمة ويمه قطعة واحدة لحب، وفي صيد منه أي صرس منه كهف، وفي الكهف بحر ماء حار يغلي، وكل مريض بمرض من أهل البلاد يأخذ منه فدي، كل على قدره، يمرى ثيابه على باب الغار وينزل وبعد ذلك يسبح في الماء وما يخرج منه إلا وهو متعاف، وفوقه مدينة مدور من جبالها يستخرج وتسمى المعدن والمقر ومخارة صنعاء جبل اللوز وسرير ملك مدينة نعمة، ومن ورائها مثابة^(١) وهي مدينة ذات طول وعرض، وجميع هذا الجبل يحمل اللوز لا غير.

صفة تكاح أهل هذه الأعمال

إذا خطب زيد بنت عمرو وأنعم له بذلك يقول زيد لعمرو: أريد أشاهد جمال كريمتك، فيقول له عمرو: اقدم إلى السوق الفلاني فإنها تتوعد به تشاهدها في بيعها وشراها وجمالها، فيتقدم زيد إلى السوق الذي دله عمرو عليه فيقعد على

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في الأصل.

قارعة الطريق، فتقبل خطيبته وعلى ظهرها كارة وعلى قدر شيلها تحط في السوق فتبيع ما معها وتشتري حوائجها، وترفع كارتها على ظهرها، ويرجع خطيبها وراءها تقطع الجبال والأودية والشعاب والسهل والجبل واللين والوعر، وهذا كله ولم تحط الكارة من ظهرها ولم تسترح، فإذا أعجب الرجل حالها وجمالها وشيلها وبيعها وشراها وقوة صبرها على شيل الثقيل فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها وتبقى على شغلها ذلك إلى الممات.

وهنا زى القوم في البدو والبادية، ولبسهم العام لبرودة البلاد، ويقال: إن رجلا قال: انتهيت على الله عز وجل مياه صعاء في عدن وأحطاب عدن في صعاء وكلاهما ملكي، ولم تعرف أهلها شعلا لسراج.

حدثني محمد بن منصور بن محمد الواسطي قال: يطلع في أعمال نمر ومنعاء قصبان يسمى شوحط، إذا أشعل رأس القصب اشتمل شبه الشمع، ولم يشتعل في سائر الأعمال طول الدهر إلا الشوحط لا غير عوضاً عن السراج والعقل. مأكولهم الحنطة والحلبة واللحم، والشراب لا يقطعونه لا صيفاً ولا شتاء، لا ضعيف ولا قوى، سفرهم إلى عدن وشراؤهم العطب والعطر والهندوان، وعاية اشتغال القوم في معرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النجوم والسحر والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة وحساب الضرب والجمع، وقوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب.

ونائزهم بالحجر القديم لا يحفرون الأساسات القديمة ويستخرجون منه ألواح حجر طول اللوح أربعة أذرع في عرض مثله، تكسر تلك الحجارة وتعمل وينى بها، ونائزهم على تقاطيع بعناد في التفريص والتدهيب.

صفة وادي الظهر

حدثني عبد الله بن مسلم الريدى الوكيل قال: فى أعمال صماء وادٍ يسمى وادى الظهر، فى بعض السنين مطر غيث طحطاح رخراح فسالت منه الأودية ورويت منه البلاد وسقى منه العباد، وسال أواحره إلى الوادى، فمن حدة جريانه غسل الأرض من التراب والحصى فظهر فى بطن الوادى صحرة كبيرة عليها مكتوب:

أنا الذى قد أفنى لموداً وعاداً ثم أفنى جيبلاً
فمن يعمل قبيحاً أو جميلاً به يلقاه مكتوباً بجبلاً
فقيت الصحرة فى بطن الوادى بقراها زيم وعمرو ويعتبر به قيصر وجعفر عدة
شهور، وبعد انقضاء هذه المدة جاء سهل أعظم من الأول طم الصحرة بالحصى
والتراب ورجع إلى ما كان ولم يعرف أين كان إلى الآن.

من صنعاء إلى الحالب واجعا

من صنعاء إلى حصن ثلا ثلاث فراسخ، بناء مشايخ بنى معن.
حدثني مصور بن مقرب بن على الدمشقى قال: إن تبع بوا حصوناً سبعة،
فمن جعلتها كوكبان وحب وجباً ونكور وصحم وعران وثلا.
والى عزان فرسخ ونصف، بناء الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة الحسينى،
والى مسك أربع فراسخ، والى حجة فرسحان، وأما إقليم حجة فطويل عريض، ومن

جمعتها مائتان وثمانون حصناً، وتسمى المقطوعة والجاهل والاغرابي وقرن عشار والشرقة والمقطيع وجبل عمرو والطعين والرهبة والعيار.

حدثني سليمان بن منصور قال: إن جميع ما تقدم ذكره حصون مائة أعطاها الملك المسعود أبو المظفر يوسف بن محمد بن أبي بكر مع ثلاثين ألف دينار حتى سلموا إليه حصن بكرور مئة ست عشرة وستمائة.

والى الدنائب خمسة فراع، ويكرى بهذه الأعمال الشقة الشقوف التى تلى الجبل بدرهم واحد، والثى تلى الوادى بدينار، قلت: ولم؟ قال: لأن الأسد فى هذه الأماكن كثيرة، يكمن الأسد على مقيف جبل مشرف على المحجة فلم يحس الإنسان إلا والأسد قد اختطفه مكابرة والعين ترى العين، والذى مما يلى الوادى مُحَلَّس من خوف الأسد فإيه قاعد على حل السلامة، ويقال: إن أسود هذه البلاد متأسدة، أى سحرة يقلون صورههم على صورة الأسود.

حدثني على بن معالى الدلال قال: إن أسود هذه البلاد قط لم تفرس حماراً ولا بقرة ولا ضأناً، ولم تقصد إلا ابن آدم، فإذا قصد الإنسان شجرة برل الأسد تحتها ويقيم مدة ثلاثة أيام، أربعة أيام، ويستظر الإنسان متى يتعب ويتزل فيأكله وترى الإنسان يقول للأسد: بالله عليك إلا ما عفوت عني، وهو يريد نروله ويضرب يديه الأرض والشخص يحلفه بمعبوده إلى أن يمدو عليه، قلت: فما السبب فى تأسد القوم، فإن الثواب فى الظلم للعشيرة؟ قال: يتعلم السحر من بعضهم البعض ويتأسد الإنسان ويجهتهد فى إيذاء الخلق بأوحش الصورة والخلق، وإنهم طول حياتهم بينها حكاية طويلة عريضة، وقد قال السي رحمه الله: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

والى المعالي خمسة فراع.

من صنعاء إلى مأرب

حدثني سلامة بن محمد بن الحذجاج المحبى قال: من صنعاء إلى مسور أربع فراسخ، أرض بني باهش، وإلى وادي جنات أربع فراسخ، وإلى المأزمين أربع فراسخ.

ذكر سد المأزمين

حدثني محمد بن سلامة بن حجاج قال. سَدَّتْ أهل شداد وعاد مفد جليلين بالحجر والرصاص وصعدوا في ارتفاعه إلى أن حادى الحائط دروة الجليل، فصارت السيول تفلت فيه والماء يستجمع إلى أن رجع بحراً مسدوداً، وكانوا يسقون منه أراضيهم وأنعامهم، ويقال إنهم كانوا يسقون منه إلى قرب الشام بسائيس ذات أعصاب ونخل وزرع وقرى متصلة بعضها ببعض، ونفى الإقليم عامراً إلى أن أحضره الله، وكان الموجب ما ذكره الرازي أنه خرجت قافلة من الشام وإذا بفأر قعر من الأرض ركب ظهر جمل من بعض الأجمال التي في القافلة، وما زال الفأر ينتقل من جمل إلى جمل ويعبر منزلاً بعد منزل إلى أن وصل مدينة مأرب فقفز الفأر من الجمل ودخل السد وصار يعمل فيه عمله.

ويقال: إن النعمان خرج يوماً في طلب الصيد فحصل في طرد الصيد فوجد الفأر بأنياب حديد يحفر السد، فلما رجع إلى أبيه المنذر قص عليه حكاية الفأر وصفة أنيابه أنها من حديد يحفر السد، فقال المنذر: صبح يا بني ما وجدناه في

الكتب أن ما يخرّب سد مأرب إلا فأر أبيابه من حديد، وأريد منك إذا دخلنا يوم الأحد إلى الدير والكنائس والناس فيه مجتمعون فقم إلى وشاكني في أمر من الأمور وطول لسانك عليّ، فإذا رأيت الأمر قد حال فقم إلى والطمني براحة كفك عليّ خدي.

قال النعمان: وكيف يمكن ذلك؟ قال: يا بني افعل ما أمرتك به، لأن لي فيه رأياً، ولك فيه مصلحة، ففعل الولد ما أمره به والده

فلما لطم الشيخ غضب الشيخ، فمن الحين سمي الملطوم، فقام الشيخ بين الجميع وقال: يا وجوه العرب، ما بقي لي معكم سكن، فقالوا له: ولم؟ قال: وكيف أقيم وصي كسر حنمتي يسكم وحرمتي!

ومن ساعته نادى على السد فتألبت والتألب قتال العرب في شراه، قالوا: بكم؟ قال نعمدوا سيفي هذا! وعمرس فؤاب سيمه على الأرض وصارت العرب تنقل الذهب والفضة والمصاع إليه، وما رآوا على حالهم يصبون الذهب إلى غمد سيمه بالذهب، فأخذ الشيخ المال وصعد الجبل وسكن مقابل السد، والجبل يسمى جبل حقا، وهو وأهله فيه ينتظرون حراب السد، ولما تمكن العار من السد وخرقه أحرقه وضرب المسيل^(١).

حدثني سلامة بن محمد بن حجاج قال: لما دفع السد أخذ الماء في جملة ما أخذ ألف صبي أمرد على ألف حصان أبلق غير البيض والشقر والذهب والخضر، كما قال:

(١) أورد ابن كثير هذه القصة في البداية والنهاية، المجلد الأول، بصورة أكثر إفصاحاً.

تهدم سد المازمين وقد مضى زمان وهو ينقاد حيث يقاد

والى مأرب أربع فراسخ، وتسمى الحصين، ومن هذه البلدة نقلت الحجر عرش بلقيس إلى أرض فارس، فى رمن سليمان بن داود، عليهما السلام، كما قال عرب وجل: ﴿أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾^(١) فقال:

مولاتنا ووليّة آل الذى طالت كما طالت علا بلقيس

وقد قال الأديب الصاهر فى مدح السلطان أئمز بن ألب أرسلان، حاجب السنجرى:

وبن صوركه ماندهى كسمى كارم دل لمانه والان يسرى

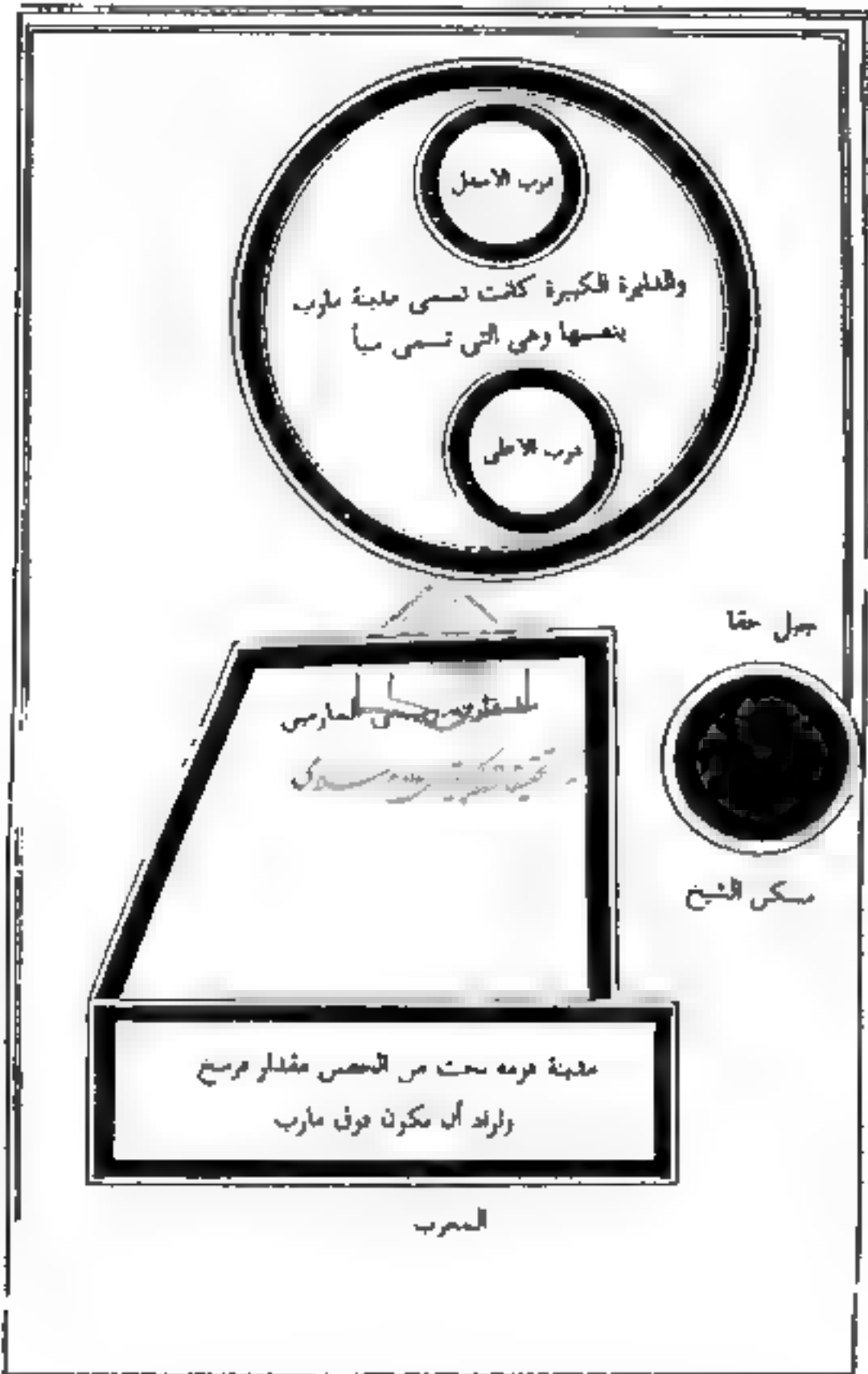
فلما اندق السد أحد مأرب فى جملة ما أخذ، فلما زال شر الماء وصرره دارت الحلق على موضعين سليمان بن صوران يسمى أحدهما درب الأعلى والثانى درب الأسفل، وفى درب الأعلى شارع يقال له شارع الفضول، كل من تلاكم ونعمره وصرب وصرّب لا يؤخذ له ولا يؤخذ منه حق، فإن كان خارجاً عن الشارع وجب على كل حقه فى الأخذ والرد.

قال: وحدثنى رجل مغربى قال وكان حسام الدين على لؤلؤ فى صعاء والياً يقال له: والى الفضول، كل من كان يتعلق عليه بحجة فكان يأخذ من كل واحد دينار.

وهو على هذا الوضع والترتيب.

(١) الآية ٤٢ من سورة النمل.

المشرق



ويقال: إن مدينة مأرب بناها سماً بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال عابر، وهو. هود، عليه السلام، ويقال إنما سمي سد مأرب لأن قوم عاد لما سخط الله عليهم الريح العقيم وكان تقف على السد كل يوم كذا وكذا من رجل ليردوا عن أصحابهم السلاء، وكانت الريح تضرب بعضهم على بعض، كما قال الله عز وجل ﴿لما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾^(١) فنوا السد ليرد عنهم قوة الماء، فلما عذبت تلك الأمة اجتمع السيول فيه وكثرت المياه فبقي جرياً للماء فبني عليه قرى وعمارات وزراعات إلى حدود الشام وكان يسقى منه جميع ذلك.

فصل: ولد لحصص بن حصص ولد في مأرب أمسى علمه في حصص موت مسيرة ثمانية أيام. لأن كل باطن ورع كرائم يحجر صاحبه حتى اتصل الحجر بحصص موت، وذلك من عمارة السلاء وكثرة السلاء

بأعمال العواهل جبل يسمى الصملي، وهو معدن الفضة، وحبل يسمى سرواح معدن الذهب وترايه أصغر يشبه الرزح لم يعرف أهل زماننا هذا عمله، ويقال: إن قوم عاد كانوا يستخرجون الذهب والعصاة من هذين المعدنين وهم في هذه الأعمال، ما بين إقليم العواهل، ووادي بيحان جبل ملح لم يكتل عرب مدحج والبدو والسلاء إلا منه، ويقال: بل يكتال منه عرب محد وما حولها من المدوان، ويوجد بهذه الأراضي النعام والفهود والطباء والأبائل كثيرة، وجميع بقاء القوم بالحجر الرحام المسحوت المنحور، وكان ينقل في قديم العصر من جبل يام، وهو مقارب براقش مسيرة أربع فراسخ، حصص أبيص.

(١) الآية: ٤٢ من سورة الداريات

من مأرب إلى الجوف

من مأرب إلى ويسان أربع فراسخ، بشر صغير من بناء قوم عاد، وإلى براقش أربع فراسخ من أعمال الجوف، وإلى معين فرسخ، وإلى هرم فرسخ، وفيه يقال:

مسابين معسین وهرم سبعمون بنسراً لابن لخم
مطوية بالساج من جوف القدم ما برحت لحم حباب لحم
غلبت عليها هليل وعقيل وجشم

وإلى الحوف الأعلى أربع فراسخ، أرض سي دعام، وبه من القرى السادية معمور درب الظالم والسوق ودار عصية ووحسان وسعموم وصهد، والقاع يزرع به الحنطة والكمون، وكل هذه القرى عامرة بأهلها، ولا يزال القتال بينهم دائماً، ومشائخ البلاد يدعون أموالهم بأرواحهم والضعفاء يزرعون ويحصدون، والتي هي خالية من السكان السوداء وحراصة ودرب بني محرم والعاصة، وفي الجوف السوداء والبيضاء ومعين وهرم وسرال وبراقش ودرب أقصى ومقعد العبل والجار وهدا وحمضة وحمض والهجير، والله أعلم.

صفة هذه الأعمال

مساكن شداد وعاد والتبابعة الجابرة، ساؤهم بالحجر والرغام والرصاص وشيء منها نقر في الجبال كما قال الله عز وجل: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَتُوكَ﴾

فأرهين ﴿١﴾ ويقال: إنه كان يلين لهم الحجر في العام شهر زمان، والأصح عشرة أيام، ففي هذه المدة كانوا يعملون به ما أرادوا، فلما كفروا بعمة الله، عز وجل، خسف بهم وتفرق شملهم وتشتتوا في أقاصي الربع الحسكون وأداني البحر المعمور، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، كما قال أبو نواس، الحسن بن هانئ، المعروف بالمدحجي، في ذلك:

في فتية كالسيوف هزهم	شرح شباب وراهم أدب
لما أراب الزمان فالتسموا	أيدى ما في البلاد فانشعروا
لم يحلف الدهر مثلهم أبداً	على هنات لثانهم عجب
لما تيقنت أن روحهم	ليس لها ما حيت منقلب
أنبت صبراً لم يبله أحد	وأقسمتى ما رب شعب

فرجعت الدور قنوراً والساكن مساكن فارتدمت بعضها على بعض، وتقلعت الحول والأشجار وطلع بدله العشب والأراك وسكنت البدواً بيوتها الشعر، وصارت الإبل ترعى بين عامر الحراب وتشرب طباؤها من الداء والسراب، لبس الشراب وماءت مرتفعاً، كما قال بعضهم في المعنى:

يا صاحبي قفا المطى قليلا	يشفي العليل من الديار غليلا
هذي طلولهم أطلن صبايتي	وتركن قلبي من عراى طلولا
ولئن خلت منهم مراتبهم فقد	غادرن قلبي بالفرام أهلا
لو أن عيسهم غداة رحيلهم	حملن وجدي ما أطقن رحيلاً

(١) الآية: ١٤٩ من سورة الشعراء، وقد وردت في الأصل: ﴿.. يوتئآمين﴾ وهو تداخل مع

الآية: ٨٢ من سورة الحجر.

إن الطعان يوم جَزَع مُفَحِّش أبقين لي جَرَعًا بها وعويلا
 من كل رنم لا عديل لحسنها رحلت فكانوا للنفوذ عليلا
 كالهدر وجهها والغزال موالفًا والرملي ردقًا والقناة ذبولًا
 ولا آخر يقول:

يا قلب هل منك إن سلبت سلوانُ
 أم أنت في غمرات الحب ولهانُ
 والله ما طاب لي عيش أُسْرِبه
 حتى يعود أصحابي كما كانوا
 هيهات بانوا فلا والله ما طمعتُ
 نفسي بقربكم من بعد ما بانوا
 يا لهف نفسي على عيش نعمت به
 أيام لي فسيح أوطار وأوطانُ
 أقسمت ما سر قلبي بعد فرقتهم
 خلق ولا لاح للإنسان إنسانُ

ويسمى هذا الإقليم إقليم العواهل، وهو بالطول من نجران إلى بيحان وبالعرض
 من روضة نسر إلى حضرموت.

من مآرب إلى صنعاء راجعاً

من مآرب إلى بشر موهل فرسخان، وإلى حرنين فرسخان، وإلى طال العاشر
 فرسخان، وإلى الرحة فرسخان، وإلى صنعاء فرسخان.

من صنعاء إلى صنعاء

على الطريق القديم.

قال ابن المجاور: وكان هذا الطريق يُسلك في أيام الجاهلية، فلما ظهر الإسلام بطل.

من صنعاء إلى مرمل ثلاث فراسخ، سرير ملك أعمال الحشب، وهو مساكن ثمود، والأصح مساكن التباينة، وجميع ما بُنى بالحجر والجص المدن منها والقرى طول كل لوح حجر منه عشرة أفرع، زائد لا ناقص، وهو الآن كله حراب بقاء وإلى ثريد ثلاثة فراسخ، من أعمال نومين، وهما واديان، وإلى رأس نقييل عجيب ثلاثة فراسخ درجة أبعد الكامل، وإلى نقييل العقعق فرسخ، وإلى المصيرع فرسخ، وفيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صرع الكفار، وأنشد بعض العرب المصارعين يقول:

كُلِينَا يَا صِبَاعَ وَجَرَجَرِينَا فَوَاللَّهِ يَا صِبَاعَ لَتَفْقِدِينَا
عَلِينَا الْبَيْضَ وَالذُّبُقَ الْيَمَانِي وَأَسِيفَ تَجَرُّوْتَعْلِدِينَا

وإلى نجد فرش فرسخان وهو نقييل مدرج، وإلى العميشة ثلاث فراسخ، وإلى الدرب فرسخان وإلى صنعاء فرسخان، والله أعلم.

ذكر خراب صعدة القديمة

فلما جرى على ذات الحيين ما جرى ورأى عمرو بن معديكرب الزبيدي ما تم على المرأة حمل جمالا رملا وقدم بها وقت الصبح الصادق إلى صعدة وقال لبني عمه: إذا دخلتم صعدة فاسفحوا الزوامل الرمل بين دروقي الباب، ففعلوا ما أمرهم به وامتلأ دروقي الباب رملا، فعلم البدوي فأمر بفتح الباب، فلما غلق الباب لم يجر معهم الأكياس الرمل بين دروقي الباب، فحيث دخل عمرو بن معديكرب الزبيدي إلى أرض الحجاز فتبعه رجل من البدو، فلما دهمه جذب السيف وصرب الصحرة التي تقدم ذكرها فمرفت بصربة عمرو، فلما نظر الرجل للضربة رجع عنه، وم على قوه إلى أن خرج إلى الحجاز وأسلم على يد النبي ﷺ، ويقال على يد بعض الحكماء، وخرج في فتح المعجم مع سعد بن أبي وقاص، وقتل بأعمال بهاوند من إقليم العراق، فلما تم على أهل صعدة ما تم تراجعت الحلق من كل صحن عميق فعمّر كل مرله ومسكه وسكن فيه، فلأجل ذلك هي خمسة دروب، ويقال: إن صعدة القديمة كانت في الابتداء عند حصن تلمص مع خراب صعدة وأعلىها بناها الهادي يحيى بن الحسين.

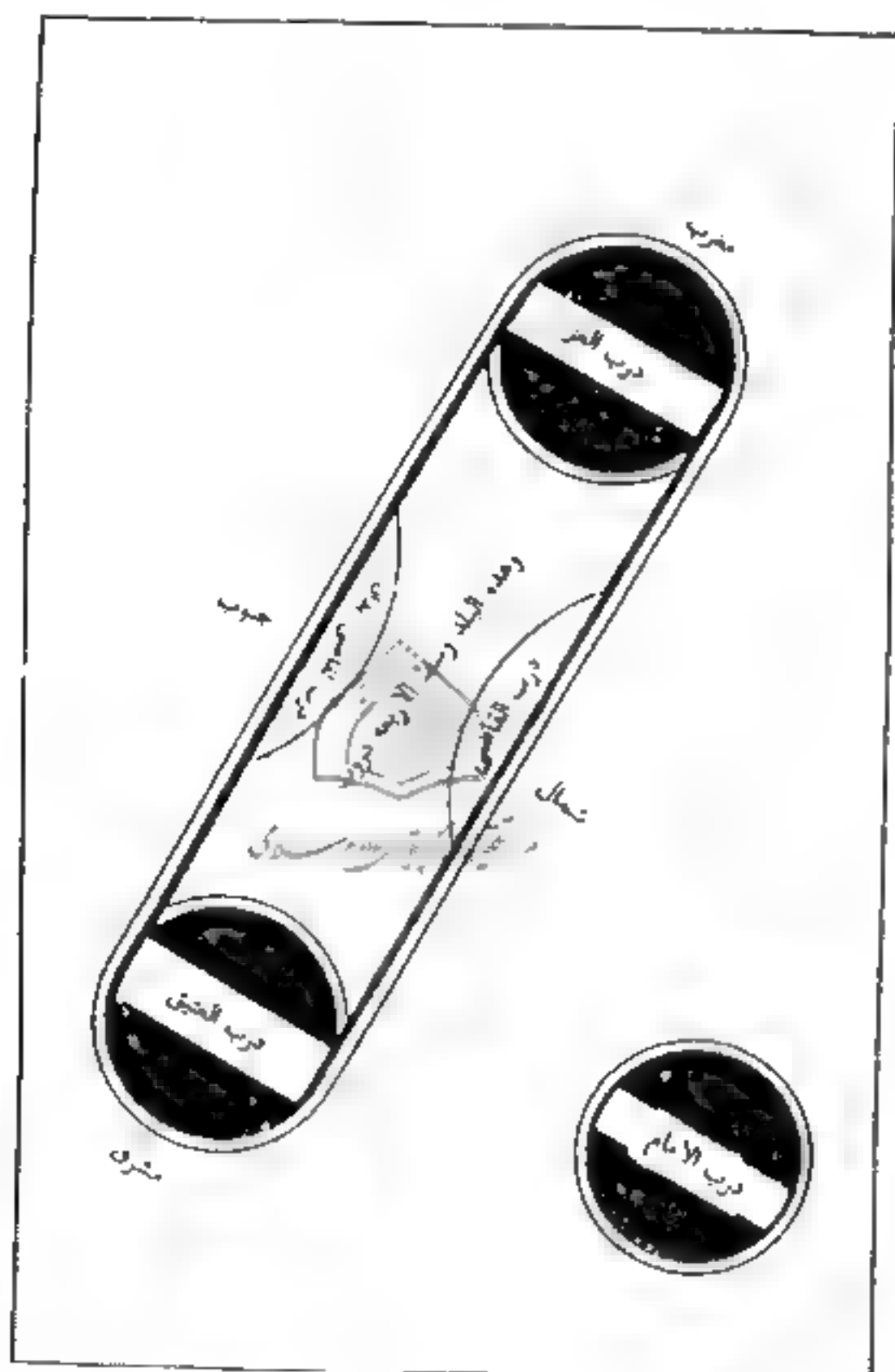
بناء صعدة. بناء الشرف

بني في دولة الإمام أبي موسى محمد الأمين بالله، أمير المؤمنين، ويقال: بني قديم بناء الجاهلية، والأصح أنه بني في أيام بناء صعدة صعاء، ولا شك أنها بناء

سام بن نوح، عليه السلام، وأما صعدة هذه فإنها لما خربت صعدة القديمة وتم على أهلها ما تم ثم جاء يحيى الهادى بن الحسين أراد بناء مسجد فى هذه الأرض فجاء إليه تاجر فقال: وكلنى على بنائه، فوكله وبنى التاجر المسجد، فلما فرغ بناؤه قال له الهادى: أحسبت حساب الخرج؟ قال التاجر: معاد الله أن آخذ على بناء بيت الله أجرة وثمنًا.

وسكن الهادى يحيى بن الحسين المسجد بمقامه فصكت معه الخلق فكثرت الأمم فبوا مدينة وأسواقًا ودورًا وأملاكًا، فبما رأوا ذلك أداروا عليه أربعة دروب: الدرب العتيق، ودرب القاصى، ودرب الفر، سى فى أيام سيف الإسلام طعنتين بن أيوب، ودرب القاضى بن زيدان، ويحوى هذه الأربعة الدروب درب واحد وهو السور، وركب على السور باب القرب العتيق وبناب على بن قاسم، وبناب درب المعمر، وبناب درب القاضى أمير زيدان، وبناب حوث، وبناب درب الإمام، وأما درب الإمام فهو حصن بناه أبو محمد بن عبد الله بن حمزة ما بين الشمال والمشرق منفردًا ببلاده لم يخالطه شيء قريب من البلد لم يسكنه إلا الإمام وعترته.

وصورته على هذا المتوال فى الصفحة الثانية التى بعد هذه.



وأما البلد فإنه عامر كثير الحلق والنجير ذات معاش، وشربهم من الأنهار والأعين وزرعهم الحنطة والشعير، ذات أشجار وأنهار، ولبسهم الحرير والقطن لأن البلاد طارها حار بالمرّة وباطنها حار لين، وهم قوم أحبار يدعون الحكمة ومعرفة الجواهر والعلوم العلوية، وهم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب جميعاً، وهم شوكة القوم في المذهب.

فصل: حدثني علي بن محسن الجلي قال: إن بني العباس لم يهّب أحداً إلا الريدية، قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن السنة والجماعة من حزب الأئمة بني العباس، ونقول الشيعة والإمامية: لا الإمام إلا من صم العصي وأرق العصي، وهم مع ذلك ينتظرون خروج الإمام المنتظر محمد بن الحسن، فهم الآن يفرقون من الصريقيين، وأما شوكة البلاد فهم الزيدية، لأن عددهم كل إنسان عفيف متدين شريف من آل الحسن بن علي بن أبي طالب يكون فيه خمس حصص فهو عددهم إمام واجب الطاعة، فكل من قام على هذه الصفة قامت الريدية معه وقاتلوا بين يديه، ووقع أحمد بن عبد الله من حمزة بحرارة ساج في نواحي صعدة وظهر لهم في جملة ما ظهر لأربعمائة زردية داودية غير السلاح والمعدد ووقعوا بمطلب ذهب، ولكن ما صح لهم منه شيء، لأن عليه طلسم لم يمكنهم الدخول إليه ستة أربع وعشرين وستمائة.

من صعدة إلى ذهبان

من صعدة إلى الحوانيت أربع فراسخ، بناء أسعد الكامل في وادي سجع، بني

هذه الحوائيت، سكنة لما عزم أن يعمر نقل حرف العراق، وإلى خطم البكرات فرسخان، ويقال: إنما عرف هذا المنزل بهذا الاسم لأن عفريتاً من الجن قال لرميم ابن جابر الشاعر: أشدني بيتاً وأنشدك مثله حتى ينصر من يعلب صاحبه، على شرط أنك لا تذكر في شعرك الديق، قال نعم، فما زال هذا يقول بيتاً وهذا ينشد صاحبه مثله حتى صجر رميم بن جابر فقال:

وديك أحمر سليمانى ما يلقى بحافته جنى ولا حيث يُسمعُ

فلما سمع الجنى ذلك طار في الهوى وورل أخذ صيدح بكرة رميم بن جابر فصيحها قطع قطع، فلما رأى رميم ذلك حزن على بكرته وصار يبكي ويقش صورته في الأحجار، فما في هذه الأمكة حجر إلا وفيه صورة الباقعة، فعرف الموضع بخيم الركاب، وفيه يقول:

فما في الصبايا مثل ميا صبية ولا في المطايا نصوة مثل صيدح

وقال أيضاً:

وأصبح في ثقب المشورة قاعداً وصيدح ترعى بين عيسر قاعس

وإلى القليم فرسخان، وهو موضع قوم كما قال:

امسى قومي بلحى وغادرني كريم وعادسا يام^(١) أرى القليم

وهذا يام بن أصنع وسكنهم بوادي الحائق والحقة، وإلى ملتقى الأودية فرسخ، وإلى غسيل جلاجيل فرسخان، وإلى المحصف فرسخان موضع قوم، وإلى البصرة

(١) يياض بالأصل

فرسخ، وإلى وادي نقوص فرسخان، وإلى الجبل الأسود فرسخ، وإلى المسرات
فرسخان، وإلى رفيدة فرسخان، وإلى طريب فرسخان، وإلى ذهبان فرسخان، وتسمى
هذه الأعمال بيضة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل يرجع إلى نزار.

من صعدة إلى تجران

من صعدة إلى زهران ثلاثة فراسخ، وهو لابن ملك لآل عبد الله بن حمزة لأنه اشترى أراضيتها من أربابها بيعاً وشراءً، وكان لقوم يقال لهم: الأقشور رأس الركب، وإلى الحد ثلاثة فراسخ، وإلى الركب ثلاث فراسخ، وإد عظيم يجرى على صفا، وإلى الحائق ثلاث فراسخ، نخيل وماء جارٍ أوله يجرى من الركب، وإلى كوكبان فرسخان، ومنه يخرج إلى نجد، ووطئ هذا الحصن ما بين نجد وجبال الحس، فهو حصن مانع سرير ملك نجران، وإلى القحطوبع فرسخ، مدينة الأصل نجران، وعليها المعمول في البيع والشري، ويقسم أهلها على ثلاث ملل: ثلث يهود وثلث نصارى وثلث مسلمين، فالمسلمون الذين بها يقسمون على ثلاثة مذاهب: ثلث شافعية وثلث زيدية وثلث مالكية، وهي المدينة التي كانت لأصحاب الأخدود وهي التي قال الله عز وجل فيهم: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ (١).

والی قابل ربع فرسخ، والی حبونا أربع فراسخ، والی قرقر أربع فراسخ، والله أعلم.

(١) الآيات: ٤ - ٦ من سورة البروج.

صفة مدينة قرقر

حدثني الراوي أن قرقر كانت مدينة عامرة بها ثلاثمائة وستون محلة فيها ثلاثمائة فارس، خربت لاختلاف الأمم.

فصل: وجد زيد البدوي عمرو القرقرى قاطناً ساكناً في فلاة نجد مع البدوان فقال زيد لعمرو: ما لى أراك في جوب نجد بعد أن كنت في أكاف قرقر بألف غزير غدوت الآن أراك رد الشرء، فأشد عمرو القرقرى يقول:

أحب دخولا بين أدوار قرقر وبمنعنى دين على ثقليل
ولو كان ديتى يقضى لقصيته ولكن دين القرقرى قتيل

وكان يقوم تحت قرقر سوق تسمى للمعنيين وما عرف هذا السوق بهذا الاسم إلا أن مشايخ العرب كانت تقيم بهذه السوق جامود ذهب وجامود فضة يعرف السوق بهما، ورجع الآن سوقاً للعمل بين أرض قمر تزرع به وتحرق، فراح الحسم وبقي الاسم.

ولاتها قوم يقال لهم: بنو عبد المدان، وهم قوم شداد بن عاد، اللين القياد، ذو الجياد، وفيه أنشد بعض العرب يقول:

ولولا بنو عبد المدان وخيلها لحلك يا نجران بعض القبائل
وقال آخر:

أست تعلم أن قلسي يحبك أيها البرق اليماني

لئن أقتلكم قتلًا دنيًا فلا شيع يدب على البنان
وإن أقتل فمقدور ولمت وفي قومي على مرج الحصان
وإن أقتل فقد قتلت قريش وقد قتلت بنو عبد المدان

والقوم لا يطيعون لملك الغز ولا لسلاطين العرب، وآخر من تولى من بنى عبد المدان أخوان يقال لأحدهما: القاصي، وللثاني القاضي، وفي عهدهم دخلت عليه يد الأمير محمد بن عبد الله بن حمزة معهم حتى صار يصل إليهم نصف دخول البلاد، لأن الأمير محمد بن عبد الله وأخاه أحمد ولدى عبد الله بن حمزة تزوجا بأخوات القاضي والقاصي ابني صميب بن عدنان بن عبد المدان سنة ثلاث وعشرين وستمائة.



صفة بئر الصفر

أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أن تحفر بئر في بعض أعمالها ذات عمق وسعة وطول وعرض وأن يطوى بالصفر المصبوغ منه شبه الآجر ويبك فيما بينه الرصاص، فُبَيَّتَ الشر، على ما تقدم ذكره، وهو باقٍ على حاله. ويقال ما بناء إلا رجل من وجوه العرب في زمن الجاهلية فاندثر واستتر مع طول المدى، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأعاد بناءه فبقى على ما تقدم ذكره، والبئر من جملة المعجائب.

صفة نجران تهامة

من حرض إلى قرار ثلاثة فراسخ، وإلى نجران فرسخان، وهي قرية محتصرة ويسكن أهلها في إغصاص بعكس بعض وهم في التعصص يتجرعون العصص ويقرأون القصص، وإلى الحاة ثلاثة فراسخ، وإلى حذب أربع فراسخ.

فإن قال قائل: كيف يفرق بين الاسمين؟ قلنا: هذه قرية محتصرة تحت تهامة اليمن خربة، والثاني إقليم طويل عريض عامر تحت من شمال نجد اليمن وسرير ملكها، فهذا علام وذاك سلطان، وهذا كرة وذاك ميدان، ويسمى إقليم نجران وادي سوحان.

قال ابن الجاور: دل على أن هذا الإقليم ساء العجم لأن دار بهمس بن اسفديار في أعمال المدائن مسمى يسمى دار ريحان، ولا شك أنه هو الذي بنى هذا الوادي ويسمى على الاسم المقدم ذكره في أعمال المدائن سوحان.

وفيه أنشد رميم بن جابر:

شبهتها قوس شريان مجزعة	مما يَلْتَذُّ بها الرامي فبحيها
شبهتها مهرة عذرا محجلة	عد الملوك ليوم الروح ساريها
شبهتها جَوْنَةٌ مال النسيم بها	الطل من فوقها والهريسقيها

ووادي العلام كما قال بعضهم: ونجران وادي الحسف ووادي العلام.

قال ابن المجاور: وما اشتق اسم الحسف إلا من الحصب وأراد بذلك وادي الرفاء، ويهب بها ريح الطرف مدة اثنتي عشرة ليلة فيهلك الزرع والكروم، وفيه بعض الأعراب يقول:

وقد سلمت نجران في الطرف لم يزل
ببحران منها قبة وعروش

وبعضهم ينشد لرميم بن جابر:

وليلة من ليالي الطرف مظلمة سودا جمادية قد بت أسربها

فصل: قال أبو بكر: ما ببحران مأخوذة إلا من قولهم بَحَرْتُ الناقة إذا شقت أذنيها، والبحيرة مشقوقة الأدين، قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ وهي الناقة التي وهبت عشرة بطون ^{سائبة} فلم تُركب ولا يُجر لها وبر ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ والوصيلة الشاة إذا وهبت ستة بطون عاقين وولدت في السابع عاقاً وحدياً، فيقال: وصلت أحاًها يحلون لها للرجال دون النساء ﴿وَلَا حَامٍ﴾^(١) وهو الصحل من الإبل إذا لقع ولده ولده فلا يُركب ولا يُجر له وبر ولا يُمنع من مرعى، والله أعلم.

القول في زوال ملك آل حمزة

وحصولها لبني الهادي...^(٢).

(١) الآية: ١٠٣ من سورة المائدة.

(٢) يباخر بالأصل.

فصل: ويسمى الفحل عد الحرب، العر ورهانه أنه إذا أوجعه موضع أو ثار عليه هواء أو داء يحتاج الكي يؤخذ بعير غيره يكوى فوق الريح وتكون العر واقفة تحت الريح بحيث يصل روائح حرق الكي إلى العر فحينئذ يبرأ من دائه ويصح، كما قال السابعة:

وحملتني ذنب امرء وتركتني كذي العر يكوى غيره وهو رافع

ولم لا يكون لحليب الإبل زيد؟ حدثني فاطمة بنت علي بن مسعود قالت: سألت امرأة موبلية من أهل اليمن عن هذه قالت: إن الأوائل كانوا يستخرجون الزيد من لبان الإبل ثم قالوا: تتركه، قال: لأن امرأة حاصمت ولدها فتعاطى الولد في الحدف فحذف الصبي حجراً إلى صوب أمه وكان في يد الأم كبة زيد من حليب النوق فرجمت بها ولدها فوقعت **كبة الزيد** وهي جامدة كالحجر على مقتل الصبي فمات، فلما جرى هذا الأمر باغت مشايخ العرب في قاتلها على ترك محض لبن النوق بالمرءة، فقالوا: تتركه إلى الآن.

وقال حكيم: إذا دهن زيد رأسه من دهن الإبل لم يقلعه شيء، ولم ينظف الشعر إلا إذا حلق الشعر لأنه عليظ بالمرءة.

ذكر طريق الرضراض

كان من نجران إلى البصرة طريق الرضراض وكانت المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام، وقد بنى على حد كل فرسخ منه ميل بالآجر والجص، من بناء عمرو بن معديكرب الزبيدي، والأصح من بناء العمان بن المنذر لما خرج من

أرض اليمن طالباً العراق، والأصح أنه بناء سف بن دى يزن لما خرج إلى ناحية العراق واستنجد بكسرى بن قباد بن يزدجرد بن هرمز ملك من ملوك الفرس، والأصح إنما بنته عرب جاهلية لما سكوا أرض نجد لأنهم كانوا في تلك الديار شبه السوس في الأرض والاموس الحضر.

وأما المناهل التي كانت في المنازل قديمة الحفر، وبني الباءون قصوراً من باب صنعاء إلى العراق واحداً من حد الآخر، فإذا كان حوف في اليمن أو فرح حس أشعل على أعلى دروة كل قصر وكان يصرونه في دروة قصر في مواس بعل عجيب فكان يصرونه في حصن قمر الجبل ومنه كان يدخل نجد.

وقد بنى في نجد قصر قرب قصر ولعان، وفي الصعيد من أعمال صعدة، وكان يشعل في ولعان وكان يصرونه في قصر فول الحيت، ومنه كان يدخل نجد وقد بنى قصر في قرب آخر من أعمال العراق فكان إذا أصبح الصباح يصيح الحبر عند أهل البلاد ما نجر من حبر وشروى ونفع وصبر، كما قال.

يلغ الصارخ العراق بيوم وفي مدى ليلة تأتى المفسر

ذكر انقطاع طريق الإضرارض

حدثني محمد بن سلامة بن محمد بن حجاج قال: ركب امرأة لبعض البدوان، ويقال: بنت عمرو بن معديكرب، ركبت أناً على نحى سمن، أي ظرفين، فبينما هي غادية إلى العلا صادفها عابر طريق وسالك سبيل فراودها عن

نمساها فأبت أن تطيعه، فقال لها إن كان ولا بد فامسقني سمناً، فقالت له: أهلاً وسهلاً، اشرب! ونزلت بالطرفين فحلت رأس أحدهما فشرب الرجل منه شيئاً وقال لها: ليس هذا سمناً طيباً، ففتحت له اشأني فشرب حاجته وقال لها: أمسكي، فأمسكت الطرفين، فحيث قام وكشف وراءها وحامعها والمرأة خائفة أن تخلي السمن يتبدد، وما زالا على حالهما إلى أن فرغ منها، فشدت رأس النحيين، أي الطرفيين، وأركبها أثنائها ومضى ومضت وراء شعلها، وتم الرجل على ذلك، فعلم أبوها، ويقال: أخوها، عمرو بن معديكرب، الخبر فجاء وسدد الآبار وهدم الأميال ونقض القصور ليقطع سلوك الطريق، فلما طم الآبار سقى الرمل فظهر ما بقي منه وانقطعت الطريق، وعرفت بذات النحيين، يعنى المرأة والطرفين، والله أعلم وأحكم



ذكر الفيض

وهو رمل شبه دقيق السميد دون أعمال التعيم مما يلي طهر اليمن، لم يقدر أحد يسلكه لرفعه، مسيرة هذا الرمل شهر كامل ويقال: أيام، وهو الذى يسمى رمل عاليج، وهو الرمل الذى هو على شفا طريق الرضراض قطعه بعد أن معه، ويقال: إنما دخل سيف بن ذى يرن إلى العراق وورد إلى اليمن بعساكر الفرس إلا على حده، وكانت المسافة فيما بين الإقليمين سعة أيام، ويقال: عشرة أيام، على ما تقدم ذكره.

ويقال برأية أخرى: إن عمرو بن معديكرب كان وراء الفلاة مع الطعن لما سد الآبار سقى السافى طم ما بقى من الباقي وحاء فى حلق عظيم ملك صعدة

بعد أن أحرقها، وقد تقدم ذكر حرابها، فبما حربت المدينة بنت العامة موضع الحراب بعينه، ويقال: بل قريب منه، والأصح أنه بُني في أوسط الحراب وقالوا: ترك الأطراف ويقال: إنما غرَى القوم إلا بدوى من ذات الأكيك وذات الحرمل، وفيه يقول عترة:

طال الشوى على رسوم المنزل بين الأكيك وبين ذات الحرمل

فلما صابق على البدوى الأرض أسفى الأرض في ديارهم خرج إلى الحجار وقتل على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، كرم الله وجهه.

ويقال: إنما ينتقل الإنسان من مكانه لأربع خصال: لرزق يستوفيه، أو لموت يقتضيه، أو لسعادة تأتبه، أو لشقاوة تستوليه.

حدثني هشام بن مسعود النجاشي في دار الإمارة قال: إنه كان هذا الطريق ينفذ إلى الكوفة، أو قال: إلى البصرة، وكان أهل اليمن يسافرون إليه بالحمير وعليهم الأديم إلى إحدى هاتين المدينتين في العام مرتين، قلت: وعلى أى الأمكة كان مسلكهم؟ قال: على اليمامة والحساء والبصرة، قلت: ومتى كان عهدكم بعمرانه؟ قال: سنة عشرين وخمسمائة وقال:

لما رأيت سلوى غير متجه وإن غرب شفاى عاد مفلولا
دخلت بالرغم منى تحت طاعتكم ليقصى الله أمراً كان مفعولا

وقال آخر:

سألت الناس عن خل وفى فسألوا: ما إلى هذا مهيل
تمسك إن ظفرت بؤة حر فإن الحر فى الدنيا قليل

صفة إقليم نجد

نجد أرض عالية ذات أكام لطاف، حرة الأرض صافية، الجو معتدل موافق لمن سكنها ودخلها، وبني فيها الأوائل أربعين قصراً مجتمعاً، والأصح مقاربة، تسمى في العراق قصور نجد، وتسمى عند أهل البلاد السكيت، ويقال: معاصم، بني بالحجر والجص ذات أكام ومكة للربيع بن زهير وعمرو بن معديكرب وعتر بن عمرو بن شداد.

قال الرازي: كنت أدور مع البدوان في فلاة نجد فجدد بين شجر الأراك أباراً طوبت بالحجر والجص، وقد أدخل في جملة الساء أحشاش الساج، وكنا نجد الكرم حاملاً بالعنب ألواناً مختلفة وسحلاً حاملاً بالجلال وشجر السين والمروح والإجاص ومن جميع العواكة.

ولا شك أن هذا الإقليم كان عامراً وفيه يسائر عمرت على تلك الآبار، وجميع ذلك موجود في أرض نجد على ما ذكرنا، ما دما منها وما قرب، والله عز وجل أحكم.

صفة ماء الهبَاء

والأصل فيه على ما ذكره الرازي أن الهبَاء هو عليم طويل عريض عميق ليس فيه قرار لأحد من شدة جريان السيل يزل من حال عظيمة عالية شامخة، وفيه يقول القائل:

يا جمال الشام يا شمع الذرى أقسواطى بلاك الله بالمسحلى
 ويجرى منه إلى وادى إلى الأرض، فمن حدة جريانه مع طول المدى حفر
 الأرض إلى البيوت وكثرت عليه السيول وأملئ ماءً فرجع بحيرة ما يقص منه الماء،
 ولو عرف منه أهل البادية وسقى واستقى منه الأموال والنعم لما نقص منه الماء
 ولا بان منه مقدار إصبع، وفيه قتل قيس بن زهير بن جذيمة بن أبي سفيان أولاد
 عمه لأنه وصل إليهم فوجدتهم يسبحون فركب السيف عليهم وقال: إن ماء الهباءة
 أودنى النمل ورحت ظالماً أو مظلوماً، وقال:

شفت النفس من حمل بن بدر وسفى من حذيفة قد شفانى
 فإن أك قد شفت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بنانى

وبها قتل عترة بن زينة أربعين قاراً من رحوه العرب
 وهذا الماء مجتمع القتائل والفتى، وبهذه الأماكن مسكن عترة بن رية وقيس
 ابن زهير وعمرو بن معديكرب وغيرهم من كبار العرب ومشائخها ورؤسائها.
 قال الراوى: ونجد فى فلاة نجد، حيث لا عمارة ولا مسكن، قبوراً بيت بالآجر
 والجص ألوف مؤلفة لم يعلم أهل زماننا لمس تلك القبور، وعن محمد بن
 أبى حامد قال: حدثنى أبو بكر الشاعر أنه قرأ على قبر:

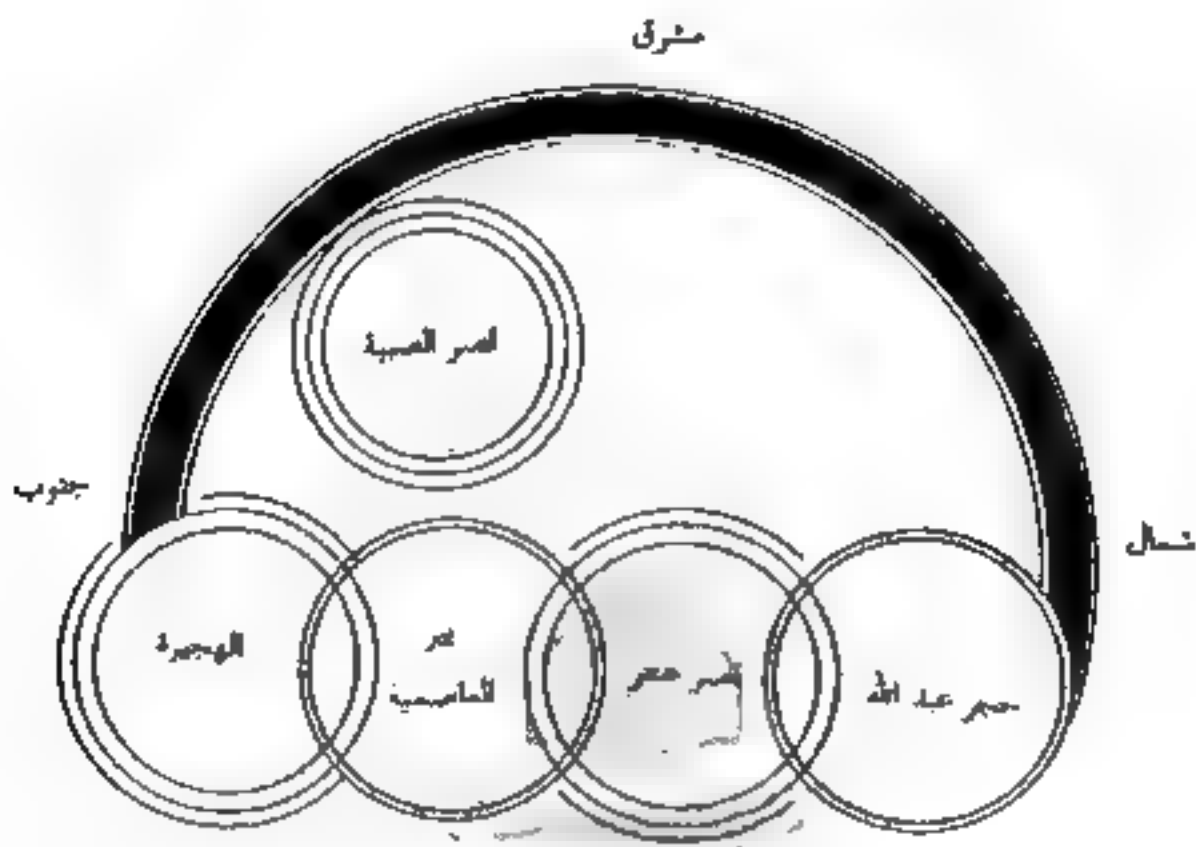
الموت أخرجنى من دار مملكتى قالترب مصطفى من بعد تتريفى
 لله عبد رأى قبرى فاحزنه وهاب من دهره ريب التصاريف
 هذا مصير ذوى الدنيا وإن جمعوا فيها وغرهم ريب التساوف
 استغفر الله من عملى ومن خطئى وأسأل الله عفواً يوم توقيفى

ومن جملة القصور حجر عبد الله، قصر بُني على أكمة عالية بالحجر والجص والآجر والجص وبعده بالآجر والجص، وبعده قصر عتر بُني بالحجر والجص والآجر والجص بناءً وثيقاً محكماً، وبعده بئر العاصمة

صفة بئر العاصمة

بُنيت على أربعة وعشرين عموداً، ستة أعمدة مقابل ستة، وهي مربعة وطوى ما بعده الحجر الرخام طول كل حجر منه عشرون ذراعاً بالجص مدرج ينزل إليه بدرج، ومن يوم بُنيت إلى هذه العناية ما بزفت ولا وجد لها قرار، وهو بناء عجيب لب أعمال ملات، وبعده ملبة الهجرة تحرب البلد وبقي في أوسطه القصر عامراً ساكناً بأهله، وقد حفر في أوسطه بئر **بروي** **من العرب** إبلها وطمعها

ومشرق العاصمة قصر الصبية **والنخل مستبدل بحول** القصور ليسكن بل ويدخر متاعهم من السمن والأقط كل ما يصل إليهم سبله، وهو على هذا الوصف، والله أعلم.



ذكر أودية نجد

الحساء واليمامة وتحت منه الأكيك ودات الحرمل، وهذه الأماكن أودية مشرفة، والمواهل والعويهل سمن وسهل وجاش وعشرون الرمل ما بين نجران والهجرة ووضع ما بين الهجرة ومكة، فإذا كان فصل الغيث سالت الأودية والسيول، فإن كان أيام الجحر حفر الإنسان بيده نبع عليه الماء شرب وأروى طعته وكل يطلب أرضه وفلاته بروايا المعلة، وفيه يقول:

لولا شفاهاذا طراز زمانها وحمل الروايا كان من جاء بفرس
وقال آخر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقنام قتال
وهذه المشرة الأودية إذا مطرت حرت في فلاة نجد ويصل أواخرهم إلى البحر
المالح.

ذكر الكرم

قال حكيم - الكرم هو عشرون دينار، قيراط منه للعرب وأربعة قيراط منه في
سائر الأمم والعالم، والبحل هو دينار وعشرون قيراطاً منه في الروم، ويقال: في اليهود،
والأصح في المصارفة، وأربعة قيراط منه في سائر العالم، ويقال: أول من أطمع
الكسرة إبراهيم الحليل، عليه السلام، فهي ستة، ويقال ثلاثة هم أصحاب
الأعراف: أبو طالب لتربيته النبي ﷺ وأبوشروان لعذله، وحاتم لكرمه. ويقال إن
بعض العرب شرع في طعم الكسرة وأراد أن يعادل حاتمًا في زمانه فجاء إليه ضعيف
يطلب منه فأعطاه ما سأل فرجع السائل إليه ثاية وثلاثة ورابعة وخامسة، فقال
المدعي: يا أخى، كف فما أنت إلا قليل لوفاء كثير الجفاء، هذه لك خامس مرة
أو سادس مرة، فقال السائل: إن كان حاتم بنى قصرًا وفتح به أربعمئة طاقة، والله
إني كنت أدخل في كل يوم من كل طاقة أربعمئة مرة بلا عاقبة وكنت أكون في
الأول شبه الساقية، كما قال:

أجاء جميل مرة بعد مرة وما الجُودُ إلا عادةً لجميل

فلما سمع المدعى كلام السائل قال بترك ما كان قد أسس من بناءه
المجصص، وكان حاتم طيئ إذا قدم الزاد قدام الصبوف وفصل منه شيء لم يرده
إلى منزله، بل يخليه على حاله، كما قال:

رحلنا وعرفنا على الأرض زادنا وللظير من زاد الكرام نصيب

وأما عرب القفلة فلا يتغذى أحدهم إلا قرب الظهر ولا يتمشى إلا قرب نصف
الليل وما يؤخرون الغداء والعشاء إلا لأجل الصيف الذي يقدم عليهم، فإذا وصلت
قافلة إلى حلة عرب يخرج أهل الحلة إلى القافلة بمسك كل واحد منهم ثلاثة أربعة
أنفس من أهل القافلة، وكذلك من يكون في البيت من النساء والمعائز والأطفال،
وكل من يكون قبل النهضة ينادى بأعلى صوته: إلى يا وجوه العرب بارك الله
فيكم، ويشير بيده إلى الإنسان، فإذا حضر عنهم رجل عربي القدر بصر عليه رأس
إبل، وإن كان غابر سبيل يذبح عليه شاة، وإن كانوا جماعة والضيافة لرجل واحد
من بين القوم يقدم صاحب الدار قدامه الزور والآلية، يعلم من حصر أن الدعوة
لذلك الرجل الواحد والباقون طعمية، والمستورون يأخذ صاحب الدار رغيف يكسره
ثلاث أربع كسر يرميه قدام إنسان، تكون الدعوة لذلك الشخص، ويسلق اللحم
بالماء والملح ويثرد الحيز ويقلب عليه السمن الكثير فيشرب اللحم بالمرقة ويفرق
جميع اللحم على الشريد، وهذا طيبخ العرب خاصة يسمونها الهريسة.

فصل: نزل جماعة شعراء على رجل من الأعراب في بركة قفر مقام الأعرابي

يجزر على القوم بعيراً كان عنده فأضافهم تلك الليلة، فلما انبسط القوم في الحديث

قال الشعراء للأعرابي: من أي البلاد أنت؟ وكم أنت في رجل؟ وكم معك من المال؟ فقال لهم الأعرابي: أنا رجل غريب مازل هذه الأرض، وما لي من المشيرة إلا امرأة عجوز، وما لي من المال سوى الجمل الذي بحرته عليكم، كما قال:

الجود طبعي ولكن ليس لي مال وكيف يصنع من بالقوت يحتال
فهناك عطى إلى أيام ميسرتي ديناً على ولي في الغيب آمال

حكاية

عن أبي عمرو الدمشقي قال خرجنا مع أبي عبد الله بن الجلال إلى مكة لم نجد ما نأكل فرفعنا إلى حي في السرية وإذا فيم الحي أعرابية عندها شاة فقلنا لها: بكم هذه الشاة؟ قالت: بحمسين درهماً، قلنا لها أحسنى قالت: خمسة دراهم، قلنا لها: تنهرين تنهرين، قالت: لا والله، ولكن سألتصونني الإحسان، ولو أمكنني لما أحدث شيئاً، قال أبو عبد الله بن الجلال: أيش معكم؟ قالوا: ستمائة درهم، قال: أعطوها واتركوا الشاة لها! فما سافرنا سفرة أطيب منها، والله أعلم.

ذكر ذمام العرب

إذا أمسك عربي لصاً أو ربيطاً أو من يكون له عليه دم فإن أكل الربيط في بيت صاحبه تمرًا أو لحمًا قتله بعد يومين وليلتين، وقيل: بعد ثلاثة أيام، ويقال: بعد سبعة أيام، وإن أكل خبراً قتله بعد يومين وليلتين، ويقال: بعد سبعة أيام، وإن شرب

ماء في يته فبعد يوم واحد، ويقال: بعد ساعة واحدة، وإن شرب حليماً حرم عليه دمه بعد ثلاثة أيام بلياليها، ويقال: إن السلام يكون في ذمامه إلى أن يغيب كل عن صاحبه، فإن سلم عليه صاحبه بطل حقه وأمن من جميع ما يكره، قيل: ولم ذا؟ قال: لأن اللحم يبقى بمعدة الإنسان يومين وليلتين، ويبقى الخبر يومين، وليلة، ويبقى الماء يوماً واحداً، والسلام ما يغيب عن النظر، فما تقتضي المروءة أن تقتل إنساناً وخبرك في أمعائه.

فصل: هجا دعبل بن علي الخزازي المطلب بن عبيد الله الخزازي، فلقبه المطلب في طريق فقال له: سر معي إلى منزلي، فذهب به، فلما دخل قال: والله لأقتلك شر قتلة، فقال له دعبل: لا تقتلني وأنا جائع، أشبعني وافعل ما شئت ﴿ستحدثني إن شاء الله من الصابرين﴾^(١) قال له: ما أحسن ما طلعت السجاة! إن أطعمتك وجبت المحرمة والأمان، وإن لم أطعمك بخلت أي بخل، فقال دعبل والله لا ذكرتك بعدها بسوء أبداً، فأطلقه وأحسن جائزته.

وإذا عض الذي عليه الدم ذيل امرأة أو طفل يحرم ذنب المذنب على صاحبه، فإن هرب الذي عليه الدم إلى بيت إنسان استجار به، فإن عفى عنه صاحب البيت الذي حرى بينهم.....^(٢) وحكى أن قوماً استجاروا بحجر بن مهلهل فأجارهم من الهواء وبني لهم سوراً من الحجر والجص ونصب على السور سرادقات من الأدم ولم يحل الهواء يهب عليهم.

(١) الآية: ١٠٢ من سورة الصافات.

(٢) يراعى بالأصل.

فصل : نزل سقاء بشرًا بطريق مكة يروح منه الماء في الدلاء لقلته فرحل الحاج على عجلة وبقي السقاء مكانه ثلاثة أيام بلياليها، فبعد انقضاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه فطر الأعرابي السقاء في قرار البئر فاستقى وسقى حصانه وشرب واستخرج السقاء من البئر وأردفه وراءه وسار به غير بعيد إلى أن وصل خبت قفر ليس به مما خلق الله عز وجل من المخلوقات سوى فرد حي، أي بيت شعر له، وفي الحي امرأة واحدة، وهي زوجته، فقامت المرأة وغسلت يد السقاء ورجله بماء حار وأدقته، وبام السقاء واستراح، فلما استيقظ وجد طبعًا حارًا فتعشى وشبع ونام صاحب البيت وزوجته إلى الصباح، فحرح صاحب البيت أسرج وألجم وركب حصانه وعدا للصيد، وبقي السقاء عند المرأة تهتم بحاله وتدور في أموره إلى أن نفاق في وصع مما به، فلما دار الدم فيه فتح عينيه، وقلم صاحب الحي عند اصفرار الشمس وأحضر بين يديه الذي روفه ^{أفهم} كبحانه من الصيد طحًا أو أكلاً جصًا، وبقي السقاء على حاله مدة ثلاثة أيام على الرسم والعادة، وفي الرابع شبع ونعاه واستراح، فمد عينيه إلى المرأة فوجدتها صورة عجسة فطالت يده مع قصر رجله في مثال ذلك المكان وراودها عن نفسها مرارًا فنهته فلم يته، فقام معها بالكلية وقامت معه بالمية، فلما أبصرت المعينة عين الحقيقة قامت إليه فمسكته وأدارت كتافه وشدته في حوار كلب كان عدها

فغيبهن من تسوى ثمانين بكرةً وليهن من تسوى عقاب بعيرٍ

وفيهن من لا يبيض الله وجهها إذا قعدت بين النساء بزيرٍ

فلما رجع زوجها نظر الحال غير الحال فقام إليه وحله وقدم إليه ما حصر، وبقي يراودها عن نفسها ثلاثة أيام متواليات وتفعل به الدست

قال ابن المجاور: ولا شك أن هذه المرأة كان طالعها بالسنبلة، كما ذكره أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب التمهيم في علم التنجيم: أما الحمل والثور والأسد والسنبلة والجدى والحيوت هندوات شق وحرص على النكاح، وفي الميزان والقوس شيء من ذلك، وأما في أمور النساء فالثور والأسد والعقرب والذئب فبال على عفتهم وحصانتهم، والحمل والسرطان والميزان دال على فسادهم، والجوزاء والسنبلة والحيوت على توسط ذلك فيهم والسلة أعف

فلما عر [كذا] الحد عن الحد قال البدوي للسقاء: إلى أين تريد أوصلك؟ قال إلى الكوفة، فشد على حصانه وبمسه وركب وأردف السقاء وراءه وسار به يومين وليلة إلى أن أشرف به على بحد الكوفة، فلما برل البدوي السقاء عن حصانه ودع كل صاحبه، فحيث قال البدوي: **بِالله عليك** إلا ما كحمت بحالك معي، أعد الله جزاك خيراً، كما قال:

لا تضيع فعل الجميل تضيعه إن أصطمت لدى خطا وديوب
والشوك لو تسقيه ماء الورد ما ..^(١) ويحمل الخرنوب

وقال آخر:

ليس الكريم الذي إن رل صاحبه بث الذي كان من أسراره علما
إن الكريم الذي تبقي مودته ويحفظ السر إن صافي وإن جرما
وقال آخر:

لا يجلسن مع السفيف فإنه بفساده لصالح أمرك يذهب

(١) يأس بالأصل.

ولقد ظفرت بيوت خمر قاله بعض من الأعراب وهو مهذب
ما ينفع الجرباء قرب صحبة منها ولكن الصحبة تجرب

ولماذا يقال: جراد نجدى لا يأكل الحشائش ويشم أطيب الأهوية ويشرب
أطيب المياها ويتربى في أطيب الأمكة ويرجع دواء لكل داء؟ ويقال: إنه يظهر في
نجد من أعمال تسمى الدهناء، والموضع هو مشرق البحر، وقال آخر: بل هو يخرج
من البحر بإذن الله عز وجل

قال ابن الجوزي: وهو قريب من المس والسلوى يرل على شجر الريثون بجبال
الروم وغيرها، والسلوى هو طير يجيء إلى دمياط على وجه الأرض، وقد تقدم
ذكره، ولم يعلم من أين يأتي، وكذلك الجراد يأتي من علم الله عز وجل، فإذا غرس
الجراد في الأرض وأفسس يسمى المرحل، فإذا بكب على وجه الأرض يسمى
الدهاء، فإذا طار يسمى الجراد.

وقال رجل من المفسرين: إنه كتب على جناحه اسم الله الأعظم فلذلك يقدر
على الطيران ويتسلط على أكل الزرع وغيره لأنه جدد الله عز وجل سلطه على
بلاده وعباده.

فصل: نزل الجراد في قرب قبيلة زيد ونزل الجراد قريب قبيلة عمرو، فقام
أهل قبيلة زيد وقالوا لأهل قبيلة عمرو: ها نحن نصيد جرادا احتمي بكم، فلما
سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت: لا سمع ولا طاعة، ولا نمكنكم من صيد جوارنا،
فقام القتال بين الفريقين، وما رالوا على قتال إلى أن قتل جميع هاتين القبيلتين،
وأشدد بعض أهل قبيلة عمرو يقول:

ومنا من أجاز جراد نجد وحرمه على المتصدينا

فصل : مرض زيد مرضاً شديداً إلى أن نعت الأطباء من علاجه لقله ملاقاته أدوية، فلما أشرف على الهلاك قال الطبيب لقربته: أطعموه ما اشتهى وأراد فإنه من الهالكين ! وصار المريض يأكل ما اشتهى، فاشتفى في بعض الأيام الجراد فأكل وأمن في الأكل منه، فلما أكثر منه نعاى من مرضه، وشاهده الطبيب فقال: بالله عليك أحسبى بما تناولت من المعاحيس أو ما شربت من الأشربة وما غداؤك من المأكول ؟ فقال: الجراد، فقال الطبيب: صدقت، لأن الجراد يكون قد قعد على حشائش يأكل منها، ولم تصل منعته إلى فهم مخلوق إلى الآن، ووافى حاصية تلك الحشائش لدائك فبرئت، وكان الجراد واسطة لعافيتك، والله إني نظرت في حمع كتب الطب على أن أعرف لدائك دواء مما صح لى من ذلك ففعلت بترك الحمية لك، والله أعلم.

ذكر زواج أهل نجد

حدثنى سليمان بن منصور قال: إن جميع أعمال الجبال وجميع أهل البوادي والبدو وتهامة ونجد يزوجون بناتهم ولم يرثوا البت شيئا، بل إذا كانت البت بكرا تجهز وتزوج من مال أبيها، وإن كانت البت ذات عيال فقد استراحت عواذلى من عتايى، وكل امرأة يقل أهلها وعشيرتها يقل خطابها، فإذا عجزت عن مقاساة نعمها وأموالها ومواليها تركب هودجا عالياً وتساق نعمها إلى سوق فى وعدة ويقوم لها ماد يادى عليها: ألا من يطلب عروساً ودوداً؟ فإن كانت راجعاً يادى عليها. ألا ومن

يطلب نحيحاً ودوباً، والصحيح هي المرأة الشيب والذوب مالها وعمها من... (١)
وأمانات، فكل من رغب فيها وفي مالها تزوج بها، فإذا أبوها أو أخوها أو ابن عمها
أو بعض قرابتها يقول للرجل : تزوج بها يا وجه العرب، وإذا قل رعتك فما أنت
وكيلها في زواجها، زوجها من شئت!!

وأشد بعضهم:

عليك بصعبات القيادة ولا تقع
برجلك في مبدء وسنة قد أدلت
إن أكرمتها قالت. قد أكرمتُ قل ذا
وإن هنتها قالت. بل النمل زلت

وقال آخر:

يا مبشرى يا يا^(٢) ليت زوج راجع
أبشرك الخسران من يوم راجع

وإذا دخلت المرأة على بعلها تحيء كل امرأتين من جيرانها يهتنانها بإتمام
سرورها وتأتى معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب، وحيث يحصل
للرأة نحو مائة ظرف ملآن نفقها مده أيام وأشهر، وإذا كان لإحدى النسوة اللاتي
حضرن العرس عرس ردت لهن المرأة الجراب ملآن مثل ما كان، وهذه عوائدهم.
وتغرل نساء هذه الديار القطن كما يغزل الوبر بالقانون غليظ مرة، وينسج منه

(١) يامس بالأصل

(٢) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

شبه السياسات شبة الأكسية الصوف يسمونها ثياب الهجيرة لبس العبيد والإماء والضعيف، ويقال: إنما يوجد في هذه البلد ستون حائكاً ودحاح، وليس يعرف القوم أيماً إلا أن زيد يخط خطاً دائراً على وجه الأرض، ويقول لعمرى المنكر عليه: ادخله! فإذا دخله يقول له: ارفع رأسك إلى الله، فإذا رفع رأسه نحو السماء قال زيد: كفيت بالله رباً، اقصد يا إنسان طريقك بارك الله فيك، وهذه أيما القوم.

وتنقسم أموال هذه البلاد على فرقتين: الضأن وبعض الإبل والحيل، فأما الإبل والضأن فيستقونهم قوم يقال لهم الشاورية، وبعض الإبل والحيل يستقونهم الدواشر، ولم يعرفوا غير هذا المال شيئاً آخر، يمسى مثل الممزر والبقر والثيرة والحمير والبغال، والآن ينزل السوان حول القصور بالبيوت الشعر والحيل والإبل والسم وهم أهل جود وعطا وكرم، مأكولهم لحم الإبل ومشروبهم الحليب وركوبهم الخيل ويجمعهم وشراؤهم الحيل والإبل ولسهم الجام، وهم أهل قوة وفصاحة، ويدورون القلاة وراء الأموال والسم، لا يؤدون قطعة ولا يترقبون حراجاً.

قال ابن المجاور: وكل بدوى لا بأوى تحت سقف ولا يؤدى قطعة فهو من أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، ليس فيه خلاف ولا شك، والله أعلم.

وأما نجد وحدودها فما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فهو حد نجد.

ومن صعدة إلى صنعاء راجعا على طريق الجديد

قال ابن المجاور: حدثني الحسن بن علي بن محمد التولي الصعدي قال: لما فتح الله عز وجل بالإسلام ملكرا هذه الطريق، من صعدة إلى الخيام ثلاث فراسخ وتسمى الدروب، وإلى العيين فرسخ، وإلى المشبة أربع فراسخ، وفي هذه الحدود مدينة تسمى خيوان ويقال وادي خيران، وهي مدينة وضعت في لحف جبل، ومن علمها أنه كان بها ستمائة شارع، وكان يخرج من كل شارع ستمائة فارس، وكان قد بنى لهذه المدينة سد شبه المأزمين بمأرب، وقد تقدم ذكره، فلما خرب السد خربت المدينة، والآن هي ملك أحمد ومحمد ابني عبد الله بن حمزة واشتروا أراضيها بلحم كثير، وهي ذات زرع وخصر.

ويقال: إن من طيبة أهلها كانت تسمى خيران في أيام الجاهلية.

وإلى حوث خمس فراسخ، وإلى جحضم أربع فراسخ، وإلى صنعاء فرسخان.

ذكر الزوايا

قال ابن المجاور: رأيت في المسام كأي في مدينة عامرة، وكان عمارتها بالحجر المقشوش، طول كل حجر منها مقدار خمسة أذرع ولكل حجر لون، وهي ذات جامع ومساجد وخانات وربط ومدارس وأسواق ودكاكين وحنانيت، نزهة بين جبلين عالين، كثيرة المياه والأنهار والأشجار والبساتين، وكان قد طبق إحدى

جبلى الوادى الآخر القائم على حرفه، وقد كحل السوق بالجص من لحفة إلى ذروته، فلو سار على وجه أى سد الجبل نمدة لاطره من على بعد المسافة، وكأبى قلت لأحدهم: ما تسمى هذه البلد؟ قال: حجب، قلت وما المعنى فى هذا الاسم؟ قال: إنها احتجبت عن الناظرين، قلت: فمن أى الأعمال تُحسب؟ قال: من أعمال صنعاء اليمن، وذلك ليلة الجمعة سادس رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة.

من تعز إلى زبيد راجعا

من تعز إلى مدينة ربع فرسخ، قرية فى لحف الحصن، وفيها قال الشاعر:

قد كنت إن لالأبرق من عذبة لأدت ما بال أحباب لنا بعدوا؟

والى المدينة ربع فرسخ وبها بممل الحزف، وإلى وادى حلدرا ربع فرسخ، وإلى بئر ماهوت ربع فرسخ، ويسمى الأحاش، وبني بها نور الدين عمر بن على بن رسول مسجداً على ثلاث قباب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وإلى بئر الصدع فرسخ، وإلى وادى السخل فرسخ، وإلى وادى الحناء فرسخ، وجميع غرسه وزرعه الحناء، وهو كثير القردة، وإلى السالبيين فرسخ، وإلى عقدة مجمر فرسخ، وإلى الكدحة فرسخ، وإلى حديلة فرسخ، وتسمى سراديب النيل، وإلى الدريعاء نصف فرسخ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

صفة طير الدلقوق

طير أبلق يشبه الأفر عير أن الذي في أرض العراق بمنقار طويل يأوى هذه الجبال، وصفته إذا غرد رقص.

حدثني الجمال قال ما يكثر تعريده وترقيصه إلا في فصل العيوث والمطارات والشتاء، وهذا أعجب شيء رآه المصنف.

وفي اليمن أيضاً طير يسمى جوب أكبر من القسم وأجحته حمر وله منقاران يقول أحدهم في تعريده: سيدى أحب ستى! ويقول الآخر في تعريده: دفوا قعا السودان.

ويوجد في هذه الجبال طير يهله يشبه هله الجمل الهائج، ويأتى إلى رسد عد طلوع كل شمس طيور تشبه الطيهونية وذلك في فصل الشتاء تسمى الحوامات حمل في حمل، تدور حول البلد أربع دورات وترجع لم تعلم أحد من أين يأتون ولا اين يمسون ولا أين يكورون، وهم من حملة العجائب.

ويطلع في هذه الجبال ربحاد يرى يسمى في أرض تهامة حيق، ويسمونه في زبيد الحالة الدرافسايير، وكان هذا الموضع رأس حد أعمال الحشة لما كانوا ولاية زبيد.

والى الساسة فرسخ، والى المحيشب فرسخ، آخر أعمال الجبال، والى الفوترين^(١) فرسخ، والى حصب الدين نصف فرسخ، وكانا قريتين عظيمتين.

(١) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

عامرين، ومن جملة عظمهما أنه كان يركب مهما أربعمئة فارس، فسلط الله عليهم دابة يسمونها أهل اليمن: الحرباء، لدغتهم فمات الجميع، ويسميه أهل حراسك آفتاب پرست، ويسمى في زاولستان سكند، كما قال ابن المجاور فيه:

چه كردی ایا روزگار نزند که پیوسته کردی برنك شلند

كهی رود روی و كهی سبز كشت كهی دمت یار و كهی بای بند

ويسميا أهل نهاوند ركثله، ويسميه أهل الحجاز أم حنين لأنه يكون لأحدهم لسان طوله أكثر من مائة ذراع، ويسميه أهل أبين الفخاخ، وتسميه العرب الحرباء: الحرباء، كما قال كعب بن زهير:

ويوماً يظل به الحرباء مصطحاً كأن ضاحيه بالنار مملول

والى السلامة نصف فرسخ، فإذا كان في هذه البلاد خوف عزوهم أهل شمير لأن القرية في لحنه.

والى حيس نصف فرسخ، بناها الأمير جياش بن نحاح، وهو جد ملوك ريد الدين تولوا ملك زبيد والتهائم، فلما تولى الملك بنى حيس وأنفذ إلى أهله وقرابته: انتقلوا من أعمال الحشة واسكنوا حيس، ويقال: إنه ليس فيها بيت من العرب بل كان من بها من نسل السودان، وبها يصرّب أهل اليمن المثل، يقول زبيد لعمره: والله ما تصير إلا تيس فيقول له عمرو ولم؟ فيقول: كما أعطى حب وأخذ حيس.

وكان الموجب على ما ذكره يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد أن عصاه فى حب حصن حب، فحيث أعطى سيف الدين منقر له حيس وأخذ منه حبا فبقى مثلاً بين عوام زبيد، وكذلك أعطى بعض ملوك الموصل قلعة وأخذ مسجراً.

وإلى الدوامل فرسخ وإلى السرداب فرسخ، وإلى القرب نصف فرسخ، وإلى زبيد نصف فرسخ.

من زبيد إلى حجة

من زبيد إلى القحمة ثلاث فراسخ، وإلى الكدراء فرسخان، وإلى طرف العمية ثلاث فراسخ، وإلى العمدة ثلاثة فراسخ على لسان وادي لسان، وإلى أسحر ثلاثة فراسخ، وإلى حراز المستحز ثلاثة فراسخ.

ببناء حصن مسار

ولما كان في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بنى الصليحي في رأس مسار وهو أعلى ذروة في جبال حراز، وكان معه سبعون ألفاً بينهم بمكة في الموسم سنة ست وعشرين وأربعمائة على الموت والقيام بالدعوة، وما منهم إلا من هو مع قومه وعشائره في منعة وعدد كثير، ولم يكن برأس الجبل بناء بل كان قلة قاسية منيعة، فلما ملكها لم ينتصف النهار الذي تملكها في ليلته إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف فحاصروه وشنموه وقالوا له: إما نزلت وإما قاتلك أنت ومن معك بالجوع، فقال لهم: ما فعلت ذلك إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل علينا وعليكم، فإن تركتموني أحرمه لكم وإلا برلت إليكم، فانصرفوا عنه، ولم تمض له ستة أشهر حتى بناه وحصنه وأتقنه.

وبقي الصليحي في مزار وأمره يستعلي من سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وكان يحاف نجاحاً، صاحب تهامة، وبلاطه ويستكين لأمره، ولم يزل الصليحي يعمل على نجاح حتى قتله بالسم مع جارية حميلة أهداها إليه، وكانت وفاة نجاح بالكدراء في عام اثنين وحمسين وأربعمائة.

وفي عام ثلاث وحمسين كتب الصليحي إلى الإمام المستنصر بالله يشاوره في إظهار الدعوى فعاد الجواب إليه بالإذن، ففي ذلك طوى السلاطناً وفتح الحصون والتهائم، ولم تخرج سة خمس وحمسين ولم يبق عليه من اليمن سهلاً ولا عراق ولا يراً ولا بحرًا إلا فتحه، وذلك أمر لم يعهد مثله في الجاهلية والإسلام.

قال - ويان من ريد حصن مزار من القبيلة وبار المشرق، على أعلى دروة الجبل، شبه أكمة عالية مشرفة على التهائم.

وفي سنة خمس وعشرين واستماتة ملكه الشريف عماد الدين يحيى بن حمزة، وهو الآن في قبضته ونصرته.

وإلى الجبلين ثلاث فراسخ، وإلى سوق القباب ثلاث فراسخ، في أوسط وادي مزارع.

حدثني سليمان بن منصور قال: إن أهلها كتبوا على باب مسجدهم: من أمسى في مسجدنا هذا فلا يراعى ما عشاء.

فصل: حدث يوسف بن يحيى عن أبيه عن غسان عن أبي عبيدة بن جهيم ابن خلف قال: أتينا اليمامة ونزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعما تمرًا وأرسل

غلامه بفلس وسكرجة يشتري له زيتاً، فلما جاءه بالريت قال: حقتني من فلس واحد، قال: كيف أخوبك؟ قال: أخذت الفلس لنفسك واستوهبت ريتاً، فأنت أبخل الناس، وقال فيه:

وليس لمروان على العرش غير
ولكن مرواناً يغار على الفلس
والى طرف نظار ثلاثة فراسخ، والى ريص أربع فراسخ، والى لاعة أربع فراسخ،
والى المخلافة فرسحان، والى حجة أربع فراسخ.

حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الرراد قال: إن في الجبال جبال لا يرال البرق يضرب أطرافها إلى أن رجع ضرس قائم بني على حصن مانع مثل الدملوة وحب والتعكر ويكور، وما يضرب البرق على حصن عامر إلا هدمه وأخرب حصنه ودحضه إلى أن خلأه مع الأرض مستوياً، فإذا ^{جاء} على جبل من هذه الجبال قوم من أصراب الأعمال يقول زيد لمعرو. هذا حصن نصر بن جعفر وهذا منزل خالد ابن الوليد، خرب من كذا وكذا سنة، ولم يكسر جبال الهمس ويدحضها إلا دوام البرق، وهذا أصعب شيء يكون.

من زبيد إلى غلافقة

من زبيد إلى القرشية فرسخ، ومنها ظهر أبو موسى الأشعري، رضي الله عنه، وهو من جلة الصحابة، وأحد الحكمين الذين حكمهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما.

فصل: أهل الزرية والعنبرة والمهرمة والقرشية، لم تظهر بهذه القرى بنت إلا إذا عقد نكاحها وقطع مهرها وسلم دفعها، وبعد ذلك تظهر البنت بطل وزمر على رؤوس الأشهاد بالمهامين والضيافات والطرح والتسليم، فسأل عن فعلهم، قالوا: نخاف تظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها ونحدها وقدمها ويهداها مع أعكانها مليحاً يعجبها حسنها فتحتاج إلى أن تخرج عن الطريق إلى غير الطريق، بل نخليها على حالها، فإذا رأت قلفتها طويلة وهي مع وسحها رهكة كرهية الرائحة وحشة المنظر نخمد نارها ويقل طلابها لأجل ما معها من طول الغفلة، فإذا مهرها ظهرت فأدخلت على أهلها حينئذ.

ويقال: إن جميع بلاد الشمسية عند زبيد على هذا السن والغرض بطول وعرض.

والى خبت تفحان فرسخان، من حدود الصحاب، وليس في تلك الأراضي أكثر توهجاً منه، والى غلافقة فرسخان.

بناء غلافقة

كان ما بين غلافقة والمكينة بلد تسمى الزبر، وما اشتق اسم الزبر إلا من الزبور، أي زبور داود، عليه السلام، ويقال: من زبرة الحديد، طمها السافي فرجعت تلؤل رمل.

قال ابن المعجور: ووجدت في المكان قبراً على ساحل البحر وقد جعل الرمل حجراً وقد غاص عظام الميت في الحجر الأصم، والله عز وجل أعلم.

فصل: إذا دار على التراب ألف عام رجع التراب رملاً، فإذا دار على الرمل ألف عام رجع الرمل حجراً وإذا دار على الحجر ألف عام رجع الحجر تراباً، فعلى هذا الوجه لا شك أن للقبر ثلاثة آلاف عام، لأنه تقلب ثلاث قلبات: قلب بالتراب وقلب بالرمل وقلب بالحجر، فلما خربت البربر بنت امرأة تسمى بنت إسرائيل ولا شك أنها بنت يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، خلافة فخربت لمرور الزمان عليها ودور الأفلاك عليها فبقيت رسوم وأطلال إلى أن جدد العمارة أخوان من الفرس، والأصح من سيران، يقال لهم: أولاد ابن القشيري، ويقال: إن القوم من الذين خرجوا من جنة، لأنه كان قد جرى بينهم وبين الأمير القشيري شكر بن أبي الفتوح ستة خمس وتسعين وأربعمائة، وقد تقدم ذكره بأعمال جده على النعمان والكمال، فلما نزل القوم بها يوم مكررة حنة، فلما طال الدهر تشعث ونقل أساطينه الساج إلى مسجد الأشاعر بريد بني به، ويقال إن هذا الجامع بناء القائد حسين بن سلامة، ونوا النور الملاح والمساجد الساج من حجر الكاشور، وهو حجر يستخرج من قعر البحر.

فصل: حدثني يوسف بن أحمد بن يعيش قال: لما صام أهل خلافة شهر رمضان قال زيد الكبير، من أولاد القشيري: شاهد الله على أحد من الرعية باع أو يبيع على أخي عمرو حطباً، وأنفذ إلى أشياخ أخيه عمرو وإلى أتباعه وقال لهم: والله ما يأتي أحد منكم بحطب إلى بيت عمرو إلا أفعل به كيت وكيت، وحرم أن يدخل بالحطب إلى بيت عمرو، فلما كان ليلة العيد أمر عمرو أهله أن يطبخوا ويشوروا، قالوا: بماذا نطبخ وأخوك زيد قد حرم علينا دخول الحطب؟ فأخرج خيوشاً

يلها بالسمن وأشعلها تحت القدور، فلما كان يوم العيد وصلت الناس صلاة العيد قام عمرو ومسبق أحاء زيدا وقال: باسم الله يا أصحابي إلى داري بارك الله فيكم، فدخلت الناس داره إلى أطعمة وأشربة وأشوية حلاف العادة، فقام زيد وقال لعمرو: يا أحي من أين لك الحطب؟ قال عمرو: لما منعت الحطب من قلة خيرك أوقدت الحيوث المنقوعة بالسمن الكثير، فعند ذلك تعب أحوه زيد من علو همته وأكل جميع من في غلافقة من داره ولم تقبل إلا على طعام عمرو، فتعجب زيد من فعله وعلو همته وقال: يا أبا محمد، قدمك في الموضع الماحل، أوردك العود في كفك وهو فاصل، والبهل إذا ما سمعت انترح راحل، وأنت كالسحر، وكفك للعطا ساحل.

وأشدني ركري بن سكيلا بن عبد الله البحري يمدح جهاش بن نجاح:
المشتري حلل الشاء بما حوت كقاء والحامى لها أن تشتري
والموقد نارين: ناراً للوعى لا تنطفى أبداً، وناراً للقرى

فصل: سئل إبليس: من أحب الناس إليك؟ قال عابد بحبل، قيل فمن أبص الناس إليك؟ قال: فاسق سحى، قيل: وكيف داك؟ قال: لأنى أرجو أن لا يقبل الله عبادة البحيل، وأعلم أنه لا يتم له شيء من خير مع البحل، ولا آمن من أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض صحائه فينجيه ويرحمه به.

فصل: وكان لأبى دلف القاسم بن عيسى المعلى جارا وكان الله عليه نعمة فسلها فأل أمره إلى بيع داره فساوموه فيها، فقال بألف وخمسمائة ديناراً فقيل: يا هذا إنما تساوى دارك ألف دينار، فقال وحوارى من أبى دلف بخمسمائة ديناراً

فبلغ أبا دلف ذلك فأحضره وأمر له بألف دينار فقال: تعذروا في ذلك ولا تتحول عن جوارنا، فهو الذي يقول فيه علي بن حجة الضرير في هذا المعنى

إنما الدنيا أبودلفٍ بين يديه ومحتصرة
فإذا ولي أبودلفٍ وكنت الدنيا على أثره

وسكننا المكان جميعاً إلى أن انقرصوا، رحمهم الله تعالى، قال:

أف للدنيا الدنيا خبت فعلا وبسنة
والعيش ش كلهم وعقباه من سنة

ذكر بئر الرياحية

حدثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: أول من ابتدأ في حفر الشر رباح، أي قرد، وحفر بيده الأرض إلى أن بيع ماء عذب حول عقل الساب^(١) يصح غمقها نحو أربعة أدرع لا غير، فلما رأت القرس صورته بالحجر والجص، وهو عن البلد نحو شوط خفيف بين نحل ناسقات شامحات فيبقى مستقى أهل غلافقة، ومن يصل من المراكب الصادرة والواردة على مائها فلم يقل منه شيء، وعرفت البئر بالرياحية، يعني القرد الذي ابتدأ في حفره، ويقال: بل كان الرياح اسم الرجل ولم يكن قرداً

وهذه البلدة فرصة الكارم إذا وصلوا من ديار مصر، ويجلب منها الحشيش

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في الأصل.

الأحضر للحضر والربايل والسمك العربى وغيره وضيراك وزعيد والمراوح والفار والقرش والبياص والعربى والمحف والفرا والسفية والطويلة، ويكون لها فرج على هيئة فروج النساء، ولم تُشتر من الصياد حتى يحلف أنه لم يطأها، ويبيع لحمها بالميزان لأجل الدواء، والسفية ذات صدق، والصبايا والمرح، وجميع هذه الأسماك ترفع إلى ريد ويسمونه الملتح، وضمان سوق السمك تزيد كل يوم ثلاثة عشر ديناراً ملكية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

جزيرة فرسان

ما بين دهلك وحلى ابن يعقوب، وبها مدينتان عامرتان، إحداهما سور، والثانية جدة، بهاء الفرس والأصح بقاء مالك بن زهير، أهلها صلاح أُنقياء، ويجرى بين العريقين نهر كبير عريض صاف عذب خفيف صحيح، أوله عين، ويقال: ماء تراب، وقد بنت على شاطئ النهر شجر وحصر وحشائش ألوان مختلفة، ويرع فيها من جميع الحبوب والحضروات، وعندما من سائر الدواب الأهلية مثل البقر والمعر والصأن والإبل والدواب، ويوجد عندهم من سائر الأسماك ودواب البحر.

وقد خص الله سبحانه وتعالى أهل هذه الجزيرة: إذا طلعت الشمس مقدار قامة يندوى الجو، وحينئذ يخرج كل من فى القرية إلى ظاهر القرية يصطفون على شاطئ البحر، وينزل على القوم بعد ساعة طير شبه الحُرْق، ويقال: شبه السمان، مائة ألف طير، فإذا حصل فى شاطئ البحر لم يقدر أحدهم على التبرار فياكل كل كفايته وعلى قدر حاله تذييحاً وتطليحاً، ولم يوجد فيه سوى السمك والشحم شئ آخر،

ويكون عيش القوم طول الدهر منه، ولم يمل أحد من أكله مع مداومته لأنه لحم خفيف طيب مريء، قلت: وما يسمى؟ قال: السلوى، وهو الذي قال الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾^(١) فقلت للراوى كم يكون دور الجزيرة؟ قال: مسيرة يوم كامل لرجل طراد، حدثنى بئر مولى بئر الصوفى بذلك

ذكر جزيرة الغنم

وذلك هي بر السودان، ما بين عيذاب إلى بحر جزيرة تسمى جزيرة الغنم، مائة ألف رأس غنم بها وأكثر من ذلك وجميعها وحشية، وكان الموجب لذلك ما ذكره ربحان مولى على بن مسعود بن على المجاور قال إنه قسم مركب من بعض مدن الودان شحنته غنم وكباش أرسلوا بهذه الجزيرة فحرر الريح عليهم، فلما طال الشوط فى المقام عليهم أخرجوا الغنم فى الجزيرة لترعى، مع طول المقام قطاب للقوم الريح على عجلة فركبوا الكباش المراكب، وسوا نسع ثمان رءوس منها فى الجزيرة فلم يمكن القوم أن يدوروا عليهم لصيق أحلاق الرياح، فشال القوم شراعهم وصاروا بالسلامة، وبقيت الغنيمات فى الجزيرة فتناكحوا وتناسلوا مع طول الأيام فكثروا واستقطعوا الجزيرة فعرفت الجزيرة بهم وصاروا الآن إذا أرسى بهم مركب لم يقتلوا أن يصطادوا من تلك الأعنام شىء إلا بعد جهد عظيم مع القوس والشباب، وقد لا يحصل لهم شىء لأنهم قد صاروا وحشيين يسقون العزال وهم ملء تلك الجزيرة إلى الآن، والله أعلم بالصواب.

(١) الآية: ١٦٠ من سورة الأعراف.

ذکر جزیرہ الناموس

وكذلك جزيرة الناموس، حدثني ريحان، مولى على بن مسعود بن علي، قال: إنما بين جزيرة دهلك وعقيق جزيرة ملؤها ناموس، لم يسلكها ولم يسكنها أحد من خلق الله من كثرة الناموس الذي بها، والله أعلم.

من زبيد إلى الأصواب

من زبيد إلى المصلب فرمح، ويقال: إنما سميت المصلب المصلب لأن نساءها يسلون العقول من حسنهم وجمالهم وظرافتهم^(١)، كما قال:

سقى الله ربات العصب ردها ^{فما} الحسن إلا ما حوته وبوعها

قال ابن الجارر والله الرحمن الرحيم ^{سوى} ما رأيت في جميع اليمن، سهلها وحبلها، وجهها حساً يعتمد عليه النظر، ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ولا ملاحاة ولا حلاوة إلا اسم بلا جسم، ما ترى إلا عجائر سوء حيثيات الأبدان قليلات الأدب ذوات آراب وسجين اللسان قفرين الأكل، كما قال الظهيري:

بياده دست ميلاي كان همه خونيت

که قطره قطره جکیدست از دل انکور

بوقت صبح شود همچو روز معلومت

که با که باخته ای عشق در شب دیجور

(١) هكذا في الأصول المصير لجميع المذكور، والصواب أن يكون لجميع الإناث

فلما أوقف صلاح الدين يوسف بن أيوب في أعمال مصر ما أوقف، وقد تقلم ذكره في أعمال جدة، أوقف توران شاه يوسف بن أيوب، والأصح طفتكين بن أيوب المعز، وادي الجريب، والحرب والمسلم، وبقي يُرفع دخلها إلى مكة إلى أن خبل وقفها الملك المسعود بن محمد بن أبي بكر سنة خمس وعشرة وستمائة وبقي يُرفع دخل هذه القرى إلى الديوان.

وأيضًا كان أوقف طفتكين بن أيوب على المدينة أم الدجاج مع جمل من الأراضي كلها القاضي علي بن الحسين بن وهيب، لما تلب الأمير قاسم بن المهنا بن جمّاز، صاحب المدينة على مكة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وبقي يُرفع دخلها إلى الديوان، ورد الملك المسعود يوسف لأم الدجاج على الأمير شيعة سنة خمس وعشرين وستمائة، وصار يصل دخلها إلى المدينة كما كانت.

والى الأهواب فرسحان بين محل شاذان

بناء الأهواب

بنى الأهواب أبو القاسم الرامث بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، مدينة حسنة، لما تقدم من الهدد يريد الحج، ذات أسواق وجامع ودكاكين ونقل الأخشاب الساج إليها من الهدد، فلما انقضت دولة الحبشة وتولى علي بن المهدي حرب جامع الأهواب ونقل أخشابه إلى المشهد الذي بناه في زبيد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وهي فرضة المراكب الواصلة من عدن.

وما اشتق بطن الأهواب إلا من الأهوان، لأنه على آخر بطن السحارى، موضع هول لكونه كشفًا.

وقال بعض الزبالع الدين أتوا الأمانات لجبريل بن زيد بن فارس: حط عنى عشر عشر سبى حتى أعمرك لك مرسى الأهواب! فقال له: كيف تفعل فيه؟ قال: أشحن مراكب حجرًا وترابًا أرميه معارض المرسى بالطول ليرد قوة الموج والماء والريح، فلما هان على جبريل ذلك، وقال: إن أربع مدن فى بر السودان مقابل أربع مدن فى بر العرب: عيذاب مقابل جدة، والأصح أن عيذاب مقابل الجار، وهو مرسى يبيع ودهلك مقابل السرين، وريلع مقابل العارة وعوان مقابل الأهواب.

من عدن إلى شبام

من عدن إلى الرعارع أربع فراسخ، وعلى رأس البشر عرمان لا يزالان من مكانهما أبد الدهور، من أعمال لحج، وفيه يقول على بن رباب الماربى

خلت الرعارع من بنى مسعود فعهودهم فيها كغير عهود
خلت بها آل الزريع وإبما خلّت أسود من مكان أسود

والى أبين أربع فراسخ، قرى جماعة ساء أهل الحجار، ويقال: بناء بى عامر من أرض الحجاز، سكنوا الديار وبوا القرى وحرثوا وزرعوا وتأهلوا فيها وبقيت فى أيدي القوم إلى آخر دولة الحبشة.

ومن جملة الأعمال حفر والطرية وحسون والمحل والسلامة ومسجد الرباط،

وبهذه النواحي قبر صالح النبي ﷺ ورجل ولي صالح، وجميع نساء أهل هذه الأعمال سحرة.

صفة العفو

إذا أرادت المرأة أن تتعلم السحر التام الذي لا قبله ولا بعده تأخذ ابن آدم فصليه إلى أن يذوب ويصير ودكا ويبرد فإذا برد شربته جميعه، تحبل منه وتضع بعد سبعة أشهر بشراً وحشياً يشبه القط، سوى في الطول والعرض يسمى العفو، ويقال إنه يكون عليه آلة في قدر آلة العفو الكبير، فلا ترال الساحرة تلور به وتربيه إلى أن يكبر ويشتد ويقوى، فإذا بلغ الإدراك جامع العفو أمه، فإذا جامعها فلو ركبت المرأة جرة مكست بها الحرة عها، ولم يشاهد العفو إلا أمه، وهي زوجته، ولم ينظره أحد غيرها.

قال ابن الصجاور: وما سمي العفو إلا أنه يحملها أيراً، لا نطقه

ويقال: لم يتعلم سحراً لم تعلم له، ويقال بل العفو مثل هذا الشيء، كما قال:

[العفو أن هب مسعرب وحملًا سمال على يدي

وأصبح البرد بالمسا وصاح اني صلاح^(١)

وأصل نساء هذه الأعمال من هذا العن: تمشى إحداهن إلى المعبر وترجع في ليلة واحدة.

(١) هكذا ورد الشعر بين المعقوفين في الأصل

حدثني محمد بن رنكل بن الحسن بن عميد كرماني الكرماني الساكن في مسجد الرباط: وهم الذين يصيرون الإنسان حماراً وثوراً كبعضاً أرادوا واشتهوا وإلى دار زينة تسع فراسخ، جبل مشرف على البحر يسكنه الجحافل، فخذ من فحوذ العرب، وما عرف الجبل بهذا الاسم إلا أنه إذا وصل إليه المراكب من سائر الأقاليم تزيّن بها لأنها أقرب المسافة إلى عدن سرير ملك هذه الأعمال مدينة تسمى دثينة.

وإلى بيحان سبع فراسخ، وإد طويل عريض فيه قرى ونحل، وقد تقدم ذكرهم ونسبهم في معاملة بلقيس في الجزء الأول، وإلى وادي جرب أربع فراسخ، وإلى عازب ستة فراسخ، غربت على ماء واحدة.

قال ابن المحاور: وقد حرب للمأر ثلاثة أعمال، من جعلتهم قرية محاسن، بآء أبي بكر بن منصور بن المطار الحاراني في أعمال صرصر في دولة الإمام أبي محمد الحسن المستضيء بنور الله، أمير المؤمنين، وتسلط المأر على دبالى، وهو أربعون قرية، والأصح أربعمائة قرية من أعمال بغداد، حفر المأر أراضيها، وزادت الدحلة ودخل الماء في الأسراب، فلما راد الماء أحد القرى والأراضي معه بكرة واحدة، وسد مأرب، قد تقدم ذكره.

وإلى عيبر اثنا عشر فرسخاً، مسكن عيبر بن سام بن نوح، عليه السلام، ويقال إن السرج كانت تشتعل من سبأ إلى عيبر، قيل: وكانت عامرة آمنة ساكنة، فالآن صارت يرارى وحيت ومهالك، وإلى شيام تسع فراسخ.

بناء شبام

لما تزوج سليمان بن داود، عليهما السلام، بلقيس اشترت اختها نعم سوكا وإيلا وأسكنت المال والنعم في مكان الأرض، فكانت الإبل إذا رمت الخلعة نددت الأراضي من أبوالها، وكانت تأمر الرعاة أن يفرشوا على الدابة التراب ليرد الضرر عن النعم، وما رالوا على حالهم إلى أن صار تلا عاباً شامحاً في الهوى فأدارت عليه سوراً وسكتة وركبت على السور ثلاثة أبواب:

باب زبد، كانت النعم تدخل منه وتخرج منه، والآل عمرها على بن المهدي حصاً مكياً سكنها، ويقال: لما بنى على بن المهدي هذا الحصن سماه زبد، على مدنة الحصيب من السر، وباب الإبل الإبل نخرج منه إلى المرعى، وباب مسلة الأعوام الحلق، ويسمى باب ردق.

فلما أتمت بناءه سمته ذا مناخ وعذبة وشبام، ويقال: إن اسم المرأة شام معروف البناء بها والله أعلم.

ذكر شبام

وكم هي مدينة، إحداها مدينة شام صمرمر حراب، وضعت ونيت في أصل حصن صمرمر، ولم يبق من جميع الربع سوى الجامع عامراً، وشبام كوكبان عامر في الجبال، وشبام صمرموت وهي هذه.

صفة الدور

فلما سكنت نَعَم المدينة بنتٌ هي أوسطها قصرًا يسمى الدور ذات طول وسعة وارتفاع، قالت الفلاسفة الأول. لا بد أن يتغلب الدور على الثلاثة في آخر العهد بدوار، ولا ينال السيف، ويكون قد يحلو من الفريقين أحد قصر الدور عامرًا على حاله.

ويقال: إنما بنت نَعَم لشباب إلا على الظلم لأنها اعتصبت الأراضي من الحلق، فلما تمت بناءها تعلبت عليها عثمن، ويقال: عثمان، أحدها منها، وما زال ملوكها يتعلنون على إلى آخر من تعلب عمرو بن مهيدي، أحدها بالسيف وجدد عمارة الحصن وأحكمها غاية الإحكام وجعلها سريرًا ملكه بعد أن بنى لها أسوارًا وحنادق وأبوابًا، فلما جاء أمر الله لم يقع عمله شيئًا كما أنشد عبيد الله بن علي بن مهيدي يقول حين تولى أرض الحصب:

انخا بخيل عند باب سهامها ولم تأل أن حالت بباب الشيارق
أدونا على درب الحصب بحندق ولن يدفع أمر الله حفر الحنادق

وقيل: وملك العرب جميع حضرموت سنة إحدى وعشرين وستمائة، وكانت ولايته أربع سنين، وحلف في جملة ما حلف مائة بهار فصة نقدًا غير الآلة والعدد والخيل والبصائع، ودوخ ابنه ناصر الدين محمد بن مالك بعض حضرموت سنة أربع وعشرين وستمائة، وهو إلى الآن مالكيها، والله أعلم.

صفة شبام

سريز ملك حضرموت، وهذا الإقليم هو مسكن حضرموت بن قحطان بن عيبر
ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، عليه السلام، وبشر برهوت، وهو بشر
تستجمع فيه أرواح أهل النار، يعود بالله مها ﴿ومن يهد الله فما له مضل﴾^(١)
و ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾^(٢) ولا تزال
النار تخرج منه طول الدهر.

وكتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البعدي
اليسابوري لحقير بن عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الحرجي الحرجاني يهدده
ويهنه فقال أنا رجل برهوت وأنا مسلم جهنم، وليس لي عالم الكون والفساد أحسن
باساً من أهلها ولا أكثر من ضرهم وأقل من خيرهم، كثير من الدم لبعضهم بعضاً،
قليل الدمة على من يستجير بهم، كثير من الدم من المقتولين: ريد يشتم عمراً،
وعمره يكلأ زيدا، وبصر يستيح مال عمرو، وجعفر يلاكم حالداً، ووليد يعربد
علي جاره، ودا يش من هدا، وداك يهش من هدا، أدبار مداير، أنحاس مناحيس
مفالس، كما قال أبو نواس، رحمه الله:

قالوا ذكرت ديار الحى من أسد لا در نرك قل لى من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس وأسرتها ليس الأعراب عند الله من أحد

(١) الآية ٢٧ من سورة الرمر، وقد وردت في الأصل «ومن يهدى الله فلا مضل له».

(٢) الآية ١٧ من سورة الكهف، وقد وردت مصطربة لأبسط في الأصل

وقال أيضا:

دع الأطلال تسفيها الجنوب
وحل لراكب الوجاء أرضا
بلاذ نستسها عثرا وطلح
فلا تأخذ على الأهراب لهوا
دع الألبان يثربها رجال
وأطيب مه صافية شمولا
وتبلى جنة عهدتها الحطوب
تجر بها النجاسة والنجيب
وأكثر صيدها ضيع وذيب
ولا عيشا لمعيشهم جديب
رقيق العيش يسهم غريب
يطوف بكاسها ساق أديب

ولهذا سمي إقليم حضرموت الوادي المفتون، وسماء الله عز وجل الأحقاف، كما قال الله عز وجل في قصة النبي هود عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَنْذَرِ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾^(١) والأحقاف هذه البلاد والأراضي بعينها، مأكلهم العبد، وهو سمك صغار، مع الكسب واللين يشابه الخردل في اللون، وليس رجالهم الأزرق مكشعين الرؤوس حفاء، وليس نسائهم الفتوحى ويصنع الثوب بالراج، ويرجع اللون لا أخضر ولا أزرق، إلا لون عجيب، وتصفر الساء رؤوسهن في أوسط رؤوسهن ترجع تشبه الهدد يسمونه الطرطر (وسحاب وهكاب فدارت الطاعين الضفائر سارنين عسائل العنور ذات المكرر)^(٢).

وأسمى رجالهم بالكنى، فمنهم أبا^(٣) لالكه وأبا هالكة وأبا مداس وأبا فارس وأبا رأس وأبا عري وأبا حصي وأبا خري وأبا عوف وأبا بول وأبا فقوق وأبا دقوق وأبا حل وأبا حبل وأبا فيل وأبا سل وأبا ريق وأبا بريق وأبا حيف وأبا دليف وأبا كنيف.

(١) الآية: ٢١ من سورة الأحقاف

(٢) هكذا ورد ما بين القوسين في الأصل

(٣) الصواب «أبو» وهكذا في باقي الكنى المذكورة

ومهما جرى على ألسنتهم يكون به ولم بأنفوا من تلك الأسماء، وكذلك الدياكلة وأهل الموصل وبعض العرب وأهل نهاوند وبعض اليمن وأهل عسفان.

فصل: قدم في أيام سيف الإسلام طفتكين بن أيوب مراكب الشحر وحضرموت إلى عدن، وصارت مشائخ العرصة تسأل أحدهم عن اسمه فيقول أبا^(١) حجر أبا خري أبا كوة أبا فسوة أبا شعرة، فأبى المشائخ أن يكتبوا أسماءهم في الدفاتر وتحلص كل قماش هو في العرصة إلا متاع الحضارم، بقى في العرصة، يئس تحت أرجل الملق، فلما طال الشوط وأوجع السوط يادى الصوت إلى سيف الإسلام فأحضر المشائخ وسألهم عن تأخير التحلص والتلمص والتجمعص من الحضارم، قال المشائخ إنا لسا بوقع أسماء القوم في دفاتر السلطان، قال: ولم؟ قال: لأن أسماءهم دوة، قال سيف الإسلام: إذا كرهتم أن يكتبوا أسماءهم فكيف أحد منهم العشور؟ فأطلق شأهم وحلّ سبلهم.

فصل: قيل لرحل من الحاكة: قد ررفت ولنا فاحتر له كنية، فقال كونه عبد رب السموات السبع ورب العرش العظيم، فقال له الرجل: ابن من؟ قال ابن عبد الكريم، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإيده، فقال: مرحباً يا بصف القرآن العظيم.

وأعجب من ذلك أن رجلاً من العجم مسكنه آذربيجان سمى ابنه: عبد من الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه

حدثني منصور بن المقرب بن علي الدمشقي قال: إن أصل أهلها عبيد

(١) انظر الحاشية السابقة.

وموياً، فلذلك فيهم حماقة وكبر خارج، وليس في جميع الربع المسكون أشنع منهم نفساً ولا أقل همة، وقد تفرقوا في سواحل البحر جميعاً وتشتتوا في أقاصي الأرض وأدناها يميناً ويساراً، كما قال:

كسی را در غریبی دل شکباست
که در خانه نباشد کار او راست

صفة قرن ابن إبراهيم

هو عين تجرى في أعمال دوعان إذا جاز الوادي رجل من آل حمير جري العین، ويقال: بل يمطر في اليوم مطراً، يروى منه الحميري لا غير، دون غيره.

حدثني علي بن محمد بن أحمد السباعي قال: إني جيتُ موكل على هذا الوادي، فإذا جاز عليه رجل من آل حمير أطلق الماء والوادي حتى يروى منه الرجل الحميري أو جماعة، فإذا مد حولاني يده إلى الماء عار الماء في الرمل، وكذلك لأهل حولان عين ثانية تسمى عمل، لم يشرب منها إلا الرجل الحولاني، ولم يشرب منه حميري، على ما تقدم بعته وصفته، وهذا أعجب شيء يكون.

قالت حمير: لنا التقدم، قالت حولان: لكم التقدم في أجر الحرائة، ولنا التقدم في لقاء الأعادي.

فصل: حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى الحائلي قال: يتقسم غزل نساء اليمن على وجهين: منه الفارسي ومنه الحميري، قلت: وكيف ذلك؟ قال:

الحميري الذي يخرج الإصبع الوسطى على الإبهام في العزل، والفارسي الذي يدخل الإبهام على الإصبع الوسطى من فوق العزل.

من شبام إلى ظفار

من شبام إلى تريم سبع فراسخ، وفي أوسط صرس جبل ثابت صاعد في الجو شبه مارة، وقد بنى عليه حصن يسمى المشرق، فأشأ يقول.

أقبل من أعشقه غداةً من جانب المغرب على أشهب

فقلت: سبحانك يا ذا العلا اشرفت الشمس من المغرب

فصل: قعد الأمير فهد بن عبد الله بن راشد على مظرة هذا الحصن مشرف فإذا هو يرى رحلس غادين على غير طريق، وأنفق قوماً وراءهما فأحصرهما بين يديه فإذا هم قوم عرب، فقال لهما: من أين جئتما؟ قالوا: من بصرة العراق. قال وكم لكما عنهما؟ قالوا: ثلاثة أو سبعة أيام، فقال قولاً لي كيف قصتكم، قالوا: إنا قوم بدو نسكن العراق والبصرة، إذ رأى شيخ حلفنا رحلين راكبين هجينين عاديين في الفلاة، فقال لنا الشيخ اقفوا لنا حمر هذين الراكبين، فقممت أما وصاحبي هذا تبعنا أثرهم إني أن علس الليل، فلما أضرم صاع ما الأثر، فتبعنا على حالنا في الصعود آكام ونزل أودية ورمل وحصي، فلما طال الشوط أردنا الرجوع إلى أهلنا فلم تعلم الطريق، فما زلنا نسير إلى أن أشرفنا على هذه المدينة، وما هذا الإقليم؟ قال: هذه تريم، من أعمال حصر موت، ارحبوا بارك الله فيكم، فالبلد مستدار حول الحصن.

وبني بها ملك في تريم جامعاً، فلما تم بناءه قال للمهندس: تقدر على أن تبني خيراً من هذا البناء؟ قال: نعم ففي الحال ضرب عنقه، خوفاً أن يبني في موضع ثان خيراً من الأول.

ومن محامن سيرة القائد حسين بن سلامة إنشاء الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة، حرصها الله تعالى، طول المسافة... فمن ذلك ما رأيته عامراً ومستهلكاً، ومنها ما رواه الناس رواية جامعة.

فأولها جامع شبام وتريم مدينتان من حضرموت فاقصبت عمارة الجوامع منها إلى عدن.

والى قبر النبي هود، عليه السلام، ثمان فراسخ، طوله سبعون ذراعاً وفي هذه النواحي قبر ذي سأل، عليه السلام، ابن هود، طوله أربعون ذراعاً حدثني علي بن محمد بن أحمد السباعي قال: إن قبر ذي نبال بن هود، عليهما السلام، في قرية هارون بناء هود، عليه السلام، من أعمال دوعان. قال ابن المجاور: ويمكن أنه كان لهود النبي، عليه السلام، ولدان ذكران، أحدهما روتيا والثاني ذانيال.

وقبر ابن ذي القرنين طوله خمسة وثلاثون ذراعاً، وقبر العزيز، عليه السلام، طوله ثمانية وعشرون ذراعاً.

قال ابن المجاور: وما أظن القوم كانوا بهذا الطول ولكن طولوا قبورهم.

والى مضى خمس فراسخ، والى خلخليج عشرة فراسخ، والى ظهور عشر

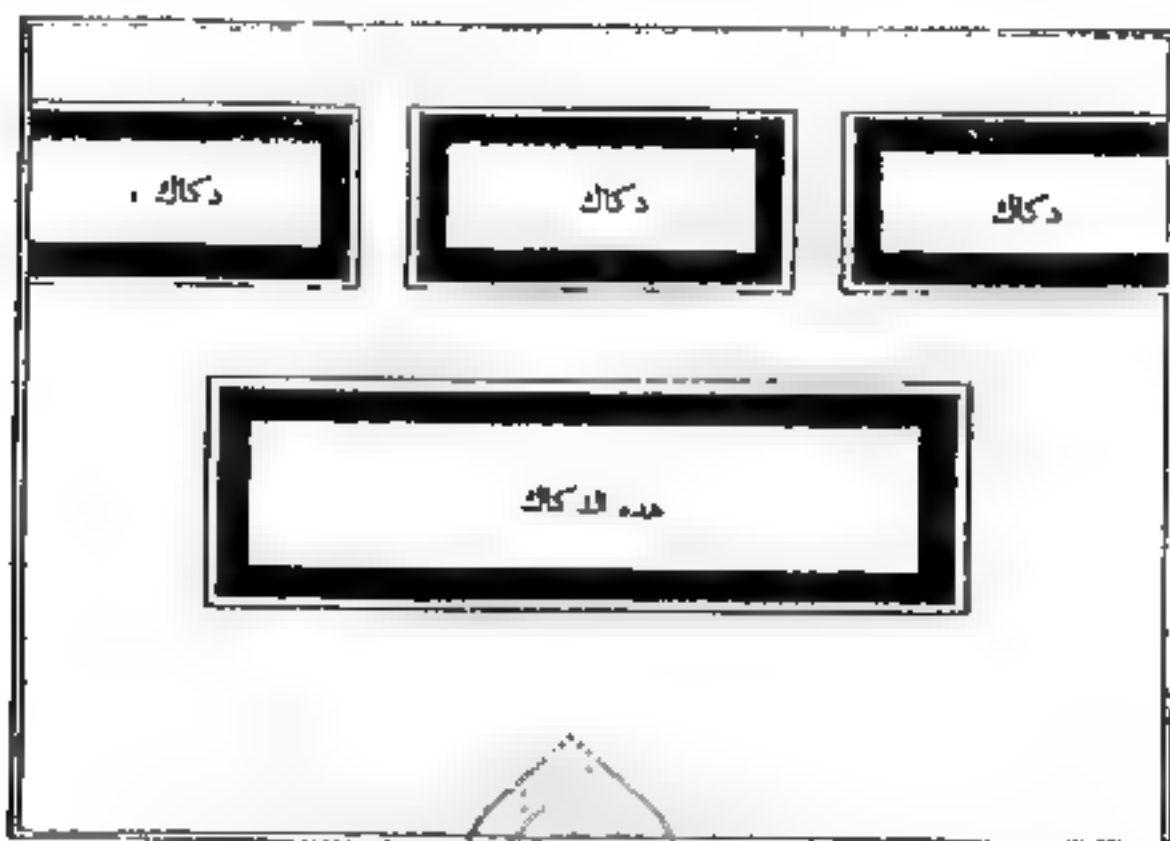
فراسخ، وإلى مهروب سبع فراسخ، وإلى كدوب خمس فراسخ، ذات بحيل، وإلى مأرب عشرون فرسخاً، وهي ذات بحيل وهي نصف الطريق.

حدثني رجل من أهلها في دار الإمارة بمكة سنة إحدى وعشرين وستمائة قال: إن هذه الأراضي والجهال والشعاب مواضع كانت مساكن قوم شداد بن عاد في فصل الربيع ينتزهون بهذه الأمكة، وقد سوا على رءوس الجبال وفي بطون الأودية دكاك ومصاطب من الحجر والحصى، وكانوا يقيمون بها أيام الربيع يتمرجون

وقال آخر: إنما بُنيت هذه الدكاك والمصاطب في هذه المواضع إلا لما سلط الله عليهم الضر وهو النمل، فكان القوم يحدون لذلك ألماً شديداً، وحشد هجروا البلاد وخرجوا بأهاليهم وسكوا الجبال والشعاب والأودية وسوا الدكاك متفرقة في بطون الأودية ورءوس الجبال، فلما كثرت عليهم الضر أشعلوا النيران حول الدكاك لئلا يصعد إليهم الضر، كما قال الله تعالى: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم... (١) تمام الآية، وإلى الآن الدكاك على حالها مع طول الزمان ومواضع النيران على حالها.

وهذه صورة الدكاك على هذا الموضع والترتيب في الصفحة الثانية

(١) الآية، ١٢٢ من سورة الأعراف.



رسم الدار بالقبة على خراب
من منى منى دى إعمار
يجول بأكافها كل لاهج
ومن ... حباء ذا محارج
رحلوا الأحباب وخلفولى
بليل شبه ضات عند ذابح
أمسى الزمان بدار قسوم
إذا رحل الأحباب عنها مصابح

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي فى المعنى :

تسألها أى المواطن حلت
وماذا عليها لو أشارت فودعت
وأى ديار أوطنتها وأنت
إلينا بأطراف البسان وأومت
فولى عزاء القلب لما تولت
وأما عيون الشامتين فقبرت
وما كان إلا إن تولتْها النوى
وأما عيون العاشقين فأسخت

ولما دعاني البين وليتُ إذا دعا ولما دعاها قد أطاعتُ ولبتِ
فلم أرملي كسان أرمي للدمية ولا مثلها لم ترعَ عهدي ودمتي

وحد الدكاك من أعمال حصرموب إلى آخر معاملة عُمان مع النعمان ونحدها،
إلى جيروت أربع فراسخ، وإلى النهودي أربع فراسخ، وإلى الشعب سبع فراسخ، معدن
شجر البان، وإلى حلوف خمس فراسخ، وإلى العيل ثمان فراسخ مقابلة ثلاثة أعين
تخرج من شعب جبل ويسمى جبل الأسفل وهي عقده، وإلى ظفار أربع فراسخ،
وكل هذه المواضع ثرار وشعاب داب مياه ليس عليها عمارة إلا بعض الشيء، والله
أعلم وأحكم.

ذكر خراب ظفار

خرب أحمد بن عبد الله بن مَرْزُوع الجوصي ظفار سنة ثمانى عشرة وستمائة
خوفاً من الملك المسمود أبي المظفر يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب
وبنى المنصورة وسماها القاهرة وسكنت سنة عشرين وستمائة، والاسم المعروفة به
ظفار وهي على ساحل البحر، وقد أدير عليها سور من الحجر والجص، ويقال: من
اللبن والجص، ورتب عليه أربعة أبواب: باب البحر ينفذ إلى البحر ويسمى باب
الساحل، وبابان مما يلي البر وهما على الاسم لأبواب ظفار المهدومة أحدهما
مشرق يسمى باب حرقه ينفذ إلى عين فرص، والثاني مما يلي المغرب ويسمى
باب الحرجاء ينفذ إلى الحرجاء، والحرجاء مدينة لطيفة وضعت على ساحل البحر
بالقرب من البلد، وما بنى المنصورة إلا لإحكام البلاد خوفًا على العباد، فلما بنى

المنصورة ولم يؤبه إليه الملك المسعود ولا عاتبه فيما صنع، وكان أمر الله قدراً مقدرًا.

وهذه صورتها على هذا الوضع:



في حديقته بستانه



ذكر مدن هدمت خوف الاتعادي ولم يصلها العدو

خرب ناصر الدين أبو الفتح قباچه اسلطان في أعمال السند قلعة كلور وسب، رأس حد بلاده، خوفاً من السلطان الأعظم علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش سنة اثنتي عشرة وستمائة، وحرب، أيضاً، الملك ناصر الدين أبو الفتح قباچه في أعمال السند اهرات وسائر (وكهي وطبيه وعليا اوروهام راوير سرور ونزوارة وكريون ودهروت وشاهكا وراح بيوم ومكسوب) ^(١) خوفاً من السلطان جلال الدين ملك برقي بن محمد بن تكش سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وحرب صلاح الدين يوسف بن أيوب في أعمال الساحل عسقلان وعرة والدارون والرمين وقلعة الأفضل والعيامية خوفاً من الإفرنج سنة سبع وخمسمائة وحرب السلطان علاء الدين أبو الفتح محمد بن تكش قلعة مرورود ورسوم، وفي أعمال السند بدووب وحاما (وهاتهرز وبكي ومك راور قصرا ايوب وكوب وبياحكة وموسى وبكورج) ^(٢) خوفاً من أملاكها الأمهة سنة أربع وستين وخمس مائة، وأبقى المدن وهلم المحصور لأن في هذه البلاد كل قرية بها حصن مانع بناء الهنود من سالف الدهر.

وهلم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب في أعمال الشام الكرك والشوبك والقدس وأيلة واللاذقية وهو عاتين وستين وسقى من بون خوفاً من الإفرنج سنة أربع وعشرين وستمائة.

(١ ، ٢) وردت الكلمات بين القوسين غير منقوطة في الأصل

وخرّب الملك المعزى الذى تعلّب على ملك السلطان مسجر من نحرسان مرو
وسرخس ونيسابور ومن العراق الرى وهمدان ومن كرمان حريب وبم وكارى، وهى
راولستان حور، خوفاً من السلطان علاء الدين حسين ليك الغورى سنة أربعين
وخمسمائة.

وخرّب الخان الحسين بن على المخلجى الديول خوفاً من ناصر الدين قباجة
سنة تسع عشرة وستمائة.

وخرّب (الهمتن مسر بن دوده) ^(١) قلعة الإسلام خوفاً من الحلج سنة عشرين
وستمائة، وخرّب (حل حان المر حسى) ^(٢) جميع المعجم خوفاً من المسلمين
سنة عشر وستمائة، وخرّب أحمد بن محمد بن عبد الله الحوضى ظفار خوفاً من
الملك المسعود يوسف بن محمد سنة ثمانى عشرة وستمائة.

صفة الطريق القديمة

كان من بغداد إلى ظفار ومرباط الطريق آمن يسلكه البدو فى العام مرتين
يجلبون الخيل ويأخذون عوضهم المطر والبر ويرجعون إلى العراق، فلما تعلّب أحمد
ابن محمد على هؤلاء فتحوا فى الملك ووقع الحلف فى البلاد وانقطعت الطرق
واندثرت، فلما ملك أحمد بن محمد بن عبد الله بن مزروع الحبوصى الملك
واستقام فيها أمنت العباد وعمرت البلاد [انقطعت الطرق] خرج البدو على رؤوسهم

(١ ، ٢) وردت الكلمات بين القوسين مصطربة وغير منقوطة فى الأصل

في الطريق القديمة وصاروا على الطريق المستقيم بالحيل إلى ظفار فاعوا واشتروا، فلما أرادوا الرجوع قال لهم أحمد بن محمد: وكيف علمتم الطريق؟ قال أحدهم: إني سافرت مع أبي وأنا طفل عني هذا الطريق مرة واحدة فسرت الآن فيها بقياس التعقل بمعرفة تامة وكتب الله السلامة حتى سمع المقصد، قال لهم: فمن أين تخرجون؟ قالوا: من مشهد الحسين بن عيسى بن أبي طالب، رضوان الله عليهما، فإذا وصلنا إلى المنزل الفلاني افترق عنده الطريق طريقا يأخذ أحدهما إلى الحساء والتقطيع والثاني بجيء إلى مرباط وظفار، فقال لهم: شاهد الله على بدوي سلك هذه الطريق ثانية لا يلومن إلا نفسه، قالوا: ولم؟ قال: نحاف أن يدرس الطريق لكثرة سلاكه فتجيء خيل أمير المؤمنين، عاترة في نلت البلاد علينا وأنا مع ذلك حرمت البلاد وسيت المصورة لأقطع الشرع عيسى، فدعيت البدوان من بلد طعار ولم يرجعوا إليها ومنها انقطع الطريق سنة مئة عشرة وستمئة

صفة الرياح الثلاث

ريح عاصف قاصف ذات شدة وصلابة، فإذا هب الهوى سد الغبار جمع الطاقات في الدور وأوراق الجدران، ويقال: إذا هبت هذه الأهوية فمن شدة هبوبها تدحرج الحجارة من أعلى خروء الجبل إلى أن توصله البحر وبين الجبل والبحر يوم طراد، والأصل فيه أن الله سبحانه وتعالى أهلك قوم عاد بهذه الريح وهي الريح العقيم، والاسم فيه ثلاث مشتق من بلاء.

وحلثنى ريان فى عدن قال: إنه من جملة الرياح الأريب يعنى الجنوب وحدود
هبوبه من رأس فرتك إلى مرباط، كما قال الشاعر العزوى:

تا بلدان چايت فرود آرد كه باخذ اندرو

ناوك اندازانش قهرو خنجر آهنگان بلا

زهره مردان چو بر زنكار پاشى ناردان

كرده كردان جو بر شنكر مالى لويلا

صفة المنصورة

هراؤها طيب وحوها موافق وماؤها من خليج عذب فرات، تطلع بها الفواكه من
كل فن من فواكه الهند الفروفل والمارجيل ومن فواكه الساحلية قصب السكر
والسور، ومن فواكه العراق الرمان والعب ومن السحل حمل، ومن ديار مصر الليمون
والأترنج والتارنج، ومن السند البق، ومن الحجار الدوم وهو الحقل، وجميع سكانها
حصارم انتقلوا من بلادهم وسكوا بها وماكولهم السمك والدره والكس، ومطعموم
دوابهم السمك اليابس وهو الميّد، ولم يربلوا أراضيتهم إلا بالسمك، ويقال: إنهم
يعقدون الهريسة إلا بلحم السمك لا غير، وساؤهم سحره يمشون من ظفار إلى
الجاوة المبل فى ليلة واحدة لأنهم فى قرب جزيرة سقطرى، والمسافة فيما بينهم
يومان وليلة فى البحر، وأهل الجزيرة يؤدون لقطعة لابن الجوصى.

ذكر جزيرة سقطرى

يقال: إن في قديم الزمان كان جميع هذه الأمكنة بحر لا غير، وكانت سقطرى ما بين البحر والبر، فلما فتح الله المقم من مقابل الجبل عرق البحر إلى باب المندب ما بين عدن وزيد ووقف الماء عنده، فلما فتح باب المندب وقف أواحر بحر القلزم، وجبل سقطرى صار الآن جزيرة في لحج البحر يصح دور الجزيرة أربعون فرسخاً.

حدثني الحامى قال: بصح دورها ثمانين فرسخاً ونيف، وليس في جميع هذه البحار أكبر منها حرية ولا أطيب منها وهي ذات نحل وبساتين ودرع درة وحطة، وبها إبل ومقر وصان ألوف مؤلفة، وفيها مياه ^{كثيرة} على وجه الأرض، وهو عذب فرات، وهو خليج كبير يسع أوله من الجبال، طويل عريض، ويغلب ما فصله من البحر ذات أسماك، ويطلع منه شجر الصبر السقطرى ودم الأحوين، ويوجد في سواحلها العنبر الكثير.

وسكانها قوم بصارى سحرة، ومن جملة سحرهم أن سيف الإسلام جهز إلى الحرية، والأصح سيف الدين سقر، مولى إسماعيل بن طعنتين، حمس شوان ليأخذوا الجزيرة، فلما قرب القوم من الحرية انطمست الجزيرة عن أعين القوم وصاروا صاعدين منحدرين طالعين وبارلين ليلاً ونهاراً أياماً وليالي فلم يجدوا للجزيرة حساً ولا وقعوا للجزيرة على حجر فردوا راحمين، ويقال: إن الروم الملاعين يكتب في كتبها عن الجزيرة يعنى سقطرى - الجزيرة المحرومة بأرض العرب.

ذكر السبعة الطيور

قد ذكر مؤلف كتاب الرهمايح أنه إذا شاهد مسافر في هذا البحر سبعة طيور في
لجج البحار يعلم أنه مقابل جزيرة سقطرى، وكل من جار ويحوز هذا البحر وقطع
جزيرة سقطرى يرى السبع الطيور ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً ومن أى صوب أقبل
المراكب تستقبله الطيور، ولم يحددهم أحد مستديرين، وهذا دائم، ولو يشوههم أحد
لا ثمانية ولا تسعة ولا ستة طيور بل تسعة كاملة، وهذا من حملة العجائب، وكم
قد فكرت العلماء فسهم فلم يوجد عند أحد منهم ما الحكمة فيهم ولا كيف
فصنهم وبعثهم

قال ابن المجلاد سافرت من الديبول إلى عدن في مركب الناحودا حواجة
سجيب الدين محمود بن أبي القاسم لغوى شركة الشيخ عبد العسى بن أبي المرح
العداوى آخر سنة ثمانى عشرة وستمائة ورأيت الطيور السبعة في لجة البحر، فلما
أصبحنا رأينا الجزيرة، وفي الجزيرة أربع مدن كبار مه السوق وفانك ومورى وما حولها
من القرى قرية ما شاء الله، وهى جزيرة والحل مستدير حوله وقد صعد دروة الجبل
إلى الأفق، وقد سكن الجبل قوم جبالية عصاة على أهل البطاء، وهى ذات مزارع
وعمار ومدن وقرى لم يعرفوا بعصمهم بعضاً، وقد علق كل فى عنقه صليب كل
على قلعه.

وفى أطراف الجزيرة سواحل كثيرة مثل بندر موسى، ورأس ما فى سقطرى،
وغاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لأن السراق يزلون عندهم ويقصمون
عندهم مدة ستة شهور يسمون عليهم الكسب ويأكلون ويشربون ويجامعون نساءهم،

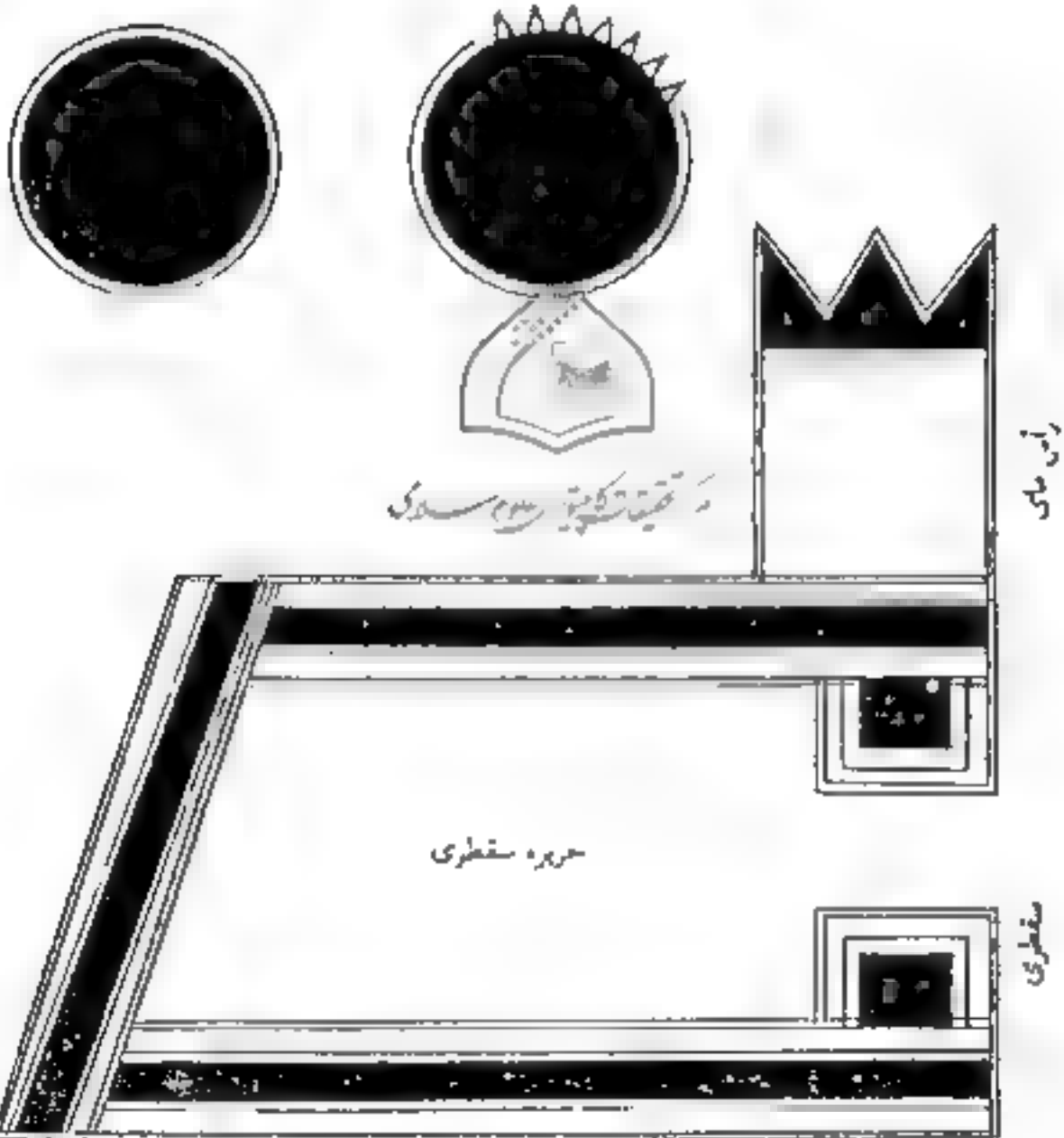
رهم قوم جلع قوادون وعجائزهم أقود من رجالهم وهي رجالهم من هو أقود من أسود
في رأس جمل هائج، كما قال الشاعر:

عجوز لو رميت في قعر بحر

نقود من السياسة الف بغل

وهذه صفة جزيرة سقطرى والبحر والمركب على هذا الموضع والترتيب:

رعدة النجمة الطيور



وهذا جانب المطلع من جزيرة سقطرى، وهذه صورة تراها إذا كنت في أوسطها وحاذيتها، وأما إذا تديها من البحر فربما تتعبر هذه الصورة وتراها على صفة أخرى.

من المنصورة إلى ريسوت

ثلاثة فراسخ وتعبر جبل رأس الحمار آحر عب القمر، وأما ريسوت فكانت مدينة عظيمة وكان من بعداد إليها طريق مطبق مجصص بالحصى والورة، وكانت القوافل صاعدة بالبريهار أو الحف منحدره بالبصائع التي تدخل الهد مثل الصخر والرجفر والماورد والفضة وما يشابه ذلك وحرية من طول المدى.

وإلى دحان ثلاثة فراسخ، وإلى حارب ثلاثة فراسخ، وإلى مراوة ثلاثة فراسخ، وإلى حلقات أربعة فراسخ، وتعبر جبل قونك أول يمتدأ عب الصخر وهو مدخ المراكب المقبلة من الهد، وإلى الحصوين ستة فرسخ، وإلى خيريج ستة فراسخ، وبهذه الأراضي سبع قرى مقلوبة وتسمى عند العرب هوسكان، أي مكورين

حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الحمامي الواسطي قال: ما يس الشجر وأحور سبع قريات سود، أي سبع قرى مسودة الأرض، قلب الله عز وجل بها، وهي من قرى قوم عاد.

وإلى الريداء سبع فراسخ، وإلى الشحر خمس فراسخ، وإلى مرمى طيب بأعمال حضرموت، وإلى الشحير أربع فراسخ، وإلى المكلا فرسخ وإلى بلي ستة فراسخ، وإلى نسع خمس فراسخ، وإلى حصن العراب أربع فراسخ حصن السموءل بن عاديا

اليهودى، وإلى مجداح أربع فراسخ وإلى الحوراء ثمان فراسخ، وإلى أحور ثمان فراسخ، وإلى أبين ستة فراسخ وإلى لحج أربعة فراسخ، وإلى عدن ثلاثة فراسخ.

من المنصورة إلى قلها

من المنصورة إلى مرباط أربع فراسخ، بقاء الفرس، ويقال: إنما بنى واشتق الاسم مرباط لأنها كانت مرباط الحيل التى للفرس من أهل سيرا

وأحر من تولي بها من نسل الفرس أولاد مجور، وحريت على يد أحمد بن محمد بن عبد الله بن مزروع الجبوضي

وإلى أرحوب فرسخان، وإلى كسكرى أربع فراسخ، وإلى النوس ثلاث فراسخ، وتعر بحبال عوالي، وإلى حاسك فرسخان، وإلى كسكرى أربع فراسخ محاذاه حورمان وموربان، وهما حزيرتان فى لحج البحر

وإلى مدركة أربع فراسخ، وإلى المصيرة أربع فراسخ، وتعر عنة الحشيش، وأهل هذه الحزيرة قوم يقال لهم: المهرة، والله أعلم.

ذكر نسبة المهرية

حدثني على بن محمد بن أحمد الساعي فى المفايس: حدثني فهر بن عبد الله بن راشد، وهو سلطان حضرموت قال إن أصل المهرية من قرية الدباب

لم تجر فيه صلاة، لأن أمير المؤمنين، أبا بكر الصديق^(١) رضي الله عنه بعث بجيش إلى هذه الأعمال فعصت أهل هذه القرية عليهم، فلما انتصروا على أهل القرية ركبوا السيف على أهلها فما زالوا يقتلون فيهم إلى أن جمد الدم فيهم قدر قامة، فلم يسلم من القوم إلا قدر ثلاثمائة بست بكر محلحلات مدملجات ملبسات، فتعقل بجبل مقابل، فلما رأى أهل الجبل ذلك أمهروهم ونزوحهم فجاء من سألهم المهرية

وحدثني أحمد بن علي بن عبد الله الواسطي قال: إن أصل المهرية من بقية قوم عاد، فلما أهلك الله تلك الأمم جاء هؤلاء القوم فسكوا جبال طهار وجزيرة سقطرى وجزيرة الحصيرة، وهم قوم طوال حسان لهم لغة منهم وفيهم ولم يعهمها إلا هم، ويسمويهم السحرة، وما اشتق اسم السحرة إلا من السحر لأن فيهم الجهل والعقل ومن الجبون، يأكلون تيم الله بلا حمد ولا شكر ويعبدون غيره، وهم في هذه الديار يشبهون الدواب سائرهم ملء تلك السهول شبه السيول والجبال شبه الخيال، وفيهم يقول الشاعر:

كم تُوعظون ولا تغني مواءمكم	فالبسهم يزجرها الراعي فستنجر
أراكم صُور الناس الذين هم	نام وللكم في فعلكم بقر
لو كنتم بشراً كانت تنهتكم	نواب الدهر إلا أنكم حمر

(١) معلوم أن لقب: «أمير المؤمنين» أطلق لأول مرة على الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، أما أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فكان لقبه: خليفة رسول الله ﷺ، وقد استحدث لقب: أمير المؤمنين لصعوبة قول خليفة خليفة رسول الله ﷺ، واستمر لقب «أمير المؤمنين» بعد ذلك إلى انتهاء الخلافة الإسلامية.

والى حرب جعلان ثلاثة فراسخ، والى صور أربع فراسخ، والى العاتب^(١) فرسخان، والى قلعات فرسخان.

بناء قلعات

أول من سكن الساحل بقلعات الصيادون، قوم صعب يترشقون الله، فلما طال مقام القوم طالب لهم والتأم إليهم بحمامهم حتى يستأنسون بهم، فكثروا وازدادوا إلى أن سكن في جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب واسمه مالك بن فهم، وكان من حرصه على عمل البلد يقف على الساحل، فأى مركب يراه يقلع في البحر بهادى لأصحابه قل هات! أى قل لهم فى دخول البلد، يعنى لأهل المركب، فسمى البلد قلعات.

وحدثني أحمد بن على بن عبيد الله الواسطي قال: إنما كانت تسمى في سالف الدهر هات قل، قلت. ولم سمي بهذا الاسم؟ قال: لما هرب القوم من وقعة البهرين بزلوا بهذا الساحل كانوا يقولون لحمامهم: هات! يعنون به الراد، وهو زاد أصحابهم من العراق، فلما قل عليهم ذلك قال أحدهم لحاممه: هات! فرد عليه العلام: قل، فسمى البلد هات قل، فلما دار الدهر دار الاسم مع دوران الزمان قلعات.

(١) غير منقوطة في الأصل.

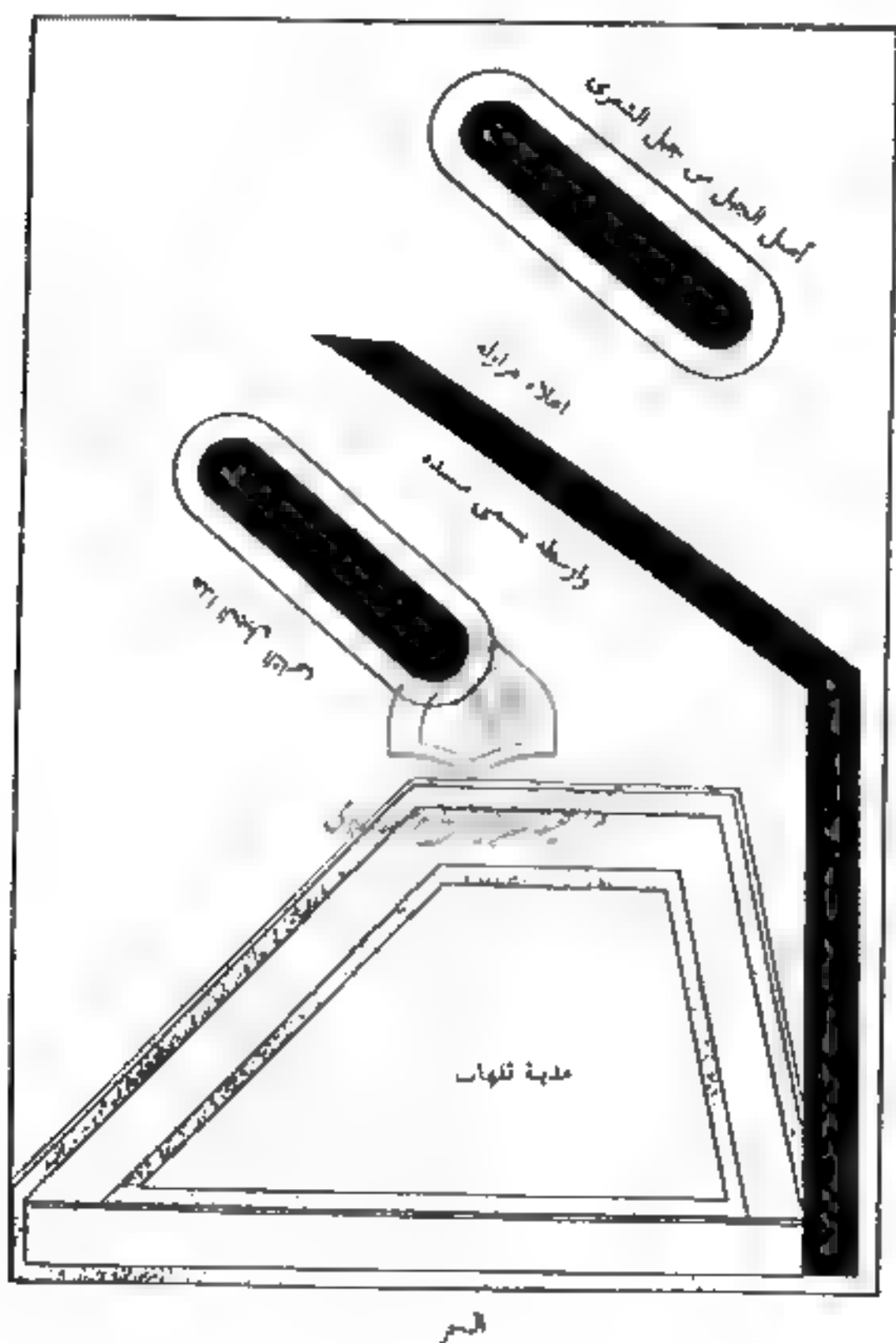
وعمر المكان بحمام الشيخ مالك بعد أن أدار عليه سوراً من الحجر والجص ستة
 خمس عشرة وستمئة وعدل فيها، ودحنتها المراكب من كل فج وخور وسائر
 الجهات تأتي من كل جهة، وصارت مدينة ذات عظم ومهابة

فصل: وجد زيد عمراً يمشي إلى داره فقال له مالك تمشي مقلوباً؟ قال:
 لانقلاب الزمان نواقفه على فعله، كما قال الشاعر

كان في الغادين لي سكنٌ فأي فاعتاله الزمنُ
 حلف الغسادون لي حزنًا ولبس الصاحبُ الحزنُ

وهو على هذا الوضع والترتيب





البحر

ذكر جبل السعترى

جبل عن البلد مقدار فرسخ وصريقه داب طول وعرض وسعة في ارتفاع وانحطاط، وكل ما يطلع فيه السعتر من أوله إلى آخره، وعلى ذروة هذا الجبل حجر سمينة برح، عليه السلام.

حدثني عبد الغنى بن أبي العرج العنلادى قال: هو حجر حديد يصح مقدار بيت كبير، وكان العقب فيه أنه لما أرسى السفينة على هذا الجبل، لأن ماء الطوفان كان قد علا على جميع ما خلقه الله تعالى مقدار سبعة عشر ذراعاً أرمى الأنجر، تعلق الأنجر في حجر من الجبل وأبى أن يصعد معهم وعمر الربع قطعت السفينة الأخرى ومضى الأنجر والأنجيرة موضعه يرار وهو موضع فاضل، والله أعلم وأحكم

ذكر الإياضية

أصل القوم من ولد الرجل الذى أقر لعلى بن أبي طالب، رضى الله عنه، بالإلهية، وقد قال عليه السلام لعلى، رضى الله عنه يا على، يهلك فيك طائفتان محب غال، ومبغض قال.

وأول من نسب الإلهية لعلى بن أبي طالب، رضى الله عنه، أبو الشديان^(١) فقال له على بن أبي طالب. كف عن المقالة واشتغل عن البطالة، فإني أكل وأشرب

(١) الاسم المعروف له في كتب التراث هو «دو الشدية»

وأنام وأكح ومن يتسم فيه هذه الحصال حاشا أن يعيد، لأن الإله، عز اسمه، وحل ثناؤه، متعالٍ منزّه صفاته عن الدات واللوات فكيف عما ذكرناه من الأكل والشرب والنوم، فلما انكف أبو الشديان عما كان عليه من الاعتقاد شرع في هذا المذهب بين القوم وخرج طائفة منهم سكوا أعمال الطائح وهم على هذا الاعتقاد إلى الآن ويرأها صفة أخرى.

من المنصورة إلى عدن

راجعاً من المنصورة إلى ريسوت ثلاث فراسخ، ويمرر عنه بجبل رأس الحمار...^(١) احرعت وحيث خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فصاعف القوم بالهريز وكسرهم وركب عليهم السيف وما زال يقتل منهم إلى أن أفضى الجميع ورد النخلة إلى القنطرة فوقعت البعلة على مصف القنطرة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: انظروا من تحت القنطرة، فإذا هم بأبي الشديين، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: جاء الحق وزهق الباطل، أسلم تسلم، فقال: كيف أسلم والبعلة تعلم علم العيب أني تحت القنطرة؟ فحيث جرد علي بن أبي طالب رضي الله عنه السيف وضرب عنقه وهرب من سلم من القوم، وما زال السيف يعمل فيهم ووراءهم من العيب إلى أن عبرهم البحر فسكنوا بهذه الأعمال، فبدلت تلك المحبة بالبغضاء فهم فيهم محب عالٍ والمغض القال هو الهالك بين المحبة والبغضة، كما قال:

(١) يواض بالأصل.

الحب فيه مرارة وحلاوة والحب فيه شقاوة ونعيم
وقال آخر:

آه من لوعة التفريق آه ما أمر الهوى وما أحلاه
كتب الدمع فوق خدي مطراً رحم الله من دنا فقراه

ويسمون علي بن أبي طالب رضى الله عنه أبا تراب، ويقولون: إنه كان فى الصغر مؤمناً فلما كبر كفر، وينشدون فى سماعتهم:

صلى الله وسلم على شهيد ابن ملح^(١)
هذا الذى ضرب الشرك بالسيف حتى تلثم

وينشدون بيتاً من قول ابن كزرة:
سبوا علياً كما سبوا عتيقكم كهر بكفر وإيمان بإيمان

علم مكنون وسر مكتوم

إذا نزلوا المراكب أو كورروها لم تصعد المراكب ولا تحدر معهم إلى أن يقول الجميع بصوت واحد: يا على! ويقولون: إنهم يقولون فى حر المركب زماناً طويلاً حتى يتعبوا ويضجروا فيقول بعضهم لبعض: اذكروا ذلك الرجل! يقولون به على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فتقول المشايخ: كورروا مركبكم إن كنتم تكورون!

(١) هو قاتل الإمام على، كرم الله وجهه

ولا يزال القوم في عاء وتعب وصداع وكرب وصياح وشعب إلى أن يقول الجميع بصوت واحد: يا علي! فيجري معهم المركب أهون من شربة ماء يارد إلى فم رجل عطشان فيصبي المركب ويسبح في البحر ويعوم، قال القائل:

عليّ طلائبات وأنت مسبلتي إلى الله يا مولاي موسى بن جعفر
إذا جاءك الملهوف يطلب حاجة يسر من مأموله كل معسر

وقال آخر:

لما تكاثر حسادي وأعدائي بعير جرم جعلت الله مولائي
وقد تمسكت بالميم التي في محمد وعين علي وبالحاءين والفاء
وقال محمود:

فوحق حرمة خمسة ما مثلهم بين البشر
..... بذاك جبريل استخر

ذكر الإباضية

فكل رجل يبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحبس من دهره رأس كل شهر، ويقال من ذكره، كما تحبس المرأة. وفي أعمال صنعاء منهم قوم يسمونهم السمارة وعلامته أن أحدهم يعلق كيساً من الجلد ملاء رملا في ذكره كلما ابتل الرمل بدمه واستعمل غيره ويسمى ذلك الكيس مطهرة، فهم الإباضية، والله أعلم

(١) يباح بالأصل.

ذكر السلفيات

وكل امرأة تبعض على بن أبي صالب رضى الله عنه تحبص من دبرها فهم السلفيات.

قال ابن المجاور. وكل من هو سئل أبى الثديان من رجل أو امرأة أو من حصر وقعة الهرين فرجالهم الإياضية والنساء السلفيات لأنهم معروفون بهذه العلة، والله أعلم وأحكم.

ذكر بلاد الخوارج والإياضية

حدثني الصفار قال إن جميع أهل أذربيجان كانوا ^(١) فأسلم الجميع ورجعوا إلى مذهب الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى، رضى الله عنه، ورجعت كلوة من الشافعية إلى الحارحية وهم ياقون على هذا المذهب إلى الآن

وفى المغرب نفوسة مثل رارة والتمصاح ورأس المحبر وتاهرت وسويقة اس مدكول وجمال بصير وطارق، فهذه البلاد قديماً على هذا المذهب، وأما الذين هم جدد فمن تولى محمد بن الحسن بن تومرت البربرى، وعبد المؤمن بن على الكوفى ملك المغرب، ساقوا الحلق إلى أطراف هذا المذهب، وبعض بأرض مصر، وبأعمال الشام دمشق وحران، ومن ديار بكر بغداد، ومن أرض الجزيرة (بأحره

(١) يياض بالأصل

واحبارهم^(١) مع جميع سواد الموصل، ورجال الأكراد والدبابلة وجميع أصحاب الشيخ عدى، ومن بغداد باب البصرة والحريية ودار القز والسرية وباب الأرج والحلبة والبصلية والحريم رجال شتى، وبعض أهل واسط القصب وقرية بأعمال البحرين شد على الراوى اسمها.

ومن العراقيين البصرة وهمذان، ومن أراكان سلماست، ومن سفاهان درحوى باره ودكوك ودرليان، ومن حراسان هراة واسراسير مع جميع أعمال تيم روزكريك مع جميع أعمال حواضر، وإلى حد ما كان طول فى عرض ومن...^(٢) مان وادى ردمد بالطول من سيسان إلى وادى سول وبه أكثر من..^(٣) قرية على حيط واحد

ومن أعمال اليمن زبيد وأعمالها محهر، ومن الجبال الشرف، وهو من أعمال ربيد مقابل قلحاح، وليس هم الشرف أى الأشرف أهل الحسب والنسب، وهى أعمال تسمى الشرف كما صادف الاسم للكنية، وهم يؤدون القطعة لآل الشرف من آل الحسن بن على بن أبى طالب.

وسكن جميع اليمن مه كما يقال..^(٤) رفى وهم حنابلة المذهب لأن الحنابلة يقولون فيما بينهم: لا يكون الحلى حنبلياً حتى يعض علياً سويّاً، ومن الأديان اليهود خلاف جميع الملل، ويقال: إن أول من سب أبا تراب بالشأم معاوية ابن أبى سفيان وصارت عندهم سنة مؤكدة استمروا عليها إلى آخر دولتهم إلى ألف شهر، فسبه جميع العالم ما خلا خوارزم، وقد تقدم ذكرهم.

(١) ما بين القوسين غير منقوط بالأصل

(٢) بياض بالأصل.

فصل: قيل: كان الوليد بن عبد الملك يذكر بالجهل فذكر يوماً علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر ولحقه، فقال بعضهم: ما أدرى أي أمره أعجب لحته فيما لا يلحق أحد فيه، أو سبته علي رضوان الله عليه إلى الخصوصية.

حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الوسطي قال: كتب وهاب الأبنوس على فص خاتمه... ي وحيد من الأئمة جميعاً معاوية ويريد وحده... يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة وحق معاوية بن أبي سفيان كاتب وحى الله وريد رسول الله ﷺ، وهم أول من سبوا علي ماهر الإسلام^(١).

وقال إمام الحرمين في كتاب اللع، معاوية محطى، وعلي مستمسك بالحق وجميع أعمال عماد وقلعات والفرات وطبوى ومسقط وحى عاصم وصهار وحور فكان وكسار وجلفار والديس هم في الجبال منح وثروى شمائل

ذكر استفتاح أعمال عمان

قرأت في كتاب مسالك المعالك الثاني ويذكر فيه أن العال كان علي أعمال عمان الإباضية إلى أن وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة بن لؤى بن غالب، خرج منها محمد بن القاسم الشامي إلى الإمام أبي العباس أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد محمد بن الموفق، وقيل: طلحة بن المتوكل، وقيل: ابن الموفق محمد ابن جعفر المتوكل، استنجد به فبعث معه بأبي النور ففتح عمان للمعتضد بالله

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الأصل.

وأقام له الخطبة بها، فارتحلت الإباضية إلى ناحية سردنجة^(١) فسكوها إلى زماننا هذا، ولو فتحنا في هذا الباب لطال الكلام وكثر، والتقصير في مثل هذا أصلح وأجود، والله أعلم.

ذكر استفتح الخوارزمية قلها

لما تولى خواجه رضى الدين قوام الملك أبو بكر المرزنى ملك كرمان ومكران وفارس قتل السلطان علاء الدين محمد بن نكش ملك قلها بالسيف، ويقال إن مالك بن فهم مات في أيام دولة رضى الدين قوام الملك، فعى تلك...^(٢) والعرصة انقد رضى الدين قوام الملك مراكب تسلّم قلها مع جمع أعمال عماد، وكان له فيها شحن وعمل ونواب يجمعون أهلها وأعشاب السفراء مع الضرائب والقوانين، وكان هو يرسل بالإبريسم من كرمان يبعثونه ويجمعون دخل البلاد ويشترون به خيل عربية يهقدونها إليه في كل واقعة خمسمائة حصان إلى ما دونه وأعلاه، فكان يركب ما كان دون منها ويرسل نجاد الجبل إلى خوارزم يقدمها للسلطان.

فلما مات رضى الدين قوام الملك في كرمان خلف في قلها أربعة وستين ألف من، ويقال: ثمانون ألف من حرير مع خمس مائة حصان، فملك قلها من أهلى الخوارزمية مع الخيل والإبريسم سنة خمس عشرة وستمائة، فملك قلها بعد وفاته الشيخ مالك بن فهم بن مالك من...^(٣) اذار على قلها سوراً من الحجر والجص سنة سبع عشرة وستمائة.

(٢) يابى بالأصل.

(١) غير منقوطة بالأصل.

صفة بتان العنبر

وجد أهل قلعات يوماً مقابل المدينة جزيرة كبيرة فقال الشيخ مالك بن فهم: قصوا لنا أثر الجزيرة وما هو؟ فعلم الصيادون ورجعوا إليه فقالوا له: بتان يطفو على وجه البحر، فقال لهم: جرّوه إلى البلد! فركب الصيادون الصنابيق وشدوا الأحربة في البتان وجرّوه وأرموه الساحل، فصارت الحلق تنفّرج عليه وعلى عظم خلقتها إلى أن جاف وخاس، فظهر في حوفه قطعة عسبر وزنها ثلاثة أبهرة، فلما علمت الناس بذلك قطعوه ومهبوه ووصل العسبر إلى جميع من في البلد من قوى وضعيف، ووصل إلى الشيخ مالك بن فهم بهار بالكبير عن مائتي من سة عشر وستمائة.

فصل: البتان صاود القطعة العسبر طافية على وجه البحر فابتلعها، فلما استقرت القطعة في أمعائه صغفت معدته عن هضمها فمات قطعاً على وجه البحر فضربه الموح وأسده إلى الساحل بقلعات، استعى به من استغنى.

حدثني محمد بن بندار الجوزي قال: إني اشتريت من هذا العسبر تفاريق، صح لي جمل بأدبى شيء فأخذته وسافرت به إلى حوارم بعته على تركان حاثون..^(١) علاء الدين محمد بن نكش على سعر المشرة مثاقيل بثلاثين ديناراً.

(١) ياض بالأصل.

صفة قلعات

قلعات بلد وضع على ساحل البحر والجبل محيط به، ويقال: إنها على وضع عدن، ماؤها طيب يجلب من منته^(١) وبها نهر سقراط معينه من الجبل يجري بين نجيل وبساتين حفيف مرىء عذب فرات.

قال أهل اللغة: أما عُمان فأما سمي بعُمان بن عَمان بن إبراهيم الحليل، عليه السلام، وهو الذي بناها.

قال ابن المجاور وما سُمي هذا الإقليم إقليم عُمان إلا أنها نعم بالخير مأكولهم التمر والسمك، ولستهم الأفوق مكشعين الرعوس، يشترون كل سبعة رجال منهم حارية، وكلما دخل واحد من السبعة حلق بعله وحلاهما على الباب، فإذا جاء أحد السبعة رأى العمل عاد على أثره راجعاً لعلمه أن أحد أصحابه عند الجارية.

وليس في جميع الربع المسكون أبص منهم للعريب، يقول ريد لعصرو: إي بازق العريب بالجدل، يعنى الحجر، وارل عليه بالرويار^(٢) وریده بالعصا.

وليس أحد أذل منهم، إذا غابوا السراق في البحر يقول بعضهم لبعض: إي بالمال ما نعطيه أسلم تسلم؟ فيسلمون المركب للسراق ويخرجون عرايا الأستاء، وليس في جميع القبابين أصغر من قبان قلعات.

(١) غير منقوطة بالأصل.

من قلها إلى مسقط

من قلها إلى طيوى ثلاثة فراسخ، وإلى مسقط ستة فراسخ، هذا الاسم الأصل فيه مسكت، ويقال: لما وصل إليه الصحابة سكت كل من كان بها فسميت مسكت، والله أعلم.

صفة العنة

وفى مسكت عة وعلى قم العة ناطور لا يزال قاعداً، فإذا دخل العة سرب مسك علم الناطور كم عددهم، فمثل حته فقال: إذا شاهدت مقدم الأسماك أعلم كم يكون عدد أشياعه وأتباعه، وذلك من كثرة التجارب والخبرة.

وكانت هذه المدينة مرسى مدينة صحار، وفى هذه المدينة كانت ترمى المراكب القادمة من أطراف..^(١) وكانوا يصعدون بالحف والبرههار إلى صحار يتتاعون ويتشارون، ومنها كانت تصعد البضائع إلى كرمان، ومن كرمان إلى سجستان، وكانت البضائع تفرق في خراسان وما وراء النهر وزاولستان والغور وكرميل، وإلى حي عاصم ستة فراسخ، وإلى أسرار ستة فراسخ، وإلى صحار أربع فراسخ.

(١) يماض بالأصل.

صفة صحار

حدثني أبو المجد بن أبي محمد الكمال بن الكمال العلوي الحسيني قال: إن صحار كانت التي عشر ألف قرية مع اثني عشر ألف قصر مع اثني عشر ألف مهر مع اثني عشر ألف جامع، وكان يسكن كل ناحية قصراً ويشرب أهله من نهر، فإذا كان يوم الجمعة يختار إلى الجامع في تسعة وتسعين من خدمه وأشياعه وقرابته وأعوانه، فحدثني بعضهم قال كان بعد بائها مائة واثني وتسعين قبان لوز البصائع للطلاب والمطلوب.

صفة دار الحمة

بني ناحية داراً وأمر أن يكتب القرآن بالذهب فيها والأصح في خشب الساج توابير الدار مقطوع مركب في اثني عشر كتياً، فصح فيه تمام الحمة في سطر واحد من الدار وسعته، فسمى الدار دار الحمة، وكان بقاء القوم بالآجر والجص والخشب الساج فخرب الجميع وصارت الجحش تسكن حول القصور

حدثني الشيخ أبو بكر البصري المحل قال: إن هذه الأعمال كانت لملوك كرمان من آل سلجوق فاندثروا وتعلبت العر عليهم وخليت البلاد وتسلطت العرب على هذه الأعمال وأخربوها.

فصل: سافر زيد من وطنه ورجع فإذا هو يرى بحارة الحمال رجع قاضي

البلدة، وقال القاضي، يعني الحمال لزيد: ابسط ما كان من الإبل الأوائل من الرفعة وما نحن الآن فيه من الهبوط؟ قال زيد: كيف ذلك أدام الله مجلس مولانا القاضي وثبت قواعده؟ قال القاضي: في الدور، لأول ارتفعت الأوائل إلى أن كنا حمالين للقوم الحطب والأواخر رجعت قاصي حكمهم.

قال ابن المجاور: إذا كانت الأوائل حتى مكوا تلك القصور وما نحن فيه الآن حتى قبعوا مسكني التصارييف من الخربات، كما قال:

يا باكيًا بعد الأحب	بنة في المازل والدمس
من بعد يوم فراقهم	أعلمت ما طعم الومس
فأجابني لا والذي	قلبي إليه مرتهن
كيف السكون إلى الرفا	دوكسند نأى عني السكن
ومعنى تقسر دعوى من	يفتناله صرف الزمن

وللقاضي أبي بكر الرافعي:

استغفر الله للذي ودعا	ونحن للغربة لبكى معا
سبل من أجفاته أدمعا	لما رآني مهبلا أدمعا
وقال لي عند فراقى له:	ما أعظم البين وما أوجعا

وللسيف الحكمي:

أحمانم الأتلات من وادي الحما	أنت هيجتن صبا مفرما
ما للعداة وما لكن وللبيكا	جزعا ولكن لا أرى دماهما
إن الحمام إذا تنغم شاقبي	ويريدني شوقا إلى ذاك اللما

وقال آخر:

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها كأنكم لبقاع الأرض أمطارُ

فلما خربت ريسوت وعمرت صحار وحربت صحار بنيت البين وهرمر وخربت
البين وهرمز بنيت عدن.

والى العقير أربع فراسخ، والى كنية أربع فراسخ، والى حور فكان أربع فراسخ،
والى دنا أربع فراسخ، والى ليحة أربع فراسخ والى كمرار ثلاث فراسخ، والى طفقار
ثمان فراسخ، والى قيس ثمان فراسخ عن يوم وليلة في البحر.

بناء قيس: سكنها المجوس

وكان الموجب كما ذكره سبعة من حالك بن داود بن سليمان الأنصاري أنه
هربت المجوس لما بعثت الدولة لتعذب العرب على ملك العمم سكوا الجزيرة
وسوا مع طول مقامهم الدور العوالي الشواقي بالآخر والحصر بناءً محكمًا، فلما دار
الملك داروا مع دوره وجوره فحلت الحرية منهم ورجعت حبسا للملوك، ملوك
فارس، وسميت في عهدهم رندان، وصارت الملوك يحرون على العوائد إلى أن
حربت سيرا، فحصل رجال سيرا في جزيرة سكاهها فأعجبهم المكان فاستولوا
على الجزيرة وفيها جماعة صيادون يصطادون السمك، فتعذب السيرا فيان على
الصيادين فأخرجاهم منها صاعرين وملكوا الجزيرة وسوا فيها الدور الوثيقة، ويقال:
إنهم بنوا على أساس بناء المجوس وعرسوا بها النخل وسكوا فيها.

حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الرراد قال: إنما تكون لجريرة قيس من يوم بنيت مائة وعشرين سنة، وكان هذا الحديث ستة أربع وعشرين وستمائة، وقرروا على كل مركب يجوز عليهم ديناراً واحداً، وقرروا في العام الثاني والثالث ثلاثة دراهم، وهم في الصعود إلى أن تقرر الأمر على العشرة وثبت عليه إلى الآن.

فلما قوى الرحلان واستظهرا بالأمر والمسد ادعى السلطنة أحدهما وثبت فيها إلى الآن ولكن اسم بلا جسم، وكان يحط له يوم الجمعة على المبر سلطان الشرق والغرب ملك الأرض، مقام رجل وقال: سلطان طاس ويكاس^(١) ملك لدوكران، وهما موضعان طرفي الجزيرة، ويصح دور الجزيرة فرسخ، ويقال: ثلاثة أيام، وله في البحرين مراكب تسمى بالسوية تصرب له في (ال حى بوت)^(٢)

وتؤدى العرب الذين هم ملاك في البحرين كل عام عشرين ألفاً لضرب ملك السوية في بلادهم...^(٣) وسكر في بعض الليالي فقال لرجل غريب حضر معهم: قد وهبتك سفاهات، فقبل الرجل العريب، فلما أصبح قال الملك للوزير: اكتب لفلان منشور بتسليم نوابنا له سفاهات! فقال: سمعاً وطاعة! فبعد انقضاء أيام صادف الملك الرجل الغريب فقال له: ألم تتجهز إلى سفاهات؟ فقال له الغريب: أدام الله عز الملك، أريد نفقة أفق بها حتى أتوصل إلى سفاهات، فقال: أعطوه خمسمائة ألف دينار، فأخذ الرجل المبلغ ورجع إلى بيته.

(١) غير منقوطة بالأصل.

(٢) هكذا ورد ما بين القوسين في الأصل، وبكلمة الأخيرة غير منقوطة.

(٣) يابض بالأصل.

ولماذا سميت جزيرة قيس

تراهن قيس بن زهير بن جذيمة بن أبي سفيان، وهو صاحب الداحس والغبراء، مع ربيع بن ساس صاحب الخطار والحنفاء، وكان الخطار والداحس حصانين، والغبراء والحنفاء فرسين، فغلب الداحس الخطار، وحرى بين القوم ما جرى، فخرج قيس بن زهير صاحب الداحس إلى ناحية عمان ليطلق نار الشر، فلما توطن في عمان فتح دكاناً وكان عصاراً وقعد يبيع ويشترى، وإذا بأميرين من أمراء عمان تراها فيما بينهم وحرى بهم الكلام في ساق الداحس والخطار، فحضر الأميران إلى الشيخ العطار وسألوه عن قصة الساق ومن غلب وغلب، فقال لهم الشيخ: ما لكم بسؤالي من حاجة، قنوا. بلى، قال الداحس غلب، فلما سمع المعلوم اعياظ من هذا وشتم الشيخ وتغل في وجهه، فحشد أغلق الشيخ دكانه وجاء إلى بيته وأمرح وألجم الداحس وركب وقال لبنته ياقوته: اسبقيني إلى البئر القلانية فاقمدي عدها، وقدم الشيخ إلى مجمع القوم وقال: أنا قيس بن زهير، وحصاني هذا هو الداحس، ومن لم يعرفني فليعرفني، وحمل على الذي تغل في وجهه فصرب عنقه، وساق الداحس إلى الشر وأردف ابنته ياقوته وراءه فتبعته الخيل إلى الساحل، فركض الحصان فلم يزل البحر فعصب عييه وآماقه فزل البحر وسبح إلى أن توسط البحر فتعب الحصان وغرق الثلاثة جميعاً، وقال أهل جزيرة قيس: سبح الحصان براكبيه إلى أن صعد بهم الحريرة فسكوا وأهل جزيرة قيس منهم، فلذلك يسمون جزيرتهم بجزيرة قيس، وهو قيس بن زهير بن جذيمة بن أبي سفيان، لأنه أبو القوم.

ويقال إن الجريه كانت . فلما صعد قيس مع ياقوتة والداخس ولوه أهل الحرية على أرواحهم وأموالهم وتزوج منهم وأولد الجاشو، وزوج ياقوتة بأكبر من في الحرية فأولدها المرس، وإلى الآن هي دعوس العرس حماقة العرب.

حدثني رجل من أهل فارس ... به الجاشو من الديلم وكانوا يسكنون الفلاة بفارس وأعمالها، وهي دات حيل ونعم وإبل، فلما طال السوط في القوم تعلقوا في الحبال وبنوا الحصون وسكنوها، فعرف القوم بسواكاره، أي مرخين الشعور شبه الأكراد، فلما عمرت الحصون ركبوها الحصون وأردادت العمارة، فسكن رجل منهم جريه قيس فطلع من سله الجاشو، وهذا هو الصحيح.

نسبة الجاشو

لار بملك من الملوك عليه الرسام ووصفت له الأطباء أن يعترش كل ليلة جارية نوبية بكراً يرول ما به من العرس والمرص.

قال ابن الصجور: ولم يكن في جميع المخلوقات أحسن من فرج الجارية النوبية، فمن حرارة فرج الجارية النوبية يتحلل الرسام وينزل في جملة المنى إلى الجارية النوبية، فإذا قامت المرأة بعصت المنى من فرجها وهرئ المعلول من العلة، ولم يضر الجارية شيء، ويقال: إنه يصورها

فلما سمع الملك ذلك أئخذ وزيراً له إلى بر السودان فأمر أن يشتري له مائة جارية نوبية أبكاراً، فلما تجهز الوزير ترخم الآلة وتركه في حق وناوله الملك ومافر إلى أن وصل بلد السودان واشترى الحوارى الأكار، وقدم بهم إلى الملك، فلما

قدم الملك إلى إحداهن وجدها ثيباً، وكذلت الثانية والثالثة والعاشرة إلى المائة وجدهن رجلاً على سق واحد، فلما دخل الوزير إلى خدمة الملك قال الملك للحاضرين: جاشك، أى إنه شك فيهم، أى استفضهم، وقال: بل ما شك، أى جاء من شك فيه اليقين، فلما تحقق الوزير مقالة الملك استدعى بالحق وفتح رأسه فإذا فيه الآلة، فقال له الملك: ما حدث على هذا العمل؟ قال خفت هذا الذى بدا وقضية الذى جرى، وحيث يادى الملك جميع الجوارى وسألهن عن حالهن فقلن: إنا نزلنا فى الجريزة العلابة وسبحنا فى عين ماء عذب فما علمنا بأنفسنا إلا وكل منا معها حتى يستعضها، فقال الملك نردهن إلى حريرتهن، فسكنوا جريزة قيس، فبوا الدور وتاسلوا وكثر الناس، فسموا حاشك، على ما جرى من لفظ الملك، فدارت عليهم اللغة فسموا حاشو.

فصل: حدثني أبو العاسم بن إبراهيم بن محمد المرابط قال: سمعت حالة مثل هذه الحالة فى أرض المغرب وأبقد الملك بوربر له يسمي . يا أى إلى أعمال السودان يشتري له جوار، فلما دما الحلت من الجوارى وحد عندهن وساعاً، قال: زناتا، يعنى الوزير باوانا، فعرفت القبيلة يربانا، وهم قوم من البربر رجل وخمسون ألف ضارب سيف.

قال ابن المجاور. وما أظن القوم افترقوا فرقتين إحداهما سكنت أرض المغرب فعرفوا بزنانا، والمرقة الثانية سكنت جريزة قيس فعرفوا بالجاشو.

صفة اللؤلؤ

أصله صدف يتربى في قعر البحر المالح فإذا نزل الغيث في فصل نيسان صعد الصدف يفتح بعضه من بعض بعد أن يطفو على وجه البحر لأجل التقاط الغيث فكم ما وقع في أحدهم قطرة انضم الصدف على قطرات الغيث الذي حصل باطن الصدف إلى قزار البحر يريه، كما قال:

أيلول دهرى مكم لا يفارقنى وحق غيرى أذار ثم نيسان

فصل: قال أنوشروان العادل لوزيره برزجمهر: كم يساوى تاجى هذا؟ قال: دخل مطرة في نيسان، قال: وما المعنى فيه؟ قال: إن وقع في البر فهو بر وإن وقع في البحر فهو در.

أنشدنى محمد بن منصور بن محمد الواسطى:

هو حـر وان الم به الضـ	صـر فـيه المـفان والأنفـ
والذل لا مسرجى لمكروية	لأن فيه المزاج مختلف
كالقطر مـم إن حل فى فـم النـ	خـصل ودران ضمه الصدفـ

حدثنى محمد بن أبى سعد القاضى الرارى قال: سمعت من لفظ أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، المعروف بابن خطبة بالرى قال: ليس يفتح الصدف ويستقبل الغيث إلا فى البحر المحيط وراء عالم الكون والفساد، فإذا نزل الدر فى الصدف سبغ الصدف فى قعر البحر وهو يتقل من موضع إلى موضع إلى أن يستقر فى مفاصه المعروف بالسحريش وكيش والمعبر وسيلان وفى مواضع شتى.

وما يُصاد الصدف إلا يوم يطلع السحل ويظل يوم يقطع العذق عند انصرام السحل لأن هذا الفصل هادئ الموج من قلة الموج، وكان المغاص في ... مباحا للناس كل يفرض لنفسه ويأخذ ما قسم له من الرق

وكان اللؤلؤ من كثرته تحلية النساء والأطفال والمشايخ، وهو موسم كموسم العلال في سائر العالم تحلية كل أحد إلا في هذا الوقت فإنه يظل جميع ذلك وصار الصيادون يصطادون وعليهم كتف وعمال وقباص يتسلمون منهم الأول فالأول من الآخر إلى الأول، ولو وجد حبة في يد رجل لأخذ ما تحته وما فوقه

فصل: سفر حمال الدين بخمار القانص إلى الهند رحلا برأس مال مبلعه ألف مثقال، فلما توسط الرجل الطريق أخذ به السراي وسلم معه من جملة المبلغ عشرة مثاقيل ذهب، فدخل قيس فبها هو **دات يوم بها عندا** في بيته إذ دخل عليه أسودان زروح وقالاه بشترى منا حبة لؤلؤة؟ فقال نعم، فحيث أخرج أحدهم من فيه حبة أكبر من بضة العصفور، فلما شاهد الرجل الحبة حار ودار ولفها في فيه وبلغها، فقالوا له: هات الحبة، فقال لهم والله إني تركتها في فمي لأنظر صفاءها فنزلت إلى الأمعاء، فقالوا له: فما تعطينا نمنها؟ فأخرج لهم العشرة وحلف بالله العظيم لا يملك سوى ذلك، بل حدوا منها ما شئتم وحدوا إلى ما شئتم، فعدوا ثمانية أعداد وأعطوه عشرين، وسافر الرجل بالسلامة إلى أن وصل سعادات فأعطى الحبة لجمال الدين بختيار القاضي وقال له: تحملني في حل من مبلغ كان لك عليّ، قال له: أنت في حل وأبرأت ذمتك من مبلغ ألف مثقال، وزن كل مثقال ستة دوايق، كل دائق أربع طياسيج، كل طيسوج أربع شعيرات، وأعطاه في يديه مائة مثقال، أي

يعيش فيها ويأكل فيها الخبز، فوصل خبر الحبة إلى بعدل فأنفذ الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، إليه لينفذ الحبة، فلما وصلت الحبة إلى عينه الشريفة أنفذ له ثمنها ستة آلاف مثقال، ويقال: إنها قومت بأربعة وعشرين ألف دينار.

فصل: كان ملك من ملوك كشك ومات وملك ابنه من بعده الملك قاهر من البصائع جملاً فأطلق يده في البيع فباع وصار التجار يدخلون خوفاً بعد خوف يشتري كل منهم ما أراد وصلاح له، فدخل الشيخ أبو طالب بن علي بن سويد، ويقال: عبد اللطيف ولد أبي طالب بن علي بن سويد التكريتي إلى مخازن النيل بقي منها اثنا عشر قطعة وورث ثمنها ورسمها وسافر بها وكتب الله له السلامة إلى أن وصل تكريت، فجاء يهودى صباغ يشتري منه قطعة فأخذ قطعة ليرى العين فإذا هي قطعة ملوؤها للؤلؤ.

م تحفة كبرى في علم سوري

فلما أبصر الشيخ أبو طالب ذلك قال لليهودى: ادفع قطعة نيل وأنت في حل منه واكتم ما رأيت، وخرج اليهودى بما معه وقام الشيخ ابن سويد علم ولده ثقب اللؤلؤ فصار الولد يثقب كل حبة يشبه يدهم الدجاج، وصار الشيخ يتخذ بعقود اللؤلؤ من تكريت إلى أعمال القسطنطينية المظمية وإلى آخر أعمال المغرب وإلى آخر الهند وترك وهو يبيع منه إلى الآن.

قال ابن المجاور: وكان السبب في تلك القطعة أن الملك كان يقي اللؤلؤ فما كان من حبة غالية كبيرة مليحة تركها في كيس إلى أن كثر الشيء عليه، فلما زاد خبط له كيساً وعبي اللؤلؤ المتغالية وحيشه بحيش وركب عليه أربع عرعى وجلده

بجلد بقر فرجع بشبه قطعة نيل وعلم فيها علامة يعرفها وعباها بين النيل، فلما حصلت في نصيب ابن سويد فيقال: إنه لم يعرف لماله قياس ولا حد من بركات تلك القطعة، كما قيل:

بفوت العنى من لا ينال عن السرى وآخر يأتى رزقه وهو نائم

صفة جزيرة قيس

جزيرة يصح دورها ثلاثة فرامح مصارية، طول في عرص، وهى ذات محل ووراعات القرط محل الملك وما والاها ساحل يحصر الإنسان الرمل يده فيبع عليه الماء حلواً عندما مرناً، ويقال: إن فيها كاريه جارحى بستان الملك، وحفرت الملوك بها أحواصاً وصهاريج فى أول العهد وبقى تكمصر إلى الآن يملؤها ماء العيون والسيول.

مأكلهم السمك ويعملون مه الهرائس ويؤكل مع النمر، وليس لأهلها مأكل سواه، ولم يتناولوا الطعام إلا باليد اليمنى، لا غير، وإذا كسر الإنسان يديه فهو العيب العظيم.

وبناء القوم بالحجر والجص ودورهم ذات علو ورفعة، يجعل أحدهم فى البناء سبع طبقات، وكل دار منها شبه حصص مائع، ولا يرال بها أشجار نقلت من البصرة، ويررع به البقول وسائر الخضروات.

وفى أهلها عرق تكبر وعرق حفة وعرق حون، كما يقال: الجنون فنون،

ينسبون إلى قيس بن الملوح، ويقال إلى امرئ القيس، والأصح إلى قيس بن زهير، وقد تقدم ذكره.

ليسهم من أعمال المهدية بالمغرب، ويرجعون يرخون هديات العمائم طوال، وهم رجال البحر، وليس لصاحبها خيل ولا عسكر إلا الدوانيج والبومات والهاسق، شبه العقارب، ونحري على وجه البحر، وقد قنعوا ببلدة وسكن، ولبس نسائهم السواد.

وإذا تزوج رجل امرأة وأعطها مائة دينار أعطته المرأة مائة أخرى وكتبت عليه قبالة دين حال قار ببلغ مائتي دينار، وكلما زاد الرجل في المهر رادت المرأة في النقد، وإذا نقص من المهر نقص من النقد.

وهم قوم يعزون الغرباء، ولهم بهم عناية عظيمة.

وتحكم نساء هذه الأعمال على رجالها وما يفعل الرجل إلا ما تقول زوجته من صلاح أمر أو فساد حال، وهذا خلاف ما قاله رسول الله ﷺ: «شاروهن وحالفوهن، فإن في مخالفتهن البركة».

فكانت خلفاء قيس يسلمون القطعة للسلطان الأعظم ركن الدنيا والدين أبي الفتح ملك شاه بن محمود بن لب أرسلان، فلما توفي وتولى بعده السلطان الأعظم معز الدنيا والدين أبو الحارث سنجر بن أيوب شاه فلم يلتفت إلى الفقراء لاتساع الملك عليه والمال لديه قطع ذلك، إلى أن جدد الإمام أبو العباس أحمد، الناصر لدين الله، أمير المؤمنين، وكان السبب فيما ذكره أن تاجرًا مات من أهل بغداد في جزيرة قيس وخلف ثلاثين ألف دينار ذهبًا عيا فأخذ الملك ذلك المال،

وجاء الوارث بكتاب حكيمى بعد أن أثبتته عند الحاكم، فلما وصل الأمر إلى الملك استكبر عن أداء المال وتعلب على الوارث، ورد الوارث بكتاب الحكم إلى بغداد وعرض حاله وما تم له على الإمام، فأمر الإمام الأمير بادكين^(١) صاحب البصرة أن يقطع عنهم المادة فقطع وصاق ذلك على أهل الجزيرة، فلما رأى الملك نقصان حاله قرر على نفسه الثلاثين ألف دينار التى للمتوفى إلى ورثته ببعداد مع نصف دخل جزيرة قيس للحليفة مئة خمس عشرة وثمانئة.

ففى الجزيرة عامل للحليفة وعامل لصاحب كيش وكذلك فى نفس الجزيرة عامل للحليفة وعامل للملك، كما قال

يا قاتلى حرقاً بغير موده احذر عليك، كما تدين تدان

وهذه الجزيرة حصية طيبة برهة ^(عالب سطر) أهلها فى البحر وشراؤهم الربهار، وليس يخرج عندهم من الصرائب الذهب إلا أبو نقطة ولا يشتري أحد من هؤلاء قدور السرام وقصب القبا إلا الملك وحده، ولم يبع أحد قدور السرام وقصب القبا إلا الملك وحده، وإن لم يبع هذه صاحبها على الملك أحدها عملاً.

يقال: إن عنده محارن برام وعصائر ملؤها قصب القبا، ولم يقع للمسافر وقت السفر فسح إلا يحط سبع عشرة علامة للبراب وثمانية عشر علامة الملك

حدثنى جوش هام بن أبى بكر بن سليمان الحاشو قال: إذا وقع الملك على حط الفسح أعاد للرحل الحط، يعنى المسح، من حلال حش من عمل يده، وهو

(١) غير منقوطة فى الأصل.

خلال يخلل به الإنسان أسنانه عند أكل اللحم الحرام، فإن صح حمله غلام ولم يصح الخلال لمن يكتب الرقعة، قلت: فما المعنى في الخلال؟ قال: لا أعلم إلا أنها رسوم جرت من قديم الزمان، قلت: ومن ينحت هذه الأحلة؟ قال: الملك يولده.

ما الجزيرة في الأصل

دفا ووادي الأحجار وعطفان ولوى وحوار وحصوين ومحترفة والمقر وكلتا وصاحت وليمن وكرار وحبس وجرجا والمجزرة ويخطب له في كبايت والسومات وهدرهر^(١) وهذه البلاد بلاد واحدة، وإذا وصل مركب القيسى يحترم غاية الاحترام لا غير لأن الدين بها اختاروا الملك من قيس لأنه قريب منهم، وإذا خطب للخليفة خطب من بعده لصاحب كيش لا غير، والله سبحانه وتعالى أعلم.

لكن ما فعل صاحب قيس

وقيل: صاحب كيش، وما فعل معه صاحب مكران.

أنفذ الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن وابن الحسين كهرو بحال جزيل فاشترى له من مسقط حصاناً قيمته ألف مثقال، وركب الحصان في مركب تعدى به من بر العرب إلى بر المعجم، فلم يخبر الحصان ملك قيس فأنفذ دواتيج وبومات قطعوا عليه الطريق وأخذوا الحصان.

(١) غير منقولة في الأصل.

فلما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أحد مراكب السراق وميلها على منادخ القيسي وقال لهم: كل مركب تروبه لصاحب قيس فخذوه أحد عزيز مقتدر، فأخذوا من ذلك الموسم اثني عشر مركباً موسوقاً من سائر الأمتعة والطرف والتحف والأموال، فأنفذ صاحب كرش إلى تاج الدين بن مكران رسولا يقول له: قل الحمد لله على نعمه، والله المستعان على أهل هذا الزمان، كيف رجع المملوك سراقاً يقطعون طرق البحر على سلاكه؟ فقال تاج الدين بن مكران للرسول - والله ما علمنى قطع الطريق إلا ملككم.

فقال الرسول على لسان ملكه: مثلى يقدري مثلك، قال: ليس لك طاقة، قال: أنا أعرفك نصي، قال: بغير الاختيار قال: لأفدك قدرك قال: هذا شهوتي، قال: إنى مبلغ شهوتك، قال: إن شاء الله

واقه لا كلمته أبداً وليرابه	كالهدر أو كالشمس أو كالمكتفى
ولأصبرن على مرارة هجره	كبيلا ترانى العذول فبشتفى
من صح قبلك فى الهوى ميثاقه	حتى تصح ومن وفى حتى تفى

وقال آخر:

من لا يزرك فلا تزر	ولا كسرامه
وامدد له حبل الجفا	واحفر له فى الأرض قامه
فإذا برى ولقىته	فالعذر يهتك السلامه
وإذا انقضت أيامه	فقد استرحت من الملامه

وقال آخر:

سألبس للمستعبر ثوباً جديداً وأقتل للهجر حبلاً طويلاً
لعلني بالرغم لا بالرضا أخلص قلبي قليلاً قليلاً

صفة القالب

هي عين غير تتبع في وسط البحر، فإذا كثرت القير ضربته الموج قطعة بعد قطعة، وزن كل قطعة ألف من زائد ونقص.

وحدثني جوش بام بن أبي بكر بن سليمان قال إذا غاص الإنسان على يمين القير بقربة يزل فم القربة على فم العين تملأ القربة ماءً عذناً شبه الرلال، قلت وكيف؟ قال لأن ما يخرج من العين إلا مع الماء الحار والماء الذي يخرج من القير يكون حلواً شبه العافية.

قال حكيم: إن القير في معدته وما يحله ويسلله على الموج إلا حرارة الماء تحله وتلحق الماء من تحته ويخرج إلى وجه الأرض والبحر، وكذلك قياس العنبر، وهو عين سيالة في بحار الخراب حيث لا عمارة فيه ولا سكن، وتخرج يخرج عين القير بالنعث والصفة، والله تعالى أعلم.

صفة البحرين

هي جزيرة في صدر بحر فارس، كما أن القلزم في صدر بحر الحبشة، ويقال: إنها جزيرة في بحر مالخ فوق بحر عذب فلأجل ذلك سمي البحرين.

حدثني جماعة من أهل البلاد قالوا: إذا غاص إنسان بين الماءين وشرب فشرب ماءً عذباً فرائاً وأعلاه ماء مالخ ملحاً أجاباً.

وقال: ما سمي البحرين بحرین إلا لأجل البحر، وأهلها العرب شبه البحر في كرمهم، أي بلاد تسمى البحرين: بحر ماء وبحر حلق.

وتسمى الجزيرة أوال وبها ثلاثمائة وستون قرية إمامية المذهب ما خلا قرية واحدة، وما كولهم التمر والسمك من عاذي راحة وطعم رفس.

وقال آخرون: إن جزيرة أوال في أوسط مفاص البحرين، ولا أصعى ولا أكثر ماوية من لؤلؤة، وهي جزيرة في صدر العبة وبر العرب وفارس مستدار حولها، كما قال:

درست صورت تو ودریا دو چشم من

ای در دور مساند ز دریا چگونگی

تم كتاب

تاريخ المستنصر

بعون الله وحسن توفيقه

الموضوع	الصفحة
بناء حصن الدملوة	١٨١
من الحجوة إلى حدن	١٨٣
من الحجوة إلى نعر	١٨٤
صفة حصن نعر	١٨٤
صفة جبل صبر	١٨٥
فصل إذا رأيت الهلال	١٨٧
ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيرا	١٨٨
ذكر المياه والرياح	١٨٨
من نعر إلى الجند	١٨٩
بناء الجند	١٨٩
صفة جبل البقر	١٩٢
صفة أكمة سليمان	١٩٣
صفة الجامع	١٩٣
فصل: وفاة طفتكين	١٩٥
فصل: وفاة الصابحي	١٩٦
بناء ذي جبلة	١٩٧
فصل: اشتراء المعاكل	١٩٧
بناء المخلاف ونجا	١٩٨
ذكر تغلب الفقهاء في حصن التعكر	١٩٨
صفة بناء ذي جبلة	٢٠٠
عجائب إقليم اليمن	٢٠١

٢٠٢	مجد الحنشين
٢٠٢	حصن ثريد
٢٠٤	مثابة فيه بئر العضة
٢٠٤	من دى جطة إلى صعاء
٢٠٨	باء صعاء
٢٠٩	ذكر قصر صعدان
٢١١	فصل: باء القصور
٢١٢	صفة جبل المديحرة
٢١٣	صفة جبل شام
٢١٤	صفة صعاء
٢١٥	فصل خروج الحيوش لاستفتاح البلاد
٢١٨	ذكر تعصيل العنوشى
٢١٩	عجائب دمار
٢٢٠	صفة جبل لشى
٢٢٠	صفة مكاح أهل هذه الأعمال
٢٢٢	صفة وادى الظهر
٢٢٢	من صعاء إلى المحالب راجعاً
٢٢٤	من صعاء إلى مأرب
٢٢٤	ذكر هد سد المازمين
٢٢٨	فصل: فى المعادن
٢٢٩	من مأرب إلى الجوف

٢٢٩	صفة هذه الأعمال
٢٣١	من مأرب إلى صنعاء راجعاً
٢٣٢	من صنعاء إلى صنعاء
٢٣٣	ذكر خراب صنعاء القديمة
٢٣٣	بناء صنعاء، بناء الشرف
٢٣٦	فصل في أمر الربيعة
٢٣٦	من صنعاء إلى دحيان
٢٣٨	من صنعاء إلى بحران
٢٣٩	صفة مدينة قرقر
٢٣٩	فصل سوق العملين وهو حد الحدان
٢٤٠	صفة بحر الصفر
٢٤١	صفة نجران نهاية
٢٤٢	فصل اشتقاق بحران
٢٤٢	القول في روال ملك آل حمزة ..
٢٤٣	فصل في أحوال الإبل
٢٤٣	ذكر طريق الرضراض
٢٤٤	ذكر انقطاع طريق الرضراض
٢٤٥	ذكر الفيض
٢٤٧	صفة إقليم نجد
٢٤٧	صفة ماء الهباة
٢٤٩	صفة بحر العاصمة

الموضوع

الصفحة

٢٥٠	ذكر لؤديّة نجد
٢٥١	ذكر الكرم
٢٥٢	صل: الشعراء والأعرابي
٢٥٣	حكاية
٢٥٣	ذكر قعام العرب
٢٥٤	فصل: دجيل والمطلب
٢٥٥	صل: السقا والأعرابي
٢٥٧	صل: نزول الحراد
٢٥٨	صل: أكل الحراد
٢٥٨	ذكر رواج أهل نجد
٢٦١	من صمد إلى صماء راجعاً
٢٦١	ذكر الرؤيا
٢٦٢	من عز إلى زيد راجعاً
٢٦٣	صمة طير الدلقوق
٢٦٥	من ريد إلى حجة
٢٦٥	بناء حصن مسار
٢٦٦	فصل: حديث
٢٦٧	من زيد إلى غلافة
٢٦٨	فصل: في ظهور البات
٢٦٨	بناء غلافة
٢٦٩	فصل: دور الزمان

الموضوع	الصفحة
فصل: منع الحطب وإشغال الخيوش	٢٦٩
فصل: قول إيليس	٢٧٠
فصل: جوار أبي دلف	٢٧٠
ذكر بشر الراححة	٢٧١
جزيرة فرسان	٢٧٢
ذكر جزيرة العنم	٢٧٣
ذكر جزيرة الناموس	٢٧٤
من زبد إلى الأهواب	٢٧٤
بناء الأهواب	٢٧٥
من عدن إلى شبام	٢٧٦
صفة العفر	٢٧٧
بناء شبام	٢٧٩
ذكر شبام	٢٧٩
صفة الدور	٢٨٠
صفة شبام	٢٨١
فصل: قدوم المراكب إلى عدن	٢٨٣
فصل: في الكنى	٢٨٣
صفة قون ابن إبراهيم	٢٨٤
فصل: غزل نساء اليمن	٢٨٤
من شبام إلى ظفار	٢٨٥
فصل: قصة الراكين	٢٨٥

الموضوع

الصفحة

٢٨٩	ذكر خراب ظفار
٢٩١	ذكر مدن هدمت خوف الأعادي
٢٩٢	صفة الطريق القديمة
٢٩٣	صفة الرياح الثلاث
٢٩٤	صفة المنصورة
٢٩٥	ذكر جزيرة سقطرى
٢٩٦	ذكر المبة الطيور
٢٩٨	من المنصور إلى ريسوت
٢٩٩	من المنصورة إلى قلهاات
٢٩٩	ذكر نسبة المهرة
٣٠١	بناء قلهاات
٣٠٢	فصل: مشى المقلوب
٣٠٤	ذكر جبل السعري
٣٠٤	ذكر الأباضية
٣٠٥	من المنصورة إلى عدن
٣٠٦	علم مكنون وسر مكنوم
٣٠٧	ذكر الاباضية
٣٠٨	ذكر السلققيات
٣٠٨	ذكر بلاد الخوارج والاباضية
٣١٠	فصل: في سب على
٣١٠	ذكر افتتاح أعمال عمان

الموضوع	الصفحة
ذكر استفتاح الخوارزمية قلها	٣١١
صفة بتان العنبر	٣١٢
صفة قلها	٣١٣
من قلها إلى مقط	٣١٤
صفة العنة	٣١٤
صفة صحر	٣١٤
صفة نار الخمة	٣١٥
بناء قيس، مكنها العجوس	٣١٧
لماذا سميت جزيرة قيس	٣١٩
نسبة الجانو	٣٢٠
فصل: نسبة قبيلة زناتا	٣٢١
صفة اللؤلؤ	٣٢٢
صفة جزيرة قيس	٣٢٥
ما الجزيرة في البر الأصل	٣٢٨
ذكر ما فعل صاحب قيس	٣٢٨
صفة القتالي	٣٣٠
صفة البحرين	٣٣١
فهرس القسم الثاني	٣٣٣

رقم الايداع ٧٧٦٨ / ١٩٩٦

التزقيم الدولي I.S.B.N.

977-19-1408-2

مركز تحقيقات كيمياء سعودى